حياة القلوب

تفسير كلام علام الغيوب

الجزء الثامن

تأليف

أبي عمرو سعيد بن مصطفى دياب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

مُقَدِّمَة

إنَّ الحَمْدَ لله، نَحْمَدُه، ونستعينُه، ونستغفرُهُ، ونعوذُ به مِن شُرُورِ أنفُسِنَا، وَمِنْ سيئاتِ أعْمَالِنا، مَنْ يَهْدِه الله فَلا مُضِلَّ لَهُ، ومن يُضْلِلْ، فَلا هَادِي لَهُ.

وأَشْهَدُ أنْ لا إلَهَ إلا اللهُ وَحْدَهُ لا شَرِيكَ لَهُ، وأشهدُ أنَّ مُحَمَّدًا عبْدُه ورَسُولُه.

﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلا تَمُوتُنَّ إِلا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾.[1]

﴿يَأَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾.[2]

﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلا سَدِيدًا * يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾.[3]

وبعد فهذا هو الجزء الثَّامِنُ من تَفْسِيرِ: (حَيَاةُ الْقُلُوبِ)، أسأل الله أن يجعله خالصًا لوجهه، وأن يتقبله بفضله ومنه وكرمه، وأن ينفع به إنه خير مسؤول وأكرم مأمول.

سعيد بن مصطفى دياب

الأسكندرية في: ٢٢ جمادى الآخرة/ ١٤٤٣هـ

الموافق: ٢٥/ ١/ ٢٠٢٢م

---

١ - سورة آل عمران: الآية/ ١٠٢

٢ - سورة النساء: الآية/ ١

٣ - سورة الأحزاب: الآية/ ٧٠، ٧١

www.alukah.net
شبكة الألوكة

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿وَلَوْ أَنَّنَا نَزَّلْنَا إِلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةَ وَكَلَّمَهُمُ الْمَوْتَى وَحَشَرْنَا عَلَيْهِمْ كُلَّ شَيْءٍ قُبُلًا مَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ يَجْهَلُونَ﴾. سُورَةُ الْأَنْعَامِ: الآية/ ١١١

يخبر الله الذي لا يخفى عليه شيء في الأرض ولا في السماء أنه تعالى لو أجاب المشركين الَّذِينَ ﴿أَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَئِنْ جَاءَتْهُمْ آيَةٌ لَيُؤْمِنُنَّ بِهَا﴾ لو أجابهم فيما اقترحوه من الآياتِ، ومنها إنزال الملائكة كما قال تعالى: ﴿وَقَالُوا لَوْلا أُنزلَ عَلَيْهِ مَلَكٌ﴾ [الأنعام: ٨]، وَقَالُوا: ﴿أَوْ تَأْتِيَ بِاللَّهِ وَالْمَلائِكَةِ قَبِيلا﴾ [الْإِسْرَاءِ: ٩٢]، ﴿وَكَلَّمَهُمُ الْمَوْتَى﴾، فَأَخْبَرُوهُمْ أَنَّكَ رَسُولٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ، وَأَنَّ مَا جِئْتَهُمْ بِهِ هو الحَقُّ، ﴿وَحَشَرْنَا عَلَيْهِمْ كُلَّ شَيْءٍ قُبُلًا﴾، أي: وجمعنا لهم كل شيءٍ اقترحوه من الآياتِ عيانًا ومقابلةً، وَالْحَشْرُ: الْجَمْعُ، وَمِنْهُ قوله تعالى: ﴿وَحُشِرَ لِسُلَيْمانَ جُنُودُهُ﴾ [النَّمْل: ١٧]؛ أي: وجمعَ له، وعُدِّي الحَشْرُ بـ (على) لتضمنه مَعْنَى الإرسال؛ أي: (وأرسلنا عليهم...).

وَقَالَ مُجَاهِدٌ: ﴿قُبُلًا﴾: أَفْوَاجًا، قُبَيْلًا قُبَيْلًا.

وعلى تفسير مجاهد يكون: ﴿قُبُلًا﴾ جَمْعُ قَبِيلٍ وَهُوَ جَمْعُ قَبِيلَةٍ، فَيَكُونُ جَمْعَ الْجَمْعِ.

﴿مَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ يَجْهَلُونَ﴾.

المرَادُ بِهِم أَهْلُ الشَّقَاءِ، وقال: ﴿مَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا﴾، مبالغةً في نفي الإيمان عنهم؛ لِأَنَّ كفرهم كفر إباءٍ واستكبارٍ.

﴿إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ﴾.

اسْتِثْنَاءٌ مِنْ عُمُومِ النَّفْيِ أي: مَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا إِلَّا بِمَشِيئَةِ اللَّهِ، بأنَّ يطهرَ قُلُوبَهُمْ.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

﴿وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ يَجْهَلُونَ﴾.

يَجْهَلُونَ أنَّ الله تعالى يضل من يشاء ويهدي من يشاء، وإسنادُ الجهل إلى أكثرهم من إنصاف القرآن فمنهم عقلاء حلماء دعاهم العقل والحلم إلى قبول الحق والإيمان بالله، وبما جاء به رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَاطِينَ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُورًا وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ﴾. سُورَةُ الْأَنْعَامِ: الآية/ ١١٢

يَقُولُ اللهُ تَعَالَى لرسُولِهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مُسَلِّيًا ومُعَزِّيًا له عَمَّا يجدُهُ من تعنت مشركي قريش، وافترائهم عليه: وَكَمَا جَعَلْنَا لَكَ أَعْدَاءً يُخَالِفُونَكَ وَيُعَادُونَكَ ليصدوا الناس عنك، جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ أَعْدَاءً شَيَاطِينَ مِنَ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ بلغوا الغاية في التَّمَرُّدِ والعنادِ والكفرِ والضلال؛ كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا مِنَ الْمُجْرِمِينَ وَكَفَى بِرَبِّكَ هَادِيًا وَنَصِيرًا﴾.[١]

﴿يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُورًا﴾.

أي: يزين بعضهم لبعض طُرُقَ الضلالِ، وسُبُلَ الغِوايةِ، ووسائل صَدِّ الناس عن دين الله تعالى، بما يزينونه وينمقونه من الكلام، وفي قوله: ﴿يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ﴾، إشارة إلى أنَّ مؤامراتهم تحاك في الخفاء، فإن الوحي يكون خِفْيَةً.

وهذه الصلة بين شياطين الإنس وشياطين الجن قائمة على محاربة دين الله تعالى؛ كما قال تعالى: ﴿وَإِنَّ الشَّيَاطِينَ لَيُوحُونَ إِلَى أَوْلِيَائِهِمْ لِيُجَادِلُوكُمْ﴾.[٢]

وَشَيَاطِينُ الْإِنْسِ أشدُّ خطرًا وأعظم ضررًا مِنْ شَيَاطِينُ الْجِنِّ؛ قَالَ مَالِكُ بْنُ دِينَارٍ: إِنَّ شَيْطَانَ الْإِنْسِ أَشَدُّ عَلَيَّ مِنْ شَيْطَانِ الْجِنِّ، وَذَلِكَ أَنِّي إِذَا تَعَوَّذْتُ بِاللَّهِ ذَهَبَ عَنِّي شَيْطَانُ الْجِنِّ، وَشَيْطَانُ الْإِنْسِ يَجِيئُنِي فَيَجُرُّنِي إِلَى الْمَعَاصِي عِيَانًا.[٣]

---

١ - سورة الفرقان: الآية/ ٤٣

٢ - سورة الْأَنْعَامِ: الآية/ ١٢١

٣ - تفسير القرطبي (٧/ ٦٨)

www.alukah.net
شبكة الألوكة

﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ﴾.

أي: وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لحالَ بينهم وبين ما أرادوا من الإضلال، وإِنَّمَا وقعَ ذَلِكَ منهم بمَشِيئَتِهِ الكونيةِ وقَضَائِهِ تعالى وقَدَرِه، أَمَّا مَشِيئَتُهُ الشَّرعيةِ فلا، قال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ﴾.[1]

﴿فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ﴾.

ثم أمره الله تعالى بتركهم والإعراض عنهم، فسوف يلقون مغبة اختلاقهم الكذب، وصدهم عن سبيل الله تعالى، وهو تهديدٌ شديدٌ بما سيلاقونه من العذاب إذا بُعثِرَ ما في القبور، وحُصِّلَ ما في الصدور.

١ - سورة الأعراف: الآية/ ٢٨

www.alukah.net
شبكة الألوكة

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿وَلِتَصْغَى إِلَيْهِ أَفْئِدَةُ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ وَلِيَرْضَوْهُ وَلِيَقْتَرِفُوا مَا هُمْ مُقْتَرِفُونَ﴾. سُورَةُ الْأَنْعَامِ: الآية/ ١١٣

﴿وَلِتَصْغَى إِلَيْهِ﴾، أَيْ: وَلِتَمِيلَ إِلَيْهِ، والصَّغْو: الميلُ؛ يُقَالُ: أَصْغَى إِلَيْهِ رأْسَه وسَمْعه: أَماله. وأَصْغَيْتُ الْإِنَاءَ إِذَا أَمَلْتُهُ لِيَجْتَمِعَ مَا فِيهِ؛ وَفِي الْحَدِيثِ: "فَجَاءَتْ هِرَّةٌ تَشْرَبُ، فَأَصْغَى لَهَا الإِنَاءَ". أَيْ أَمَالَه لِيَسْهُلَ عَلَيْهَا الشُّربُ مِنْهُ.

وَاللَّامُ فِي: ﴿وَلِتَصْغَى﴾، لَامُ التعليلِ، والكلام معطوفٌ على قَوْلِهِ: ﴿يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُورًا﴾. [الْأَنْعَامِ: ١١٢]؛ لِأَنَّ غُرُورًا فِي مَعْنَى لِيَغُرُّوهُمْ، وتقديرُ الكلامِ: (شَيَاطِين الْإِنْسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ لِيَغُرُّوهُمْ وَلِتَصْغَى إِلَيْهِ أَفْئِدَةُ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ).

والأَفْئِدَةُ: جمعُ فؤادٍ، وهو القَلْبُ؛ أَيْ: قُلُوبُهُمْ، قَالَ السُّدِّيُّ: تَمِيلُ إِلَيْهِ قُلُوبُ الْكُفَّارِ وَيُحِبُّونَهُ وَيَرْضَوْنَ بِهِ.

﴿وَلِيَرْضَوْهُ﴾.

أَيْ: يُحبُون ذلك القولَ المزخرفَ الباطلَ ويَمِيلُون إليه وَيُرِيدُونهُ.

﴿وَلِيَقْتَرِفُوا مَا هُمْ مُقْتَرِفُونَ﴾.

الِاقْتِرَافُ: الاكْتِسَابُ، افْتِعَالُ مِنْ قَرَفَ إِذَا كَسَبَ؛ حسنًا كان أو سوءًا؛ قَالَ تَعَالَى: قَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَنْ يَقْتَرِفْ حَسَنَةً نزِدْ لَهُ فِيهَا حُسْنًا﴾، وهو في الإساءةِ أكثرُ استعمالًا؛ قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْسِبُونَ الْإِثْمَ سَيُجْزَوْنَ بِما كانُوا يَقْتَرِفُونَ﴾.[١]

أَيْ: وَلِيَكْتَسِبُوا مِنَ الْأَثَامِ مَا هُمْ مُكْتَسِبُونَ.

---

١ - سُورَةُ الْأَنْعَام: الآية/ ١٢٠

www.alukah.net
شبكة الألوكة

وفي الكلامِ ترقٍّ من الأدنى إلى الأعلى، لأنه يترتب على الخداعِ بزخرفِ القولِ ميلُ القلوبِ، ثم الرِّضَى به ثم الفعلُ.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿أَفَغَيْرَ اللَّهِ أَبْتَغِي حَكَمًا وَهُوَ الَّذِي أَنْزَلَ إِلَيْكُمُ الْكِتَابَ مُفَصَّلًا وَالَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْلَمُونَ أَنَّهُ مُنَزَّلٌ مِنْ رَبِّكَ بِالْحَقِّ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ﴾. سُورَةُ الْأَنْعَامِ: الآية/ ١١٤

مناسبة الآية لما قبلها:

مناسبة هذه الآية لما قبلها هو أنَّ الْمُشْرِكين حين أنكروا نبوة محمدٍ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، واقْتَرَحُوا عَلَيْهِ جملةً مِنَ الْآيَاتِ تكونُ حكمًا بينه وبينهم، فإنْ تحققت أقرُّوا له بالنبوةِ وآمنوا باللهِ، أَجَابَهُمْ النبيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِأَنَّهُ لَا يَبْتَغِي حَكَمًا غَيْرَ اللَّهِ تعالى، وأنَّ القرآن أعظم آية للدلالةِ على صدقه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

يَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى لِنَبِيِّهِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: قُلْ يا مُحَمَّدُ لِهَؤُلَاءِ الْمُشْرِكِينَ: ﴿أَفَغَيْرَ اللَّهِ أَبْتَغِي حَكَمًا وَهُوَ الَّذِي أَنْزَلَ إِلَيْكُمُ الْكِتَابَ مُفَصَّلًا﴾؛ أي: أفغير الله أطلب حَكَمًا يفصلُ بيني وبينكم؟ وهو سؤالٌ الغرضُ منه النَّفيُ؛ أي: لا ابتغي حكمًا غير الله تعالى.

ومعنى حكمًا أي: فاصلًا يفصلُ بين الحقِّ والباطلِ، والحَكَمُ أبلغُ من الحاكم؛ فالحَكَمُ مَنْ تكرَّرَ منه الحُكْمُ، والحاكمُ يطلق على مَنْ حَكَمَ مرةً واحدةً.

﴿وَهُوَ الَّذِي أَنْزَلَ إِلَيْكُمُ الْكِتَابَ مُفَصَّلًا﴾.

أي: لا ابتغي حكمًا غير اللهِ. واللهُ هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ إِلَيْكُمُ الْكِتَابَ مُوَضَّحًا فيهِ كل إشكالٍ، وَمُبَيَّنًا فِيهِ الْفَصْلَ بَيْنَ الْحَقِّ وَالْبَاطِلِ.

﴿وَالَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْلَمُونَ أَنَّهُ مُنَزَّلٌ مِنْ رَبِّكَ بِالْحَقِّ﴾.

أي: وعلماء أهل الكتاب من اليهود والنصارى، يعلمون أَنَّ القرآنَ مُنَزَّلٌ مِنْ رَبِّكَ بِالْحَقِّ بِمَا عِنْدَهُمْ مِنَ الْبِشَارَاتِ بِرِسَالَتِكَ فِي التوراةِ والإنجيلِ والزبورِ.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

﴿فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ﴾.

أي: فلا تكونَنَّ مِمَنْ يَشُكُّ فِي أَنَّهُمْ يَعْلَمُونَ أَنَّهُ مُنَزَّلٌ مِنْ رَبِّكَ بِالْحَقِّ.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾.

سُورَةُ الْأَنْعَامِ: الآية/ ١١٥

مُنَاسَبَةُ الْآيَةِ لِمَا قَبْلَهَا:

مُنَاسَبَةُ هَذِهِ الْآيَةِ لِمَا قَبْلَهَا هِيَ أَنَّ اللهَ تَعَالَى لَمَّا ذَكَرَ فِي الْآيَةِ السَّابِقَةِ أَنَّهُ أَنْزَلَ الْقُرْآنَ مفصلًا، وأنه مُنَزَّلٌ بالحقِّ ذَكَرَ فِي هَذِهِ الْآيَةِ أَنَّ الْقُرْآنَ تَمَّ فِي كَوْنِهِ مُعْجِزًا لاشتمالِهِ عَلَى الصِّدْقِ فِي الأقوالِ، ومن ذلك توحيدُ اللهِ تعالى والإخبارُ ببعثةِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، والعدلِ فِي الأحكامِ، ومنها وجوبُ طاعتِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، والأخذِ بشريعتِهِ.

قَرَأَهُ عَاصِمٌ، وَحَمْزَةُ، وَالْكِسَائِيُّ، وَيَعْقُوبُ، وَخَلَفٌ: ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ﴾، بِالْإِفْرَادِ، فَقِيلَ: وَالْمُرَادُ بـ ﴿كَلِمَة رَبِّكَ﴾ هنا الْقُرْآنُ، سَمَّاهُ كَلِمَةً كَمَا تَقُولُ الْعَرَبُ لِلْقَصِيدَةِ مِنَ الشِّعْرِ يَقُولُهَا الشَّاعِرُ: هَذِهِ كَلِمَةُ فُلَانٍ.

وَقَرَأَ البَاقُونَ: ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَاتُ رَبِّكَ﴾، بِالْجَمْعِ، وَالْمُرَادُ بها الْقُرْآنُ كَذَلِكَ؛ قَالَ قَتَادَةُ: الْكَلِمَاتُ هِيَ الْقُرْآنُ لَا مُبَدِّلَ لَهُ، لَا يَزِيدُ فِيهِ الْمُفْتَرُونَ وَلَا يَنْقُصُونَ.

وقيلَ المرادُ بـ ﴿كَلِمَتُ رَبِّكَ﴾ الوَعْدُ وَالوَعِيدُ وَالثَّوَابُ وَالعِقَابُ، لَا تَبْدِيلَ لشيءٍ مِنْ ذلكَ وَلَا تَغْيِيرَ؛ كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿مَا يُبَدَّلُ الْقَوْلُ لَدَيَّ﴾.[1]

قَالَ قَتَادَةُ: صِدْقًا فِيمَا قَالَ، وَعَدْلًا فِيمَا حَكَمَ.

فَكُلُّ مَا أَخْبَرَ بِهِ فَهُو حَقٌّ يجبُ الإيمانُ به وتصديقه، وَكُلُّ مَا أَمَرَ بِهِ فَهُوَ عَدْلٌ يجب امتثالُهُ، وَكُلُّ مَا نَهَى عَنْهُ فَهُوَ بَاطِلٌ يجبُ اجتنابُهُ.

---

١ - سورة ق: الآية/ ٢٩

www.alukah.net
شبكة الألوكة

﴿لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ﴾.

(لا) نَفْيَةٌ للجِنْسِ؛ أَيْ: لا يوجد مَنْ يُمكنه تغييرُ كَلِمَاتِ اللهِ تعالى؛ فهي مَصُونَةٌ عَنِ التَّحْرِيفِ وَالتَّغْيِيرِ؛ كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ [الْحِجْرِ: ٩]، التَّبْدِيلُ: حَقِيقَتُهُ جَعْلُ شَيْءٍ مَكَانَ شَيْءٍ آخَرَ.

﴿وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾.

أي: وَهُوَ السَّمِيعُ لِمَا يقوله العبادُ، الْعَلِيمُ بنياتهم وأعمالهم.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿وَإِنْ تُطِعْ أَكْثَرَ مَنْ فِي الْأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ (١١٦) إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ مَنْ يَضِلُّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾.

سُورَةُ الْأَنْعَامِ: الآية/ ١١٦، ١١٧

يقول اللهُ تعالى لِنَبِيِّهِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ردًّا على أولئك المشركينَ، الذي أرادوا الاحتكامَ لغير الله تعالى في نسبة القرآن لله تعالى، وصحة نبوة رسولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ﴿وَإِنْ تُطِعْ أَكْثَرَ مَنْ فِي الْأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾، فهذا خبرٌ عن حالهم وحالِ أكثرِ أهل الأرض مِنْ بَنِي آدَمَ أنهم ضَالُّونَ مُضِلُّونَ، فهم في ضلالٍ مبينٍ، وأنهم حريصون على إضلالِ من أطاعهم عن المنهج القويم، والصراط المستقيم؛ كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَا أَكْثَرُ النَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ﴾ [يُوسُفَ: ١٠٣]، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَقَدْ ضَلَّ قَبْلَهُمْ أَكْثَرُ الأَوَّلِينَ﴾.[١]

﴿إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ﴾.

(إِنْ) نافيةٌ، أي: ما يَتَّبِعُ هؤلاءِ إِلَّا الظَّنَّ، وليس عندهم يقينٌ فيما يقولونه ويفعلونه، ولا فيما يدينون به ويعتقدونه؛ كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَا يَتَّبِعُ أَكْثَرُهُمْ إِلا ظَنًّا إِنَّ الظَّنَّ لَا يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئًا﴾ [يونس: ٣٦]، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلا الظَّنَّ وَمَا تَهْوَى الأَنْفُسُ﴾.[٢]

﴿وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ﴾.

يطلق الخرص ويرادُ به الحزرُ، والتخمينُ؛ ومنه قولهم: خرص التمر للزكاة: أي: حزر ما على النخل من الرطب تمرًا، وعلى هذا يكون المرادُ: وما هؤلاءِ إلا أناسٌ يحسبونَ أَنْفُسَهُمْ عَلَى الْحَقِّ، وليس لهم فيه حظٌّ ولا نصيبٌ، وعلى هذا القول يكون الكلام تأكيدًا لما قبله.

---

١ - سُورَةُ الصَّافَّاتِ: الآية/ ٧١

٢ - سُورَةُ النَّجْمِ: الآية/ ٢٣

www.alukah.net
شبكة الألوكة

ويطلقُ الخرص ويرادُ به الكذب؛ يُقَالُ: خَرَصَ يَخْرُصُ خَرْصًا وَخِرْصًا: أَيْ كَذِبَ؛ كما في قوله تعالى: ﴿قُتِلَ الْخَرَّاصُونَ﴾ [الذَّارِيَاتِ: ١٠]، قَالَ مُجَاهِدٌ: الْكَذَّابُونَ.

وهذا القول أقرب هنا؛ لأن فيه تأسيسًا، وهو أولى من التأكيدِ.

﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ مَنْ يَضِلُّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾.

أَيْ: إِنَّ رَبَّكَ أَعْلَمُ أَيُّ النَّاسِ يَضِلُّ عَنْ سَبِيلِهِ، وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ، وقوله: ﴿هُوَ أَعْلَمُ﴾. لِإِفَادَةِ قَصْرِ العلمِ بذلك عَلَى اللَّهِ تَعَالَى، والإخبار عن علمه تعالى بالضالين والمهتدين كناية عن مجازتهما.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿فَكُلُوا مِمَّا ذُكِرَ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ إِنْ كُنْتُمْ بِآيَاتِهِ مُؤْمِنِينَ﴾. سُورَةُ الْأَنْعَامِ: الآية/ ١١٨

مُنَاسَبَةُ الْآيَةِ لِمَا قَبْلَهَا:

لَمَّا تَوَعَّدَ اللهُ تَعَالَى مَنْ ضلَّ عَنْ سَبِيلِهِ بقولِهِ: ﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ مَنْ يَضِلُّ عَنْ سَبِيلِهِ﴾. [الْأَنْعَامِ: ١١٧]، ما أحدثَهُ المشركون من تشريعاتٍ باطلةٍ، ومنها اباحةُ أكلِ الميتةِ، وتحريمِ البحيرة والسائبة والوصيلة والحام، وغيرها مما أحدثوه وجعلوه دينًا يدينون به.

سَبَبُ نُزُولِ الآيَةِ:

سَبَبُ نُزُولِ هَذِهِ الآيَةِ أَنَّ الْمُشْرِكِينَ قَالُوا لرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أَخْبِرْنَا عَنِ الشَّاةِ إِذَا مَاتَتْ مَنْ قَتَلَهَا؟ فَقَالَ: «اللَّهُ قَتَلَهَا»، قَالُوا: فَتَزْعُمُ أَنَّ مَا قَتَلْتَ أَنْتَ وَأَصْحَابُكَ حَلَالٌ، وَمَا قَتَلَهُ اللَّهُ حَرَامٌ؟ فأنزل الله تعالى هذه الآية.

عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبَّاسٍ، قَالَ: "أَتَى أُنَاسٌ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَنَأْكُلُ مَا نَقْتُلُ وَلَا نَأْكُلُ مَا يَقْتُلُ اللَّهُ؟ فَأَنْزَلَ اللَّهُ: ﴿فَكُلُوا مِمَّا ذُكِرَ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ إِنْ كُنْتُمْ بِآيَاتِهِ مُؤْمِنِينَ﴾ [الأنعام: ١١٨]، إِلَى قَوْلِهِ: ﴿وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ﴾ [الأنعام: ١٢١]"[١].

وَعَنْ عِكْرِمَةَ: أَنَّ نَاسًا مِنَ الْمُشْرِكِينَ دَخَلُوا عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالُوا: أَخْبِرْنَا عَنِ الشَّاةِ إِذَا مَاتَتْ مَنْ قَتَلَهَا؟ فَقَالَ: «اللَّهُ قَتَلَهَا»، قَالُوا: فَتَزْعُمُ أَنَّ مَا قَتَلْتَ أَنْتَ

١ - رواه أبو داود-كِتَاب الضَّحَايَا، بَابٌ فِي ذَبَائِحِ أَهْلِ الْكِتَابِ، حديث رقم: ٢٨١٩، والترمذي- أَبْوَابُ تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، بَابٌ: وَمِنْ سُورَةِ الأَنْعَامِ، حديث رقم: ٣٠٦٩، بسند صحيح

www.alukah.net
شبكة الألوكة

وَأَصْحَابُكَ حَلَالٌ، وَمَا قَتَلَهُ اللَّهُ حَرَامٌ؟ فَأَنْزَلَ اللَّهُ: ﴿وَلَا تَأْكُلُوا مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ﴾ [الأنعام: ١٢١].[١]

﴿فَكُلُوا مِمَّا ذُكِرَ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ﴾.

هذا أمر من الله تعالى بمخالفة هدي المشركين الذين لا يذكرون اسم الله تعالى على ذبائحهم، وإنما يذكرون أسماء أصنامهم، أي: كُلُوا مِمَّا ذُكِرَ عَلَيْهِ اسْمُ اللَّهِ، لا ما ذُكِرَ عَلَيْهِ اسْمُ غيرِ اللَّهِ ولا ما ماتَ حتفَ أنفِهِ، كما يفعل الوثنيون الذين يحلون ما حرم الله ويحرمون ما أحل الله افتراءًا عليه، ولا يلزم من الأمر بالتسمية تحريم ما ترك المسلم التسمية عليه من الذبائح.

قال عطاءٌ: هذه الآية أمر بذكر اسم الله على الشراب والطعام والذبح وكل مطعوم.

﴿إِنْ كُنْتُمْ بِآيَاتِهِ مُؤْمِنِينَ﴾.

فإنَّ من لوازم الإيمان بآيات الله امتثال أمر الله تعالى واجتناب نهيه.

---

١ - تفسير الطبري (٩/ ٥٢٣)

www.alukah.net
شبكة الألوكة

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿وَمَا لَكُمْ أَلَّا تَأْكُلُوا مِمَّا ذُكِرَ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَقَدْ فَصَّلَ لَكُمْ مَا حَرَّمَ عَلَيْكُمْ إِلَّا مَا اضْطُرِرْتُمْ إِلَيْهِ وَإِنَّ كَثِيرًا لَيُضِلُّونَ بِأَهْوَائِهِمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِالْمُعْتَدِينَ﴾. سُورَةُ الْأَنْعَامِ: الآية/ ١١٩

الخطاب في الآية للمسلمين وهو معطوف على الآية السابقة: ﴿فَكُلُوا مِمَّا ذُكِرَ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ﴾، وذلك أن بعض المسلمين تحرجوا من الأكلِ من البحائرِ والسوائبِ ونحوِها، ولو كانت مِمَّا ذُكِرَ عليها اسْمُ اللَّهِ تعالى، تأثرًا بما كان عليه المشركون من اعتقاداتٍ باطلةٍ، وتشريعاتٍ جائرةٍ، والمعنى: وأي شيء يمنعكم أن تأكلوا مما ذكر اسم الله عليه؟ وهو سؤال الغرض منه الإنكار على مَنْ تحرَّجَ من الأكلِ مِمَّا ذُكِرَ اسمُ اللَّهِ عليهِ بعد بيان ما أحله الله تعالى وما حرمه.

﴿وَقَدْ فَصَّلَ لَكُمْ مَا حَرَّمَ عَلَيْكُمْ﴾.

أَيْ: وَقَدْ بَيَّنَ اللهُ تَعَالَى لَكُمْ مَا حَرَّم عَلَيكُم، بيانًا لا يلتبس عليكم؛ ومن ذلك قوله تعالى: ﴿وَلَا تَأْكُلُوا مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ﴾. [الْأَنْعَامِ: ١٢١]، وقوله تعالى: ﴿قُلْ لَا أَجِدُ فِي مَا أُوحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّمًا عَلَى طَاعِمٍ يَطْعَمُهُ إِلا أَنْ يَكُونَ مَيْتَةً أَوْ دَمًا مَسْفُوحًا أَوْ لَحْمَ خِنزِيرٍ﴾.[1]

﴿إِلَّا مَا اضْطُرِرْتُمْ إِلَيْهِ﴾.

أَيْ: إِلَّا ما ألجأتكم إليه الضرورةُ، فَإِنَّهُ يُباحُ لَكُم مَا وَجَدتُم ولو كان محرمًّا، وهو استِثنَاءٌ مُنقَطِعٌ.

١ - سورةُ الْأَنْعَامِ: الآية/ ١٤٥

www.alukah.net
شبكة الألوكة

﴿وَإِنَّ كَثِيرًا لَيُضِلُّونَ بِأَهْوَائِهِمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾.

أي: وإن كثيرًا من المشركين لَيُضِلُّونَ بِأَهْوَائِهِم من استجاب لهم من الطغامِ، ومنهم عَمْرُو بْنُ لُحَيٍّ أَوَّلُ مَنْ غَيَّرَ دِينَ إِسْمَاعِيلَ وَبَحَّرَ الْبَحَائِرَ وَسَيَّبَ السَّوَائِبَ، وَأَكَلَ الْمَيْتَةَ، وما أَقْدَمَ عَلَى ذلك إلا عَنِ جَهَالَةٍ.

﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِالْمُعْتَدِينَ﴾.

تهديدٌ ووعيدٌ لأولئك المضِلينَ الذين تعدوا على شرع الله تعالى، فأحلوا ما حرَّمَ اللهُ وحرَّمُوا ما أحلَّ اللهُ تعالى.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿وَذَرُوا ظَاهِرَ الْإِثْمِ وَبَاطِنَهُ إِنَّ الَّذِينَ يَكْسِبُونَ الْإِثْمَ سَيُجْزَوْنَ بِمَا كَانُوا يَقْتَرِفُونَ﴾. سُورَةُ الْأَنْعَامِ: الآية/ ١٢٠

مناسبة الآية لما قبلها:

لما تحرج المسلمون من الأكل من البحيرة والسائبةِ والوصيلة والحام ونحوِها، ولو كانت مِمَّا ذُكِرَ اسْمُ اللَّهِ تعالى عليها، بيَّنَ اللهُ تعالى هنا أنَّ الورعَ ليس في تجنُّبِ ما أحلَّهُ اللهُ بل فيما حرَّمَه اللهُ تعالى وهو الإثمُ ظاهره وباطنه.

وقال الفخر الرازي: لَمَّا بَيَّنَ أَنَّهُ فَصَّلَ الْمُحَرَّمَاتِ أَتْبَعَهُ بِمَا يُوجِبُ تَرْكَهَا بِالْكُلِّيَّةِ بِقَوْلِهِ: ﴿وَذَرُوا ظَاهِرَ الْإِثْمِ وَبَاطِنَهُ﴾.[١]

﴿وَذَرُوا ظَاهِرَ الْإِثْمِ وَبَاطِنَهُ﴾.

هذه الآية جملة معترضة بين الأمر بأكل ما ذكر اسم الله عليه، وبين النهي عما لم يذكر اسم الله عليه، أي: واتركوا أيها الناس قَلِيل الْإِثْمِ وَكَثِيرَهُ، سِرَّهُ وَعَلَانِيَتَهُ.

قَالَ قَتَادَةُ: ﴿وَذَرُوا ظَاهِرَ الْإِثْمِ وَبَاطِنَهُ﴾. أَيْ قَلِيلُهُ وَكَثِيرُهُ وَسِرُّهُ وَعَلَانِيَتُهُ.

وَقَالَ مُجَاهِدٌ: ﴿وَذَرُوا ظَاهِرَ الْإِثْمِ وَبَاطِنَهُ﴾. مَعْصِيَتَهُ فِي السِّرِّ وَالْعَلَانِيَةِ.

وهذه الآية كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَلا تَقْرَبُوا الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ﴾ [الْأَنْعَامِ: ١٥١]، وَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَأَنْ تُشْرِكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنزلْ بِهِ سُلْطَانًا وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾.[٢]

---

١ - تفسير الرازي (١٣/ ١٣٠)

٢ - سورة الْأَعْرَافِ: الآية/ ٣٣

www.alukah.net
شبكة الألوكة

وَعَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَا أَحَدٌ أَغْيَرَ مِنَ اللهِ، وَلِذَلِكَ حَرَّمَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ».[1]

﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْسِبُونَ الْإِثْمَ سَيُجْزَوْنَ بِمَا كَانُوا يَقْتَرِفُونَ﴾.

تَعليلٌ لِلأَمرِ بِتَركِ الإِثمِ، وتهديدٌ ووعيدٌ لِمَنْ أسرفَ على نفسِهِ باقترافِ المحرَّماتِ، وهذه الآية كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿مَنْ يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزَ بِهِ﴾.[2]

والْإِثْمُ فِي اللُّغَةِ: الْقَبِيحُ الضَّارُّ، وَفِي الشَّرْعِ: كُلُّ مَا حَرَّمَهُ اللهُ تَعَالَى، ويطلق غالبًا على الكبائر؛ كما قال تعالى: ﴿الَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَائِرَ الإِثْمِ وَالْفَوَاحِشَ إِلا اللَّمَمَ﴾.[3]

وَظَاهِرُ الآيةِ يَدُلُّ عَلَى أَنَّهُ لَا بُدَّ وَأَنْ يُعَاقَبَ المذنِبُ، وأجمعَ أهل السُّنَّةِ على أنَّ مرتكبَ الكبيرةِ إنْ ماتَ ولَمْ يتبْ فهو في مشيئةِ اللهِ تعالى إنْ شَاءَ عفا عنه وإن شاء عذبه؛ لقولِهِ تَعَالَى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذلِكَ لِمَنْ يَشاءُ﴾.[4]

أي: إن الذين يرتكبون ما نهاهم الله عنه من الآثام سَيُجْزَوْنَ يوم القيامة بِما كانُوا يسكبون في الدنيا من الآثام.

---

١ - رواه البخاري- كِتَابُ النِّكَاحِ، بَابُ الغَيْرَةِ، حديث رقم: ٥٢٢٠، ومسلم- كتاب التَّوْبَةِ، بَابُ غَيْرَةِ اللهِ تَعَالَى وَتَحْرِيمِ الْفَوَاحِشِ، حديث رقم: ٢٧٦٠

٢ - سورة النساء: الآية/ ١٢٣

٣ - سورة النجم: الآية/ ٣٢

٤ - سورة النساء: الآية/ ٤٨

www.alukah.net
شبكة الألوكة

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿وَلَا تَأْكُلُوا مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَإِنَّهُ لَفِسْقٌ وَإِنَّ الشَّيَاطِينَ لَيُوحُونَ إِلَى أَوْلِيَائِهِمْ لِيُجَادِلُوكُمْ وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ﴾. سُورَةُ الْأَنْعَامِ: الآية/ ١٢١

مناسبة الآية لما قبلها:

لما أمر الله تعالى المؤمنين بالأكل مما ذكر اسم الله عليه، ونهاهم عن ترك الأكل مما حرمه المشركون من البحائر والسوائب ونحوها، نهى تعالى هنا عن الأكل مما لم يذكر اسم الله عليه.

﴿وَلَا تَأْكُلُوا مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ﴾.

اختلف العلماء في حكم الأكل مما لم يذكر اسم الله عليه على أقول ثلاثة:

الأول: أن التسمية واجبة ولا تسقط بحال، ويحرم الأكل مما لم يذكر اسم الله عليه، ولو كانت ذبيحة مسلم لظاهر هذه الآية، وسواء كان ترك التسمية عمدًا أو سهوًا، وهو قول ابن عمر والشعبي وابن سيرين، وهو مذهب داود بن علي الظاهري، وأحمد ورواية عن مالك، قال ابن قدامة: الشَّرْطُ الثَّانِي، أَنْ يُسَمِّيَ عِنْدَ إرْسَالِ الْجَارِحِ، فَإِنْ تَرَكَ التَّسْمِيَةَ عَمْدًا أَوْ سَهْوًا، لَمْ يُبَحْ، هَذَا تَحْقِيقُ الْمَذْهَبِ وَهُوَ قَوْلُ الشَّعْبِيِّ، وَأَبِي ثَوْرٍ وَدَاوُد.[1]

واستدلوا بقوله تعالى: ﴿فَكُلُوا مِمَّا أَمْسَكْنَ عَلَيْكُمْ وَاذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهِ﴾ [المائدة: ٤]، وبما ثبت عَنْ عَدِيِّ بْنِ حَاتِمٍ، قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، إِنِّي أُرْسِلُ الْكِلَابَ الْمُعَلَّمَةَ، فَيُمْسِكْنَ عَلَيَّ، وَأَذْكُرُ اسْمَ اللهِ عَلَيْهِ، فَقَالَ: «إِذَا أَرْسَلْتَ كَلْبَكَ الْمُعَلَّمَ، وَذَكَرْتَ اسْمَ اللهِ عَلَيْهِ فَكُلْ».[2]

---

١ - المغني لابن قدامة (٩/ ٣٦٧)

٢ - رواه البخاري- كِتَابُ الوُضُوءِ، بَابُ المَاءِ الَّذِي يُغْسَلُ بِهِ شَعَرُ الإِنْسَانِ، حديث رقم: ١٧٥، ومسلم- كِتَابُ الصَّيْدِ وَالذَّبَائِحِ وَمَا يُؤْكَلُ مِنَ الحَيَوَانِ، بَابُ الصَّيْدِ بِالْكِلَابِ الْمُعَلَّمَةِ، حديث رقم: ١٩٢٩

www.alukah.net
شبكة الألوكة

الثاني: أن التسمية مستحبة وليست واجبة، وهو قول أبي هريرة، وابن عباس، وعطاء ابن أبي رباح، ومذهب الشافعي ورواية عن مالك وأحمد حكاها عنه حنبلٌ؛ واستدلوا بما ثبت عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: أَنَّ قَوْمًا قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّ قَوْمًا يَأْتُونَنَا بِاللَّحْمِ لاَ نَدْرِي أَذَكَرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهِ أَمْ لاَ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «سَمُّوا اللَّهَ عَلَيْهِ وَكُلُوهُ».[1]

الثالث: التفصيل بين ترك التسمية عمدًا ونسيانًا، فإِنْ تَرَكَها نِسْيَانًا لَمْ يَضُرَّ وَإِنْ تَرَكَهَا عَمْدًا لَمْ تحل؛ وهو قول علي، وابنِ عبَّاسٍ، وَسَعِيدِ بنِ المسَيَّب، وعَطَاء، وَطَاوُسٍ، وَالْحَسَنِ الْبَصْرِي، وهو مذهب أبي حنيفة والمشهور عن مالك، والرواية الثالثة عن أحمد؛ لما ثبت عَنْ أَبِي ذَرٍّ الْغِفَارِيِّ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّ اللَّهَ قَدْ تَجَاوَزَ عَنْ أُمَّتِي الْخَطَأَ، وَالنِّسْيَانَ، وَمَا اسْتُكْرِهُوا عَلَيْهِ».[2]

﴿وَإِنَّهُ لَفِسْقٌ﴾.

أي: وإنَّ الأكل مما لم يُذْكَرُ اسمُ اللهِ عليه لمعصيةٌ وخروجٌ عن طاعةِ اللهِ تعالى.

---

١ - رواه البخاري- كِتَابُ البُيُوعِ، بَابُ مَنْ لَمْ يَرَ الوَسَاوِسَ وَنَحْوَهَا مِنَ الشُّبُهَاتِ، حديث رقم: ٢٠٥٧

٢ - رواه ابن ماجه- كِتَابُ الطَّلَاقِ، بَابُ طَلَاقِ الْمُكْرَهِ وَالنَّاسِي، حديث رقم: ٢٠٤٣، بسند صحيح

www.alukah.net
شبكة الألوكة

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿وَإِنَّ الشَّيَاطِينَ لَيُوحُونَ إِلَى أَوْلِيَائِهِمْ لِيُجَادِلُوكُمْ وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ﴾. سُورَةُ الْأَنْعَامِ: الآية/ ١٢١

لما نهى الله تعالى عن الأكل من متروك التسمية، بين تبارك وتعالى مصدر الشبهات التي يلقيها المشركون؛ فقال: ﴿وَإِنَّ الشَّيَاطِينَ لَيُوحُونَ إِلَى أَوْلِيَائِهِمْ لِيُجَادِلُوكُمْ﴾، والوحي هنا: الوسوسة، وقيل لها وحي؛ لخفائها ولطفها، حتى توهم المشركون أنها إلهام.

والشياطين هم شياطين الجن، وأولياؤهم المشركون، ألقوا إليهم بالوساوس ليجادلوا أولياء الرحمن في أحكام الله وتشريعاته، ومن تلك الشبهات التي ألقت بها الشياطين إليهم قولهم: (أتأكلون ممّا قتلتم ولا تأكلون مما قتل الله)؟ يعنون بذلك الميتة.

قَالَ السُّدِّي: إِنَّ الْمُشْرِكِينَ قَالُوا لِلْمُؤْمِنِينَ: كَيْفَ تَزْعُمُونَ أَنَّكُمْ تَتَّبِعُونَ مَرْضَاةَ اللَّهِ، وَمَا ذَبَحَ اللَّهُ فَلَا تَأْكُلُونَهُ، وَمَا ذَبَحْتُمْ أَنْتُمْ أَكَلْتُمُوهُ؟

﴿وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ﴾.

أي: وإن أَطعتُمُوهُم فِي أَكلِ مَا نَهيتُكُم عنه، إِنَّكُم إذن لَمُشرِكُون، وهو تحذيرٌ شديدٌ من اللهِ تعالى للمؤمنين أن يسلكوا سبيلَ المشركين وأَنْ يُطِيعُوهُم فيما يُجلُونَه ويُحَرِّمُونَه بأَهوائِهم؛ لأنَّ العبوديةَ هي كمالُ الطاعةِ مع كمالِ الحبِّ والذلِّ، ولا تنبغي إلا لله تعالى، فإذ وَجِدَ ذلك من أحدِ من النَّاسِ فهو عبدٌ لهذا الذي أطاعه كمالَ الطاعةِ حتى قدَّمَ أمْرَه على أمرِ اللهِ تعالى؛ كما قالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لعَدِيِّ بْنِ حَاتِمٍ رضي الله؛ فعَنْ عَدِيِّ بْنِ حَاتِمٍ، قَالَ: أَتَيْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَفِي عُنُقِي صَلِيبٌ مِنْ ذَهَبٍ. فَقَالَ: «يَا عَدِيُّ اطْرَحْ عَنْكَ هَذَا الوَثَنَ»، وَسَمِعْتُهُ يَقْرَأُ فِي سُورَةِ بَرَاءَةٌ: ﴿اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ

www.alukah.net
شبكة الألوكة

اللَّهِ﴾ [التوبة: ٣١]، قَالَ: «أَمَا إِنَّهُمْ لَمْ يَكُونُوا يَعْبُدُونَهُمْ، وَلَكِنَّهُمْ كَانُوا إِذَا أَحَلُّوا لَهُمْ شَيْئًا اسْتَحَلُّوهُ، وَإِذَا حَرَّمُوا عَلَيْهِمْ شَيْئًا حَرَّمُوهُ».[1]

١ - رواه الترمذي- أَبْوَابُ تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، بَابٌ: وَمِنْ سُورَةِ التَّوْبَةِ، حديث رقم: ٣٠٩٥، بسند حسن

www.alukah.net
شبكة الألوكة

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿أَوَمَنْ كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَنْ مَثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِنْهَا كَذَلِكَ زُيِّنَ لِلْكَافِرِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾. سُورَةُ الْأَنْعَامِ: الآية/ ١٢٢

مناسبة الآية لما قبلها:

مناسبة هذه الآية لما قبلها أن الله تعالى لما ذكر حال الكفار وأخبر أنهم يضلون بأهوائهم، بقوله تَعَالَى: ﴿وَإِنَّ كَثِيرًا لَيُضِلُّونَ بِأَهْوَائِهِمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾. [الْأَنْعَامِ: ١١٩]، ونهى المؤمنين عن الاستجابة لهم، شرع يبين حال الفريقين بضرب المثل لهما، حال المؤمنين المهتدين، للاقتداء بهم، وحال الكافرين الضالين للتنفير عنهم، والتحذير من طريقتهم.

﴿أَوَمَنْ كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَنْ مَثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِنْهَا﴾.

هَذَا مَثَلٌ ضَرَبَهُ اللَّهُ تَعَالَى لِلْمُؤْمِنِ الذي كانَ ضَالًّا حَائِرًا، فأَحْيَا قَلْبَهُ بِالْإِيمَانِ، وَهَدَاهُ لَهُ، ووفقه لطاعته وطاعة رسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وجعل له القرآن نبراسًا ينير له حياته، ويهتدي به إلى الصراط المستقيم، الذي يوصله إلى رضوان الله والجنة، وفي المقابل ذكر الله تعالى من لم يرفع بالإيمان رأسًا، ولم يقبل هدى الله الذي أنزل في كتابه على رسوله محمدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فهو يتخبط في ظلمات الجهل، ويتردى في مهاوي الضلال، ولا مخرج له منها، لأنه لا نجاة منها إلى بالإيمان، وطاعة الرحمن.

وقَدْ وَصَفَ اللَّهُ تَعَالَى الإيمان بالحياة؛ كما قَالَ تَعَالَى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ﴾ [الْأَنْفَالِ: ٢٤]، فجَعِلَ الْهُدَى حَيَاةً، وَالْمُهْتَدِي حَيًّا، وَوَصَفَ الْكُفَّارَ بِأَنَّهُمْ أَمْوَاتٌ كَمَا فِي قَوْلِهِ: ﴿أَمْواتٌ غَيْرُ أَحْياءٍ وَما يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ﴾ [النَّحْلِ: ٢١]، قَالَ تَعَالَى: ﴿لِيُنْذِرَ مَنْ كانَ حَيًّا﴾ [يس: ٧٠]، وقَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّكَ لَا

www.alukah.net
شبكة الألوكة

تُسْمِعُ الْمَوْتى﴾ [النّمْلِ: ٨٠]، فجَعِلَ الْكُفْرَ مَوْتًا وَالْكَافِرَ مَيِّتًا؛ لأنَّه لا يستجيبُ لِدَاعِي الهُدَى، كما لا يستجيبُ الْمَيِّتُ لِمَنْ دَعَاه.

﴿كَذَلِكَ زُيِّنَ لِلْكَافِرِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾.

أي: كَذَلِكَ زُيِّنَ لهؤلاء الكفار الضَّالين ما هم فيه من الضَّلالِ والحيرةِ في الاعتقادِ، والجهل والسفه فيما أحدثوه من تشريعات مخالفة لأمر الله تعالى.

والذي زَيَّنَ لهم ما هم فيه من الضلال هو الله تعالى، أراد بهم ذلك كونًا وقدرًا، ونهاهم عنه شرعًا لحكمة بالغة قضاها سبحانه وتعالى؛ كما قال تعالى: ﴿كَذَلِكَ زَيَّنَّا لِكُلِّ أُمَّةٍ عَمَلَهُمْ﴾.[1]

١ - سُورَةُ الْأَنْعَامِ: الآية/ ١٠٨

www.alukah.net
شبكة الألوكة

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ أَكَابِرَ مُجْرِمِيهَا لِيَمْكُرُوا فِيهَا وَمَا يَمْكُرُونَ إِلَّا بِأَنْفُسِهِمْ وَمَا يَشْعُرُونَ﴾. سُورَةُ الْأَنْعَامِ: الآية/ ١٢٣

يخبر الله تعالى عن وجه الشبه بين مشركي مكة، وأعداء الرسل في كل عصر ومصر، فيقول تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ.....﴾. أي: وكما جعلنا في مكة أكابر من المجرمين يضلون بأهوائهم، ويصدون عن سبيل الله من آمن، جعلنا كذلك في كل قريَة أكابر مجرِميها لِيمكروا فيها بمحاربةِ الرسلِ وصدِّ العباد عن دين الله تعالى.

و(أَكَابِرُ) جَمْعُ الْأَكْبَرِ، ويقال لهم: الملأ، وهم المترفون، وهم أعداء الرسل عليهم السلام.

قَالَ ابنُ عَبَّاسٍ في قولِهِ: ﴿أَكَابِرَ مُجْرِمِيهَا﴾: سَلَّطنا شِرَارَهَا فَعَصَوْا فِيهَا، فَإِذَا فَعَلُوا ذَلِكَ أَهْلَكْنَاهُمْ بِالْعَذَابِ.

وَقَالَ مُجَاهِدٌ: ﴿أَكَابِرَ مُجْرِمِيهَا﴾: عُظَمَاءَهَا.

وَخَصَّ اللهُ تعالى أَكَابِرَ المجرِمِينَ بِالذِّكرِ؛ لِأَنَّهُم أَقدَرُ عَلَى الفَسَادِ.

قال الفخر الرازي: في الآية تقديمٌ وتأخيرٌ، وتقدير الكلام: (وكذلك جعلنا في كل قريَة مجرِميها أكابر ليمكروا فيها)، قال الزجاج: إنَّما جَعلَ المجرِمِينَ أكَابِرَ لِأَنَّهُم لأَجلِ رئاستهم أَقدَرُ على الْغَدرِ وَالمكرِ وَتَرويجِ الأَبَاطِيلِ على النَّاسِ مِن غَيرِهِم.[1]

وهذه الآية كقَولهِ تَعَالَى: ﴿وَإِذَا أَرَدْنَا أَنْ نُهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ فَدَمَّرْنَاهَا تَدْمِيرًا﴾ [الْإِسْرَاءِ: ١٦]؛ أي: أمرناهم بالطاعة ففسقوا وعصوا أمر الله تعالى، وكما قَالَ تَعَالَى: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا مِنَ الْمُجْرِمِينَ وَكَفَى بِرَبِّكَ هَادِيًا وَنَصِيرًا﴾.[2]

١ - تفسير الرازي (١٣/ ١٣٥)

٢ - سورةُ الْفُرْقَانِ: الآية/ ٣١

www.alukah.net
شبكة الألوكة

﴿لِيَمْكُرُوا فِيهَا﴾.

قال الراغب: الْمَكْرُ: صرف الغير عمّا يقصده بحيلة.[1]

وأصل الْمَكْرِ فِي اللُّغَةِ: الفتلُ؛ لأنَّ الْمَاكِرَ يَفْتِلُ مَنْ أَرَادَ أن يمكرَ به عَنِ الِاسْتِقَامَةِ، أَيْ: يَصْرِفَهُ عَنْهَا، وَالْمُرَادُ بِهِ هُنَا: تزيين الباطلِ والضلالِ ودعاءُ الناسِ إليه، وتنفيرهم عن دين الله تعالى.

قَالَ مُجَاهِدٌ: كَانُوا يجلِسُونَ عَلَى كُلِّ عَقَبَةٍ أَربَعَةً يُنَفِّرُونَ النَّاسَ عَنِ اتِّبَاعِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ، كَمَا فَعَلَ مَنْ قَبْلَهُمْ مِنَ الْأُمَمِ السَّالِفَةِ بِأَنْبِيَائِهِم.

﴿وَمَا يَمْكُرُونَ إِلَّا بِأَنْفُسِهِمْ وَمَا يَشْعُرُونَ﴾.

أَيْ: وَمَا يَعُودُ وَبَالُ مَكْرِهِمْ إِلَّا عَلَى أَنْفُسِهِمْ، كما قال تعالى: ﴿وَلَا يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِ﴾.[2]

قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ كَعْبٍ القُرَظِي: ثَلَاثٌ مَنْ كُنْ فِيهِ كُنَّ عَلَيْهِ، الْبَغْيُ وَالنَّكْثُ وَالْمَكْرُ، وَتَصْدِيقُهَا فِي كِتَابِ اللَّهِ: ﴿وَلا يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلا بِأَهْلِهِ﴾ [فاطر: ٤٣]، ﴿إِنَّمَا بَغْيُكُمْ عَلَى أَنْفُسِكُمْ﴾ [يُونُسَ: ٢٣]، ﴿فَمَنْ نَكَثَ فَإِنَّمَا يَنْكُثُ عَلَى نَفْسِهِ﴾.[3]

---

١ - المفردات في غريب القرآن (ص: ٧٧٢)

٢ - سورة فاطر: الآية/ ٤٣

٣ - سورة الْفَتْحِ: الآية/ ١٠

www.alukah.net
شبكة الألوكة

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿وَإِذَا جَاءَتْهُمْ آيَةٌ قَالُوا لَنْ نُؤْمِنَ حَتَّى نُؤْتَى مِثْلَ مَا أُوتِيَ رُسُلُ اللَّهِ اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ سَيُصِيبُ الَّذِينَ أَجْرَمُوا صَغَارٌ عِنْدَ اللَّهِ وَعَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا كَانُوا يَمْكُرُونَ﴾.

سُورَةُ الْأَنْعَامِ: الآية/ ١٢٤

لما أخبر الله تعالى عن عوام المشركين فيما مضى أنهم ﴿أَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَئِنْ جَاءَتْهُمْ آيَةٌ لَيُؤْمِنُنَّ بِهَا﴾ [الْأَنْعَامِ: ١٠٩]، أخبر الله تعالى هنا عن كبرائهم أنهم إِذَا جَاءَتْهُمْ آيَةٌ ﴿قَالُوا لَنْ نُؤْمِنَ حَتَّى نُؤْتَى مِثْلَ مَا أُوتِيَ رُسُلُ اللَّهِ﴾؛ أرادوا حتى تنزل عليه الملائكة بالوحي من السماء، وتجري المعجزات على أيديهم، كما يقع لرسل الله عليهم السلام، فعُلِمَ أن كفرهم كفر عنادٍ واستكبارٍ، وأنهم لا تعوزهم الحجج والبراهين ليؤمنوا بالله تعالى وكتبه المنزلة، ورسله عليهم السلام؛ كما قال تعالى: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا لَوْلا أُنزِلَ عَلَيْنَا الْمَلائِكَةُ أَوْ نَرَى رَبَّنَا لَقَدِ اسْتَكْبَرُوا فِي أَنْفُسِهِمْ وَعَتَوْا عُتُوًّا كَبِيرًا﴾ [الْفُرْقَانِ: ٢١]، وقال تعالى: ﴿وَقَالُوا لَوْلا نزلَ هَذَا الْقُرْآنُ عَلَى رَجُلٍ مِنَ الْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ﴾ [الزُّخْرُفِ: ٣١]، قالوا ذلك وكل واحد منهم يعني نفسه تعاظمًا وإعجابًا بها، كما قال تعالى: ﴿بَلْ يُرِيدُ كُلُّ امْرِئٍ مِنْهُمْ أَنْ يُؤْتَى صُحُفًا مُنَشَّرَةً﴾.[1]

﴿اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ﴾.

أي: الله أعلم بمن هو أهلٌ للرسالة من خلقه، وهو ثناءٌ عظيمٌ على النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وفيه دليلٌ على أن الرسالة منحةٌ ربانية، وليست بالاكتساب.

﴿سَيُصِيبُ الَّذِينَ أَجْرَمُوا صَغَارٌ عِنْدَ اللَّهِ﴾.

أي: سَيُصِيبُ الَّذِينَ أَجْرَمُوا بالكفرِ بالله تعالى والاستنكافِ عن طاعته، وطاعةِ رَسُولِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ذُلٌّ ومهانةٌ؛ وَالصَّغَارُ الذُّلُّ، وَهُوَ مُشْتَقٌّ مِنَ الصِّغَرِ، جزاءَ استكبارِهِم على أمر الله تعالى، والجزاءُ من جنسِ العملِ، وَوَضَعَ الظاهرَ موضعَ المضمرِ ليُسجل عليهم وصفَ الإجرامِ.

---

١ - سورة الْمُدَّثِّرِ: الآية/ ٥٢

www.alukah.net
شبكة الألوكة

﴿وَعَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا كَانُوا يَمْكُرُونَ﴾.

أي: وسَيُصِيبُهم عذابٌ شَدِيدٌ بسببِ مَكْرِهِم الذي أراداوا به صَدَّ النَّاسِ عن دينِ اللهِ تعالى، وتنفيرَهُم عن الإِيمانِ برسولِ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿فَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ وَمَنْ يُرِدْ أَنْ يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي السَّمَاءِ كَذَلِكَ يَجْعَلُ اللَّهُ الرِّجْسَ عَلَى الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ﴾. سُورَةُ الْأَنْعَامِ: الآية/ ١٢٥

مناسبة الآية لما قبلها:

مناسبة هذه الآية لما قبلها أن الله تعالى لما ضرب مثلًا للمؤمنين والكفار بقولِهِ تَعَالَى: ﴿أَوَمَنْ كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَنْ مَثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِنْهَا﴾. [الْأَنْعَامِ: ١٢٢]، بين سبحانه وتعالى حال الفريقين في الدنيا، فالمؤمنون منشرحة صدورهم بالإسلام مستضيئة قلوبهم بنور الإيمان، وأهل الشرك والضلالِ ضيقة صدورهم بالكفر والعصيان، مظلمة قلوبهم بما هم فيه من ظلمات الشرك، والحرمان من الأنس بالرحمن.

﴿فَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ﴾.

أَصْلُ الشَّرَحِ: التَّوْسِعَةُ وَالْبَسْطُ؛ يُقَال: شَرَح الله صدرَه فانشرَح أَي وَسَّع صدرَه لقَبول الحقِّ فاتَّسع.[١]

يخبر الله تعالى عن رحمته بعباده المؤمنين وأنه أرد بهم الخير ويسر لهم سبل الهداية وقذف في قلوبهم نور الإيمان، فشرح صدورهم للإسلام، واتسعت لقبول ما جاءهم به الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من الله تعالى، والهداية هنا هداية التوفيق فبفضله تعالى أسلموا، وبرحمته تعالى قبلوا الحقَّ وانقادوا إليه.

١ - تهذيب اللغة (٤/ ١٠٧)

www.alukah.net
شبكة الألوكة

﴿وَمَنْ يُرِدْ أَنْ يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي السَّمَاءِ﴾.

ثم أخبر تعالى عن خذلانه لأعدائه المشركين، وأنه تعالى ما أراد هدايتهم، بل أراد أن يضلهم، فضاقت صدورهم عن قبول الحقِّ، كحال ذلك الذي يصعد في السماء، فلا يجد ما يتنفسه، وعميت بصائرهم عن رؤية نور الإيمان، وهو أضوء من الشمس في رابعة النهار.

وقَالَ: ﴿ضَيِّقًا حَرَجًا﴾، وَالْحَرَجُ: شِدَّةُ الضِّيقِ، قَالَ الزَّجَّاجُ: الْحَرَجُ: أَضْيَقُ الضِّيقِ.

وذكرَ الْحَرَجُ بعد الضيق لاجتماع أسباب ضيقِ الصدر عن الإيمان بخذلان الله لهم، وكراهيتهم ما أنزل الله، كما اجتمع على من تصعد في السماء أسباب ضيق الصدر بانقباضه وعدم ما يتنفسه في طبقات الجو العليا.

﴿كَذَلِكَ يَجْعَلُ اللَّهُ الرِّجْسَ عَلَى الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ﴾.

أَصْلُ الرِّجْسِ فِي اللُّغَةِ النَّتْنُ، والمعنى: كَمَا يَجْعَلُ اللَّهُ صَدْرَ مَنْ أَرَادَ إِضْلَالَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا، كَذَلِكَ يَجْعَلُ اللَّهُ النَّتْنَ والنَّجَسَ مُجَلِّلًا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ فِي الدنيا، ويَجْعَلُ الْعَذَابَ يغشاهم في النار يوم القيامة.

وفي هذه الآية من الإعجاز العلمي لإخبار الله تعالى عن حال من يصعد في طبقات الجو العليا حيث يقل الأكسجين حتى ينعدم فيضيق الصدر جدًا.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿وَهَذَا صِرَاطُ رَبِّكَ مُسْتَقِيمًا قَدْ فَصَّلْنَا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ (١٢٦) لَهُمْ دَارُ السَّلَامِ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَهُوَ وَلِيُّهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾. سُورَةُ الْأَنْعَامِ: الآية/ ١٢٦، ١٢٧

مناسبة الآية لما قبلها:

قال ابن كثير: لَمَّا ذَكَرَ تَعَالَى طَرِيقَةَ الضَّالِّينَ عَنْ سَبِيلِهِ، الصَّادِّينَ عَنْهَا، نَبَّهَ عَلَى أَشْرَفِ مَا أَرْسل بِهِ رَسُولَهُ مِنَ الْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ.

﴿وَهَذَا صِرَاطُ رَبِّكَ مُسْتَقِيمًا﴾.

يقول الله تبارك وتعالى لرسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: وهَذَا الَّذِي شرعناه لك يَا مُحَمَّدُ من الدِّينِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَذَا الْقُرْآنَ، وَهُوَ صِرَاطُ اللَّهِ الْمُسْتَقِيمُ، الذي ارتضاه الله تعالى لعباده ولا يقبل منهم سواه.

قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ قَوْلُهُ: ﴿وَهَذَا صِرَاطُ رَبِّكَ مُسْتَقِيمًا﴾، يَعْنِي بِهِ الْإِسْلَامَ.

وَإِضَافَةُ الرَّبِّ إِلَى ضَمِيرِ الرَّسُولِ تَشْرِيفٌ للرَّسُولِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وتثبيتٌ لقلبِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، بأنَّه على الحقِّ المبين ولو خالفه من في الأرض جميعًا.

و﴿مُسْتَقِيمًا﴾ مَنْصُوبٌ عَلَى الْحَالِ مِنْ ﴿صِرَاطُ﴾. مُؤَكِّدَةٌ لِلمَعْنَى.

﴿قَدْ فَصَّلْنَا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ﴾.

أَيْ: قَدْ وَضَّحْنَا الحججَ والبَرَاهِينَ وَبَيَّنَّاهَا لِمَنْ لَهُ عَقْلٌ يعتبرُ به، ويفهمُ عَنِ اللَّهِ تعالى مُرَادَهُ.

﴿لَهُمْ دَارُ السَّلَامِ عِنْدَ رَبِّهِمْ﴾.

أي: لهؤلاء الذين يؤمنون بآيات الله ويعتبرون بها، ويعملون بمقتضاها، لهم دار السلام، وهي الجنة وقيل لها دَارُ السَّلَامِ؛ لأنها سلمت من الآفات، وكانت جزاءً لأهل الإيمان لسلامة قلوبهم من أدران الشرك.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

وقَالَ السُّدِّيُّ: ﴿لَهُمْ دَارُ السَّلَامِ عِنْدَ رَبِّهِمْ﴾: اللَّهُ هُوَ السَّلَامُ، وَالدَّارُ: الْجَنَّةُ. فتكون مضافة لاسمِ اللهِ السَّلَامِ، كجنة الله.

وتقديم الجار والمجرور: ﴿لَهُمْ﴾، للاختصاصِ أي: هي لِلقَومِ الذين يَذَّكَّرُونَ وليست لغيرهم.

وقَولُهُ: ﴿عِنْدَ رَبِّهِمْ﴾: أَيْ: فِي أَعْلَى عِلِّيين؛ كَمَا قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِذَا سَأَلْتُمُ اللَّهَ، فَاسْأَلُوهُ الفِرْدَوْسَ، فَإِنَّهُ أَوْسَطُ الجَنَّةِ وَأَعْلَى الجَنَّةِ وَفَوْقَهُ عَرْشُ الرَّحْمَنِ، وَمِنْهُ تَفَجَّرُ أَنْهَارُ الجَنَّةِ».[1]

وقيل: ضَمِنَهَا لَهُمْ عِنْدَهُ يُوَصِّلُهُمْ إِلَيْهَا بِفَضْلِهِ.

﴿وَهُوَ وَلِيُّهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾.

أَيْ: وَهُوَ نَاصِرُهُمْ وَمُؤَيِّدُهُمْ وَمُعِينُهُمْ، جَزَاءَ ما عَمِلُوا من أَعْمَالٍ صَالِحَةٍ.

---

١ - رواه البخاري- كِتَابُ الجِهَادِ وَالسِّيَرِ، بَابُ دَرَجَاتِ المجَاهِدِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، يُقَالُ: هَذِهِ سَبِيلِي وَهَذَا سَبِيلِي، حديث رقم: ٢٧٩٠

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا يَامَعْشَرَ الْجِنِّ قَدِ اسْتَكْثَرْتُمْ مِنَ الْإِنْسِ وَقَالَ أَوْلِيَاؤُهُمْ مِنَ الْإِنْسِ رَبَّنَا اسْتَمْتَعَ بَعْضُنَا بِبَعْضٍ وَبَلَغْنَا أَجَلَنَا الَّذِي أَجَّلْتَ لَنَا قَالَ النَّارُ مَثْوَاكُمْ خَالِدِينَ فِيهَا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ﴾. سُورَةُ الْأَنْعَامِ: الآية/ ١٢٨

مناسبة الآية لما قبلها:

لَمَّا ذَكَرَ الله تَعَالَى حال المؤمنين يوم القيامة وما أعده الله تعالى لهم من النعيم المقيم في دار السلام، ذكر حال المشركين الضالين، الَّذِينَ تعاهدوا على الكفر، وَكانَ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُورًا.

﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا يَامَعْشَرَ الْجِنِّ قَدِ اسْتَكْثَرْتُمْ مِنَ الْإِنْسِ﴾.

في الكلام حذف اختصار تقديره: واذكر يا محمدُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، يَوْمَ يَحْشُرُ اللهُ تعالى الْجِنَّ وَأَوْلِيَاءَهُمْ مِنَ الإنْسِ الَّذِينَ كَانُوا يَعْبُدُونَهُمْ مِنْ دُونِ اللهِ تَعَالَى فيقولُ يَامَعْشَرَ الْجِنِّ قَدِ اسْتَكْثَرْتُمْ مِنَ الْإِنْسِ، قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: ﴿قَدِ اسْتَكْثَرْتُمْ مِنَ الْإِنْسِ﴾: أَضْلَلْتُمْ مِنْهُمْ كَثِيرًا.

أي: قَدِ اسْتَكْثَرْتُمْ مِنْ إِضْلَالِهِمْ وَإِغْوَائِهِمْ، حتى عَبَدُوكُم مِنْ دُونِ اللهِ تَعَالَى؛ كمَا قَالَ عَزَّ وجَلَّ: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّا أَرْسَلْنَا الشَّيَاطِينَ عَلَى الْكَافِرِينَ تَؤُزُّهُمْ أَزًّا﴾ [مَرْيَمَ: ٨٣]، وَكَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ يَقُولُ لِلْمَلائِكَةِ أَهَؤُلاءِ إِيَّاكُمْ كَانُوا يَعْبُدُونَ قَالُوا سُبْحَانَكَ أَنْتَ وَلِيُّنَا مِنْ دُونِهِمْ بَلْ كَانُوا يَعْبُدُونَ الْجِنَّ أَكْثَرُهُمْ بِهِمْ مُؤْمِنُونَ﴾ [سَبَأٍ: ٤٠ -٤١]، وَكَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَا بَنِي آدَمَ أَنْ لَا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ * وَأَنِ اعْبُدُونِي هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ * وَلَقَدْ أَضَلَّ مِنْكُمْ جِبِلا كَثِيرًا أَفَلَمْ تَكُونُوا تَعْقِلُونَ﴾.[١]

١ - سورة يس: الآية/ ٦٠- ٦٢

www.alukah.net
شبكة الألوكة

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿وَقَالَ أَوْلِيَاؤُهُمْ مِنَ الْإِنْسِ رَبَّنَا اسْتَمْتَعَ بَعْضُنَا بِبَعْضٍ وَبَلَغْنَا أَجَلَنَا الَّذِي أَجَّلْتَ لَنَا قَالَ النَّارُ مَثْوَاكُمْ خَالِدِينَ فِيهَا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ﴾. سُورَةُ الْأَنْعَامِ: الآية/ ١٢٨

لما قيل لهم: ﴿يَامَعْشَرَ الْجِنِّ قَدِ اسْتَكْثَرْتُمْ مِنَ الْإِنْسِ﴾. أَجَابَ أَوْلِيَاءُ الْجِنِّ مِنَ الْإِنْسِ بقولهم: ﴿رَبَّنَا اسْتَمْتَعَ بَعْضُنَا بِبَعْضٍ﴾، أي: فِي الدُّنْيَا.

أما استمتاع الجن بالإنس فكان بتعظيمهم وعبادتهم من دون الله تعالى، وأما استمتاع الإنس بالجن فكان بما يوهمونهم به من علم الغيب، ونزولهم على الكهان بذلك؛ فعن عَائِشَةَ قَالَتْ: سَأَلَ أُنَاسٌ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنِ الكُهَّانِ، فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَيْسُوا بِشَيْءٍ» قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، فَإِنَّهُمْ يُحَدِّثُونَ أَحْيَانًا بِالشَّيْءِ يَكُونُ حَقًّا؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «تِلْكَ الكَلِمَةُ مِنَ الحَقِّ، يَخْطَفُهَا الجِنِّيُّ، فَيَقُرُّهَا فِي أُذُنِ وَلِيِّهِ قَرَّ الدَّجَاجَةِ، فَيَخْلِطُونَ فِيهَا أَكْثَرَ مِنْ مِائَةِ كَذْبَةٍ».[1]

ومن ذلك ما يوهمونهم به من أنهم يحفظونهم من سفهاءِ الجنّ؛ قَالَ ابْنُ جُرَيْجٍ: كَانَ الرَّجُلُ فِي الْجَاهِلِيَّةِ يَنْزِلُ الْأَرْضَ فَيَقُولُ: أَعُوذُ بِكَبِيرِ هَذَا الْوَادِي فَذَلِكَ اسْتِمْتَاعُهُمْ.

ومن ذلك تهييجُ الشَّهَوَاتِ وتَزْيينُ اللَّذَّاتِ، وإيهامهم بالقوةِ الخارقةِ، وتزيينِ الكبرِ والطغيانِ.

﴿وَبَلَغْنَا أَجَلَنَا الَّذِي أَجَّلْتَ لَنَا﴾.

أَيْ: اسْتَمْتَعْ بَعْضُنَا بِبَعْضٍ أَيَّامَ حَيَاتِنَا إِلَى أن حَضَرَ أَجَلُنَا وحَانَتْ وَفَاتُنَا.

قالَ السُّدِّيّ قَوْلُهُ: ﴿وَبَلَغْنَا أَجَلَنَا الَّذِي أَجَّلْتَ لَنَا﴾: فَالْمَوْتُ.

﴿قَالَ النَّارُ مَثْوَاكُمْ خَالِدِينَ فِيهَا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ﴾.

وَالْمَثْوَى: الْمَثْوَى: هُو الْمَقَامُ وَالْمَقَرُّ؛ يُقَالُ: ثَوَى فُلَانٌ بِمَكَانِ كَذَا، إِذَا أَقَامَ فِيهِ.

---

١ - رواه البخاري- كِتَابُ الْأَدَبِ، بَابُ قَوْلِ الرَّجُلِ لِلشَّيْءِ لَيْسَ بِشَيْءٍ وَهُوَ يَنْوِي أَنَّهُ لَيْسَ بِحَقٍّ، حديث رقم: ٦٢١٣، ومسلم- كِتَابُ السَّلَامِ، بَابُ تَحْرِيمِ الْكَهَانَةِ وَإِتْيَانِ الْكُهَّانِ، حديث رقم: ٢٢٢٨

www.alukah.net
شبكة الألوكة

أَيْ: قَالَ النَّارُ مَأْوَاكُمْ أَنْتُمْ وَأَوْلِيَاؤُكُمْ، مَاكِثِينَ أبدًا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ، واختلف العلماء في المرادُ بالاستثناء هنا، فقيل: إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ مِنْ قَدْرِ مُدَّةِ مَا بَيْنَ مَبْعَثِهِمْ مِنْ قُبُورِهِمْ إِلَى مَصِيرِهِمْ إِلَى جَهَنَّمَ، فَتِلْكَ الْمُدَّةُ الَّتِي اسْتَثْنَاهَا اللَّهُ مِنْ خُلُودِهِمْ فِي النَّارِ. قاله ابن جرير.[1]

وقال ابْنُ عَبَّاسٍ: اسْتَثْنَى اللَّهُ قَوْمًا سَبَقَ فِي عِلْمِهِ أَنَّهُمْ يُسْلِمُونَ؛ فلَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ أَنْ يَحْكُمَ عَلَى اللَّهِ فِي خَلْقِهِ أَنْ لَا يُنْزِلَهُمْ جَنَّةً وَلَا نَارًا.

﴿إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ﴾.

الخطاب للنبي صَلَى اللهَ عليهِ وسلَّمَ، والمعنى: إنَّ ربك له الحكمة البالغة، يَضَعُ الأمورَ فِي نصابَهَا، وَعَلِيمٌ يَعْلَمُ مَنْ يستَحِقُّ الثّواب وَمَنْ يستَحِقُّ الْعِقَاب.

١ – انظر تفسير الطبري– ط. دار التربية والتراث (١٢/ ١١٨)

www.alukah.net
شبكة الألوكة

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿وَكَذَلِكَ نُوَلِّي بَعْضَ الظَّالِمِينَ بَعْضًا بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾. سُورَةُ الْأَنْعَامِ: الآية/ ١٢٩

يخبر الله تعالى أنه كما خذلَ عُصَاةَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ حَتَّى اسْتَمْتَعَ بَعْضُهُمْ بِبَعْضٍ جعلَ بَعْضَ الظَّالِمِينَ أولياءَ بَعْضٍ، بما كانوا يقترفونه من الآثام، والجزاء من جنس العمل.

واختلف العلماء في معنى قوله تعالى: ﴿نُوَلِّي بَعْضَ الظَّالِمِينَ بَعْضًا﴾، فقيل: نَجْعَلُ بَعْضَهُمْ أولياءَ لِبَعْضٍ عَلَى الْكُفْرِ بِاللَّهِ؛ كما قال الله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَوْلِيَاؤُهُمُ الطَّاغُوتُ يُخْرِجُونَهُمْ مِنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ﴾ [البقرة: ٢٥٧]، وقال تعالى: ﴿إِنَّهُمُ اتَّخَذُوا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ مُهْتَدُونَ﴾.[١]

قَالَ قَتَادَةُ: إِنَّمَا يُوَلِّي اللَّهُ بَيْنَ النَّاسِ بِأَعْمَالِهِمْ. فَالْمُؤْمِنُ وَلِيُّ الْمُؤْمِنِ أَيَّ كَانَ وَحَيْثُ كَانَ، وَالْكَافِرُ وَلِيُّ الْكَافِرِ أَيْنَمَا كَانَ وَحَيْثُمَا كَانَ. لَيْسَ الْإِيمَانُ بِالتَّمَنِّي وَلَا بِالتَّحَلِّي.

وقيل مَعْنَى ذَلِكَ: نُسَلِّطُ بَعْضَ الظَّلَمَةِ عَلَى بَعْضٍ؛ قَالَ ابْنُ زَيْدٍ: ظَالِمِي الْجِنِّ وَظَالِمِي الْإِنْسِ. وَقَرَأَ: ﴿وَمَنْ يَعْشُ عَنْ ذِكْرِ الرَّحْمَنِ نُقَيِّضْ لَهُ شَيْطَانًا فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ﴾ [الزخرف: ٣٦]، قَالَ: نُسَلِّطُ ظَلَمَةَ الْجِنِّ عَلَى ظَلَمَةِ الْإِنْسِ.

ويستدلُّ لهذا القول بما روي عَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "مَنْ أَعَانَ ظَالِمًا سَلَّطَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ".[٢]

وقيل مَعْنَاهُ: نُتْبِعُ بَعْضَهُمْ بَعْضًا فِي النَّارِ، مِنَ الْمُوَالَاةِ، وَهُوَ الْمُتَابَعَةُ بَيْنَ الشَّيْءِ وَالشَّيْءِ، مِنْ قَوْلِ الْقَائِلِ: وَالَيْتَ بَيْنَ كَذَا وَكَذَا: إِذَا تَابَعْتَ بَيْنَهُمَا.

﴿بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾.

أي: سلطنا عليهم من يظلمهم بما كانوا يعملون من أعمالٍ خبيثةٍ.

---

١ - سورة الأعراف: الآية/ ٣٠

٢ - رواه ابن عساكر (٤/٣٤) قال المناوى (٧٢/٦) : فيه الحسن بن زكريا، وهو متهم بالوضع

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالإِنْسِ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِنْكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِي وَيُنْذِرُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا قَالُوا شَهِدْنَا عَلَى أَنْفُسِنَا وَغَرَّتْهُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَشَهِدُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُوا كَافِرِينَ﴾. سُورَةُ الْأَنْعَامِ: الآية/ ١٣٠

لما أخبر الله تعالى عن حال الجن والأنس في الدنيا وما هم عليه من الانحراف عن عبودية الله تعالى وتمردهم على أمره، ومعاداتهم لرسل الله عليهم السلام، أخبر تعالى عما سيكون عليه حالهم يوم القيامة حين يقررهم الله تعالى بما كانوا عليه الكفر والعناد والاستكبار عن أمر الله تعالى.

﴿يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالإِنْسِ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِنْكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِي وَيُنْذِرُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا﴾.

الْمَعْشَرُ كُلُّ جَمَاعَةٍ أَمْرُهُمْ وَاحِدٌ، وقيل لهم: مَعْشَرٌ، ومعاشرٌ؛ لما بينهم من المعاشرةِ والمخالطةِ.

يخبر الله تعالى أنه يقول يوم القيامة للجنّ والإنسِ الذين كفروا بالله تعالى وكذبوا رسله عليهم السلام: ﴿يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالإِنْسِ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِنْكُمْ.....﴾، وهو سؤالٌ الغرضُ منه التقريرُ والتوبيخُ لهم على ما كان منهم من الكفر والإعراض؛ كما يقال للجاني: ألست الفاعلَ كذا وكذا.

ولفظُ الْجِنِّ وَالإِنْسِ عامٌّ يرادُ به الخصوص، وهم الذين كفروا بالله تعالى.

وقوله تعالى: ﴿رُسُلٌ مِنْكُمْ﴾، تغليبٌ فإنَّ الرُّسُلَ مِنْ بَنِي آدَمَ، وَلم يكن مِنَ الْجِنِّ رُسُلٌ؛ كما قَالَ تعالى: ﴿يَخْرُجُ مِنْهُمَا اللُّؤْلُؤُ وَالْمَرْجَانُ﴾ [الرَّحْمَنِ: ١٩ -٢٢]، وإِنَّما يُسْتَخْرَجُ اللُّؤْلُؤَ وَالْمَرْجَانَ مِنَ الْمِلْحِ لَا مِنَ الْحُلْوِ.

قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: الرُّسُلُ مِنْ بَنِي آدَمَ، وَمِنَ الْجِنِّ نُذُر.

وَمما يدلُّ على أنَّ النبوةَ قاصرةٌ على بَنِي آدَمَ قَولُهُ تَعَالَى عَنْ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِ النُّبُوَّةَ وَالْكِتَابَ﴾ [الْعَنْكَبُوتِ: ٢٧]، فَحَصَرَ النُّبُوَّةَ وَالْكِتَابَ بَعْدَ إِبْرَاهِيمَ فِي ذُرِّيَّتِهِ،

www.alukah.net
شبكة الألوكة

وَلَمْ يَقُلْ أَحَدٌ مِنَ النَّاسِ: إِنَّ النُّبُوَّةَ كَانَتْ فِي الْجِنِّ قَبْلَ إِبْرَاهِيمَ الْخَلِيلِ عَلَيْهِ السَّلَامُ ثُمَّ انْقَطَعَتْ عَنْهُمْ بِبَعْثَتِهِ.[1]

﴿يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِي وَيُنْذِرُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا﴾.

أي: يُخْبِرُونَكُمْ بِمَا أَوحَيتُ إِلَيْهِمْ مِنْ الحجج على وحدانيتي، ودلائلِ قدرتي، وصدقِ رُسُلِي، ويحذرونكم الحسابَ يوم القيامة، لما فيه من العقاب لمن كفر بالله وكذب المرسلين.

﴿قَالُوا شَهِدْنَا عَلَى أَنْفُسِنَا﴾.

أَيْ: قَالُوا أَقْرَرْنَا أَنَّ الرُّسُلَ قَدْ بَلَّغُونَا رِسَالَاتِكَ، وَأَنْذَرُونَا لِقَاءَكَ.

﴿وَغَرَّتْهُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا﴾.

أَيْ: وَخَدَعَتْهُمْ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا حَتَى ظَنُّوا أَنَّهَا تَدُومُ لهم،

﴿وَشَهِدُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُوا كَافِرِينَ﴾.

أَيِ: وَاعْتَرَفُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ بين يدي الله تعالى أَنَّهُمْ كَانُوا كَافِرِينَ بالله تعالى في الدنيا، وكانوا مكذبين بِمَا جَاءَتْهُمْ بِهِ الرُّسُلُ عليهم السلام.

---

١ - تفسير ابن كثير (٣/ ٣٤٠)

www.alukah.net
شبكة الألوكة

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿ذَلِكَ أَنْ لَمْ يَكُنْ رَبُّكَ مُهْلِكَ الْقُرَى بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا غَافِلُونَ (١٣١) وَلِكُلٍّ دَرَجَاتٌ مِمَّا عَمِلُوا وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ﴾. سُورَةُ الْأَنْعَامِ: الآية/ ١٣١، ١٣٢

﴿ذَلِكَ﴾. إِشَارَةٌ إِلَى مَا تَقَدَّمَ ذِكرُهُ مِنْ بَعْثَةِ الرُّسُلِ إِلَى الْجِنِّ وَالإِنْسِ لِيُنْذِرُوهُمْ عذاب اللهِ تعالى إذا أقاموا على كفروا وعصوا رسلَ ربهم.

يخبر الله تعالى أنه إنما فعل بهم ذلك لقطع عذرهم، ويدحض حجتهم، لئلا يعاقبهم على كفرهم، ولَمَّا يأتهم رسلٌ منهم يتلون عليهم آيات ربهم، وينذرونهم حسابه؛ كما قال تعالى: ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولا﴾.[1]

والظلم هنا المرادُ به الشرك بالله؛ كَمَا قَالَ تعالى على لسانِ لُقْمَانَ: ﴿إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾.[2]

وقوله: ﴿وَأَهْلُهَا غَافِلُونَ﴾؛ المراد بالغفلة هنا عدمِ إرسالِ الرسلِ، وعدم بيان الحجج على وحدانية الله تعالى، وليس المراد بالغفلة هنا أخذهم على حين غرة، إنما المراد عدم إقامة الحجة التي تقطع العذر، وهذا من كمال رحمة الله تعالى بالعباد؛ كَمَا قَالَ تعالى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولا أَنِ اُعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾ [النَّحْلِ: ٣٦]؛ حتى لا يقولوا ما جاءنا من يبشرنا ولا من ينذرنا؛ كَمَا قَالَ تعالى: ﴿أَنْ تَقُولُوا مَا جَاءَنَا مِنْ بَشِيرٍ وَلا نَذِيرٍ﴾ [الْمَائِدَةِ: ١٩]؛ وَكَمَا قَالَ تعالى: ﴿أَنْ تَقُولُوا إِنَّمَا أُنزِلَ الْكِتَابُ عَلَى طَائِفَتَيْنِ مِنْ قَبْلِنَا وَإِنْ كُنَّا عَنْ دِرَاسَتِهِمْ لَغَافِلِينَ﴾.[3]

---

١ - سورة الْإِسْرَاءِ: الآية/ ١٥

٢ - سورة لقمان: الآية/ ١٣

٣ - سورة الْأَنْعَامِ: الآية/ ١٥٦

www.alukah.net
شبكة الألوكة

﴿وَلِكُلٍّ دَرَجَاتٌ مِمَّا عَمِلُوا﴾.

أَيْ: ولكلِ عاملٍ مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ دَرَجَاتٌ بحسبِ أعمالهم؛ فالمؤمنون يجزون بإيمانهم، وهم فيما بينهم على درجاتٍ متفاوتة، والكافرون يجزون على كفرهم، وهم فيما بينهم على دركات متباينة.

وذِكْرُ الدرجاتِ على التغليبِ، وإلا فالكفار لهم الدركات في النار عياذا بالله.

﴿وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ﴾.

تَهْدِيدٌ وَوَعِيدٌ للكفار؛ أَيْ: وَمَا رَبُّكَ بِسَاهٍ عنْ أَعْمَالِهم، ولَا يَخْفِيّ عَلَيْهِ مَقَادِيرُها، وَمَا يَسْتَحِقُّونَه من الجزاءِ عليها.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿وَرَبُّكَ الْغَنِيُّ ذُو الرَّحْمَةِ إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَسْتَخْلِفْ مِنْ بَعْدِكُمْ مَا يَشَاءُ كَمَا أَنْشَأَكُمْ مِنْ ذُرِّيَّةِ قَوْمٍ آخَرِينَ﴾. سُورَةُ الْأَنْعَامِ: الآية/ ١٣٣

مناسبة الآية لما قبلها:

لما ذكر الله تعالى ثواب المؤمنين وعقاب المشركين ودرجات كل فريق، أخبر تعالى هنا أنه غني عن طاعة الطائعين، ولا تضره معصية العصاة المشركين، وأخبر تعالى عن بالغ رحمته بعباده، ومن رحمته أنه تعالى لا يضيع إيمان المؤمنين، ولا يعاجل بالعقاب العصاة المذنبين.

﴿وَرَبُّكَ الْغَنِيُّ ذُو الرَّحْمَةِ﴾.

الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم، وأضافَ لفظَ الربِّ إِلَى ضَمِيرِ الرَّسُولِ تَشْرِيفٌ لهُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وهو تعالى الْغَنِيُّ لِذَاتِهِ عَنْ جَمِيعِ خَلْقِهِ، وَهُمُ جميعًا فُقَرَاء إِلَيْهِ فِي كل أَحوالِهِم.

وقَولُهُ: ﴿وَرَبُّكَ الْغَنِيُّ ذُو الرَّحْمَةِ﴾ يُفِيدُ الْحَصْرَ، أَيْ: لَا غَنِيَّ وَلَا رَحِيمَ إِلَّا هُوَ وهو تعالى ﴿ذُو الرَّحْمَةِ﴾، أي ذو الرحمة العظيمة، التعبير بقوله ﴿ذُو الرَّحْمَةِ﴾، يدلُّ على المبالغة، كما يقال: فلان ذو مالٍ؛ أي ذو مال عظيم، ومن رحمته تعالى إرسال الرسل، وإنزال الكتب، وإثابة الطائعين، وإمهال العصاة المذنبين.

﴿إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَسْتَخْلِفْ مِنْ بَعْدِكُمْ مَا يَشَاءُ﴾.

أي: إِنْ يَشَأْ سبحانه وتعالى استصال شأفتكم بالإهلاك، وأتى بآخرين يعبدونه ولا يشركون به شيئًا؛ كما قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ. وَمَا ذَلِكَ عَلَى اللهِ بِعَزِيزٍ﴾ [إِبْرَاهِيمَ: ١٩، ٢٠]، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَإِنْ تَتَوَلَّوْا يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوا أَمْثَالَكُمْ﴾.[١]

١ - سورة محمد: الآية/ ٣٨

www.alukah.net

﴿كَمَا أَنْشَأَكُمْ مِنْ ذُرِّيَّةِ قَوْمٍ آخَرِينَ﴾.

كما أهلك القرون الغابرة لما كفروا، وأنشأكم من بعدهم، وهو على كل شيء قدير.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّ مَا تُوعَدُونَ لَآتٍ وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ (١٣٤) قُلْ يَاقَوْمِ اعْمَلُوا عَلَى مَكَانَتِكُمْ إِنِّي عَامِلٌ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَنْ تَكُونُ لَهُ عَاقِبَةُ الدَّارِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ﴾. سُورَةُ الْأَنْعَامِ: الآية/ ١٣٣- ١٣٥

لما أخبر الله تعالى عباده عن واسع رحمته حيث لم يعجل لهم العقوبة في الدنيا على كفرهم، ناسب أن يذكر لهم قدرته عليهم وإنزال عقابه بمن عصاه منهم.

﴿إِنَّ مَا تُوعَدُونَ لَآتٍ﴾.

هذا وعيد شديد وتهديد لأولئك المشركين الذين عبدوا غير الله وكذبوا رسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وشرعوا من الدين ما لم يأذن به الله، بأن ما تَوَعَدَهُم الله تعالى به من العذاب واقع بهم لا محالة، وأكد ذلك بإنَّ، واللام الموطئة للقسم، ووقع التأكيد لمبالغتهم في إنكار العذاب، وسخريتهم واستهزائهم عند ذكره، وقلنا هذا وعيدٌ وليس وعدًا بقرينة قوله بعدها: ﴿وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ﴾.

﴿وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ﴾.

أَيْ: وَمَا أَنْتُمْ بفَائِتِينَ، يقالُ: أَعْجَزَنِي الشَّيْءُ إذَا فَاتَنِي، والمعنى: وما أنتم بخارِجِينَ عَنْ قُدْرَتِنَا، ولا بناجين من عذابنا.

﴿قُلْ يَا قَوْمِ اعْمَلُوا عَلَى مَكَانَتِكُمْ﴾.

الْمَكَانَةُ الطَّرِيقَةُ، والجمعُ مَكَانَاتٌ، وبها قرأ شعبةُ، لمناسبة جمع المخاطبين.

هذا تهديدٌ آخر ووعيدٌ شديدٌ لهؤلاء المشركين إذا أقاموا على كفرهم واستمروا في غيهم، أمر الله تعالى رسوله صلى الله عليه وسلم أن يقول لهم: يَا قَوْمِ اثْبُتُوا عَلَى مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ من الكُفْرِ، واسْتَمِرُّوا عَلَى طَرِيقِكُمْ من الإباءِ والاستكبَارِ، وليس معنى الكلام إباحة ما هم فيه من الشرك.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

﴿إِنِّي عَامِلٌ﴾.

أَيْ: إِنِّي عَامِلٌ عَلَى مَكَانَتِي الَّتِي أَنَا عَلَيْهَا من الثَّبَاتِ عَلَى الْإِسْلَامِ، وعبادةِ الرحمنِ تعالى.

﴿فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَنْ تَكُونُ لَهُ عَاقِبَةُ الدَّارِ﴾.

تهديدٌ ثالثٌ بما ينتظرهم من الذلِّ والعارِ والشنار في الدنيا، والعذاب والنكال في الآخرةِ، وما ينتظره أهل الإيمان من النصر والتمكين في الدنيا، وقد وقع ذلك بحمد الله تعالى في حياة الرسول صلى الله عليه وسلم وبعد موته، ثم ما يكون من النعيم المقيم في دار الخلد لمن آمن بالله تعالى ولم يشرك به شيئًا، وعاقبة كل شيء آخره، وما ينجلي الأمر عنه.

﴿إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ﴾.

تذييل بسنةٍ لا تتخلف، بمثابة العلة لعدم فلاحهم في الدنيا والآخرة، والألف واللام للجنس فتشمل كل من اتصف بالظلم على جه العموم، والشرك على وجه الخصوص.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿وَجَعَلُوا لِلَّهِ مِمَّا ذَرَأَ مِنَ الْحَرْثِ وَالْأَنْعَامِ نَصِيبًا فَقَالُوا هَذَا لِلَّهِ بِزَعْمِهِمْ وَهَذَا لِشُرَكَائِنَا فَمَا كَانَ لِشُرَكَائِهِمْ فَلَا يَصِلُ إِلَى اللَّهِ وَمَا كَانَ لِلَّهِ فَهُوَ يَصِلُ إِلَى شُرَكَائِهِمْ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ﴾. سُورَةُ الْأَنْعَامِ: الآية/ ١٣٦

مناسبة الآية لما قبلها:

هذه الآية معطوفة على نظائرها السابقة التي بيَّنَ الله تعالى فيها ما أحدثه المشركون من جهالات جعلوا منها تشريعات باطلة، وسفاهات سمجة باردة تدل على ضعف عقولهم؛ كما حكى الله تعالى عنهم بقوله: ﴿وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ الْجِنَّ وَخَلَقَهُمْ وَخَرَقُوا لَهُ بَنِينَ وَبَنَاتٍ بِغَيْرِ عِلْمٍ...﴾.[1]

﴿وَجَعَلُوا لِلَّهِ مِمَّا ذَرَأَ مِنَ الْحَرْثِ وَالْأَنْعَامِ نَصِيبًا﴾.

(ذَرأَ): أَي خَلَق؛ ومنه قَولهُ تعالَى: ﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ الْجِنِّ وَالإِنْسِ﴾ [الْأَعْرَاف: ١٧٨]؛ أَي خَلَقْنا.

يخبر الله تعالى عما ابتدعه المشركون من تشريعات باطلة أنهم عينوا نَصِيبًا من ثمار الزرع والغلال، ومن نِتَاجِ الإبل والبقر والغنم فجعلوه لله تعالى، وجعلوا نصيبًا منها لأوثانهم، وهذا من سفاهة عقولهم، وفساد طباعهم؛ فإنها مخلوقة لله تعالى وليس لأحد من خلقه فيها شيءٌ.

وفي الكلام حذفُ إيجاز دلَّ عليه ما بعده، وتقديره: وجعلوا لشركائهم نصيبًا.

﴿فَقَالُوا هَذَا لِلَّهِ بِزَعْمِهِمْ وَهَذَا لِشُرَكَائِنَا﴾

أي: فقالوا هذا للَّهِ نتقرب به إليه بزعمهم، وهذا لأصنامنا نتقرب به إليها، وإنما قرن الله تعالى قولهم: (هَذَا لِلَّهِ) بالزعم لئلا يتوهم متوهم أن الله تعالى شرع لهم ذلك، بل هو محض افتراء على الله تعالى، وسكت عن الثاني لبيان بطلانه.

---

١ - سورةُ الْأَنْعَامِ: الآية/ ١٠٠

www.alukah.net
شبكة الألوكة

﴿فَمَا كَانَ لِشُرَكَائِهِمْ فَلَا يَصِلُ إِلَى اللَّهِ وَمَا كَانَ لِلَّهِ فَهُوَ يَصِلُ إِلَى شُرَكَائِهِمْ﴾.

أي: فما جعلوه لشركائهم فلا يصل إلى الوجوه التي جعلوها لله تعالى مثل قرى الضيفان والصدقات على الفقراء والمساكين، وما جعلوه لله يتقربون به إلى أوثانهم بالذبح لها والإنفاق على سدنتها؛ قالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: إِنَّ أَعْدَاءَ اللَّهِ كَانُوا إِذَا احْتَرَثُوا حَرْثًا أَوْ كَانَتْ لَهُمْ ثَمَرَةٌ، جَعَلُوا لِلَّهِ مِنْهَا جُزْءًا، وَلِلْوَثَنِ جُزْءًا، فَمَا كَانَ مِنْ حَرْثٍ أَوْ ثَمَرَةٍ أَوْ شَيْءٍ مِنْ نَصِيبِ الْأَوْثَانِ حَفَظُوهُ وَأَحْصَوْهُ، فَإِنْ سَقَطَ مِنْهُ شَيْءٌ فِيمَا سُمِّيَ لِلَّهِ رَدُّوهُ إِلَى مَا جَعَلُوا لِلْوَثَنِ، وَإِنْ سَبَقَهُمُ الْمَاءُ إِلَى الَّذِي جَعَلُوهُ لِلْوَثَنِ فَسَقَى شَيْئًا جَعَلُوهُ لِلَّهِ، جَعَلُوا ذَلِكَ لِلْوَثَنِ، وَإِنْ سَقَطَ شَيْءٌ مِنَ الْحَرْثِ وَالثَّمَرَةِ الَّتِي جَعَلُوا لِلَّهِ فَاخْتَلَطَ بِالَّذِي جَعَلُوا لِلْوَثَنِ، قَالُوا: هَذَا فَقِيرٌ، وَلَمْ يَرُدُّوهُ إِلَى مَا جَعَلُوا لِلَّهِ. وَإِنْ سَبَقَهُمُ الْمَاءُ الَّذِي جَعَلُوا لِلَّهِ فَسَقَى مَا سُمِّيَ لِلْوَثَنِ تَرَكُوهُ لِلْوَثَنِ. وَكَانُوا يُحَرِّمُونَ مِنْ أَنْعَامِهِمْ: الْبَحِيرَةَ، وَالسَّائِبَةَ، وَالْوَصِيلَةَ، وَالْحَامَ، فَيَجْعَلُونَهُ لِلْأَوْثَانِ، وَيَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ يُحَرِّمُونَهُ لِلَّهِ، فَقَالَ اللَّهُ فِي ذَلِكَ: ﴿وَجَعَلُوا لِلَّهِ مِمَّا ذَرَأَ مِنَ الْحَرْثِ وَالْأَنْعَامِ نَصِيبًا﴾.[1]

﴿سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ﴾.

أي: سَاءَ ذلك الحُكمُ الذي حكموا حيث جعلوا لله نصيبًا والله خالق كلِ شيء، ثم لم يكتفوا حتى جاروا في تلك القسمة الباطلة.

---

١ - تفسير الطبري (٩/ ٥٧٠)

www.alukah.net
شبكة الألوكة

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿وَكَذَلِكَ زَيَّنَ لِكَثِيرٍ مِنَ الْمُشْرِكِينَ قَتْلَ أَوْلَادِهِمْ شُرَكَاؤُهُمْ لِيُرْدُوهُمْ وَلِيَلْبِسُوا عَلَيْهِمْ دِينَهُمْ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا فَعَلُوهُ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ﴾. سُورَةُ الْأَنْعَامِ: الآية/ ١٣٧

هذا بيانٌ لنوعٍ آخر مما أحدثه المشركون من التشريعات الباطلة، التي زينها لهم شركاؤهم من الجن، زينوا لهم قتل الأبناء خشية العيلة، ووأد البنات خشية العار.

يخبر الله تعالى عما كان المشركون عليه من سفاهة الرأي، وضعف العقل، وانتكاس الفطرة حتى يقتل أحدهم ولده خشية أن يطعم معه، ويئد ابنته خوفَ العارِ إذا كبرت بقوله: ﴿وَكَذَلِكَ زَيَّنَ لِكَثِيرٍ مِنَ الْمُشْرِكِينَ قَتْلَ أَوْلَادِهِمْ شُرَكَاؤُهُمْ﴾، قَالَ مُجَاهِدٌ: ﴿شُرَكَاؤُهُمْ﴾ شَيَاطِينُهُمْ، يَأْمُرُونَهُمْ أَنْ يئدوُا أَوْلَادَهُمْ خَشْيَةَ العَيْلة.

أي: وَكَمَا زَيَّنَتِ الشَّيَاطِينُ للمُشرِكِينَ أَنْ يَجعَلُوا لله مما خلقه من الحرث والأنعام نَصِيبًا، وجعلوا لشركائهم نصيبًا، كَذَلِكَ زَيَّنُوا لَهُم قَتلَ أَولَادِهِم خَشيَةَ الفقرِ والعارِ، وقد ذمهم الله تعالى أبلغ ذم على ذلك الفعل الشنيع الذي لا يدل إلا على فساد العقول وانتكاس الفطر فقال: ﴿وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُمْ بِالأُنْثَى ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ * يَتَوَارَى مِنَ الْقَوْمِ مِنْ سُوءِ مَا بُشِّرَ بِهِ أَيُمْسِكُهُ عَلَى هُونٍ أَمْ يَدُسُّهُ فِي التُّرَابِ أَلا سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ﴾ [النَّحْلِ: ٥٨، ٥٩]، ونهاهم عن ذلك نهيًا شديدًا فقال: ﴿وَلا تَقْتُلُوا أَوْلادَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلاقٍ نَحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ إِنَّ قَتْلَهُمْ كَانَ خِطْئًا كَبِيرًا﴾ [الإسراء: ٣١]، وتوعدهم على ذلك أشد الوعيد فقال: ﴿وَإِذَا الْمَوْءُودَةُ سُئِلَتْ * بِأَيِّ ذَنْبٍ قُتِلَتْ﴾ [التَّكْوِيرِ: ٨، ٩]، ترهيبًا لمن قتلها.

﴿لِيُرْدُوهُمْ وَلِيَلْبِسُوا عَلَيْهِمْ دِينَهُمْ﴾.

اللام هنا لام التعليل، وَالْإِرْدَاءُ الْإِهْلَاكُ؛ فَعَلُوا ذَلِكَ بِهِم لِيَخْلِطُوا عَلَيهِم دِينَهُم فَيَلتَبِسَ، فلا يُدرَى ما أحدثوه مما جاءهم به الرسل عليهم السَّلامُ، فَيَضِلُّوا وَيَهلِكُوا بِفِعلِهِم مَا حَرَّمَه اللَّهُ عَلَيهِمُ.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا فَعَلُوهُ﴾.

أي: وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لعصمهم من الضلالِ، ولكنه تعالى ما أراد أن هدايتهم فخذلهم، ووكلهم لأنفسهم وشياطينهم فأشركوا بربهم وقتلوا أولادهم سفها بغير علم.

﴿فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ﴾.

تهديدٌ ووعيدٌ لافترائهم الكذبَ على الله تعالى بنسبة ذلك الباطل البيّنِ البطلانِ للهِ تعالى؛ كما قال تعالى عنهم: ﴿وَإِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً قَالُوا وَجَدْنَا عَلَيْهَا آبَاءَنَا وَاللَّهُ أَمَرَنَا بِهَا﴾ [الأعراف: ٢٨]؛ أي: اتركهُمْ يَا مُحَمَّدُ وَمَا يَتَقَوَّلُونَ عَلَيَّ فسوف يرون عاقبةَ ذلك.

قَرَأَ ابْنُ عَامِرٍ: ﴿وَكَذَلِكَ زُيِّنَ لِكَثِيرٍ مِنَ الْمُشْرِكِينَ قَتْلُ أَوْلَادَهُمْ شُرَكَائِهِمْ﴾

(زُيِّنَ) بِالْبِنَاءِ لِلْمَفْعُولِ (قَتْلُ) نائبُ فاعلٍ، وَنَصَبَ (أَوْلَادَهُمْ) على أنَّه مَفْعُولٌ لِلْقَتْلِ، وَجَرَّ شُرَكَائِهِمْ على إضافة القتل إلى الشركاء، مَعَ الْفَصْلِ بَيْنَهُمْا بِمَفْعُولِهِ، وقد طعن في هذه القراءة بعض المفسرين منهم ابن جرير والزمخشري وابن عطية وبعض النحاة، لأن فيها فصلًا بين المضاف والمضاف إليه بالمفعول، وقد أخطأوا في ذلك فإن قراءة ابن عامر متواترة، والقراءة سنة متبعة يأخذها الآخر عن الأول، وهي موافقة لرسم المصحف ولها وجه في اللغة، فقد اجتمعت فيها أركان القراءة الثلاثة فلا وجه للطعن فيها.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿وَقَالُوا هَذِهِ أَنْعَامٌ وَحَرْثٌ حِجْرٌ لَا يَطْعَمُهَا إِلَّا مَنْ نَشَاءُ بِزَعْمِهِمْ وَأَنْعَامٌ حُرِّمَتْ ظُهُورُهَا وَأَنْعَامٌ لَا يَذْكُرُونَ اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهَا افْتِرَاءً عَلَيْهِ سَيَجْزِيهِمْ بِمَا كَانُوا يَفْتَرُونَ﴾.

سُورَةُ الْأَنْعَامِ: الآية/ ١٣٨

يخبر الله تعالى عن نوعٍ آخر ابتدعه المشركون من التشريعات الباطلة، التي تدل على جهلهم وفساد عقولهم، أنهم قسموا الأنعام إلى أقسامٍ ثلاثةٍ ابتدعوها افتراءً على الله تعالى والتزموها.

الأول: أنعامٌ وحرثٌ حِجْرٌ، أي: حرامٌ ممنوعةٌ، حرَّموا أنعامًا وحرثًا جعلوها لأصنامهم محرمة وممنوعة على غيرها.

وأصل الحِجْرِ: المنعُ، وَسُمِّيَ الْعَقلُ حِجرًا لأنَّه يمنعُ صاحِبَه عنِ القَبيحِ؛ ومنه قوله تعالى: ﴿هَلْ فِي ذلِكَ قَسَمٌ لِذِي حِجْرٍ﴾ [الْفَجْرِ: ٥]؛ أي: لِذِي عقلٍ، وقيل للحرامِ: حجرٌ؛ لأنه حُجر على الناس أن يصيبوه، وحِجْرٌ فعلٌ بمعنى مفعولٍ؛ كالذِّبْحِ بِمَعْنَى الْمَذْبُوحِ، يَستَوِي فِي الْوَصفِ بِهِ الوَاحِدُ وَالجَمعُ وَالْمُذَكَّرُ وَالْمُؤَنَّثُ.

﴿لَا يَطْعَمُهَا إِلَّا مَنْ نَشَاءُ بِزَعْمِهِمْ﴾.

أَيْ: لَا يَطْعَمُهَا إِلَّا مَنْ نريدُ، ويَعْنُونَ بذلك خَدَمَ الْأَوْثَانِ، وَالرِّجَالَ دُونَ النِّسَاءِ، ﴿بِزَعْمِهِمْ﴾، أي: بتقولهم الذي هو أقرب إلى الباطل منه إلى الحق.

﴿وَأَنْعَامٌ حُرِّمَتْ ظُهُورُهَا﴾.

والثاني: أَنْعَامٌ حُرِّمَتْ ظُهُورُهَا؛ وَهِيَ الْبَحَائِرُ وَالسَّوَائِبُ وَالْحَوَامِي، التي ذكرها الله تعالى بقوله: ﴿مَا جَعَلَ اللَّهُ مِنْ بَحِيرَةٍ وَلا سَائِبَةٍ وَلا وَصِيلَةٍ وَلا حَامٍ وَلَكِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَأَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ﴾.[1]

﴿وَأَنْعَامٌ لَا يَذْكُرُونَ اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهَا﴾.

الثالث: أَنْعامٌ لَا يَذْكُرُونَ اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهَا إذا ذَبَحُوها، بلْ يَذْكُرُونَ عَلَيْهَا أَسْمَاءَ أَصْنَامِهِم.

---

١ - سُورَةُ الْمَائِدَةِ: الآية/ ١٠٣

www.alukah.net
شبكة الألوكة

﴿افْتِرَاءً عَلَيْهِ﴾.

أي: فعلوا ذلك افْتِرَاءً على الله تعالى؛ لأنهم نسبوا ذلك لدين الله تعالى.

﴿سَيَجْزِيهِمْ بِمَا كَانُوا يَفْتَرُونَ﴾.

تهديدٌ ووعيدٌ لهم بما كانوا ينسبوته لله تعالى كذبًا وزورًا، وَأُبْهِمَ الجَزَاءُ لِلتَّهوِيلِ لِتَذهَبَ النُّفُوسُ كُلَّ مَذهَبٍ.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿وَقَالُوا مَا فِي بُطُونِ هَذِهِ الْأَنْعَامِ خَالِصَةٌ لِذُكُورِنَا وَمُحَرَّمٌ عَلَى أَزْوَاجِنَا وَإِنْ يَكُنْ مَيْتَةً فَهُمْ فِيهِ شُرَكَاءُ سَيَجْزِيهِمْ وَصْفَهُمْ إِنَّهُ حَكِيمٌ عَلِيمٌ﴾. سُورَةُ الْأَنْعَامِ: الآية/ ١٣٩

وهذا مما أحدثه المشركون وجعلوه دينًا يدينون به وينسبونه لله تعالى، واختلف في المراد بمَا فِي بُطُونِ هَذِهِ الْأَنْعَامِ فقيل: المراد اللبن؛ فعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ في قوله تعالى: ﴿وَقَالُوا مَا فِي بُطُونِ هَذِهِ الْأَنْعَامِ خَالِصَةٌ لِذُكُورِنَا.....﴾: هُوَ اللَّبَنُ، كَانُوا يُحَرِّمُونَهُ عَلَى إِنَاثِهِمْ، وَيَشْرَبُهُ ذُكْرَانُهُمْ. وَكَانَتِ الشَّاةُ إِذَا وَلَدَتْ ذَكَرًا ذَبَحُوهُ، وَكَانَ لِلرِّجَالِ دُونَ النِّسَاءِ. وَإِنْ كَانَتْ أُنْثَى تُرِكَتْ فَلَمْ تُذْبَحْ، وَإِنْ كَانَتْ مَيْتَةً فَهُمْ فِيهِ شُرَكَاءُ. فَنَهَى اللَّهُ عَنْ ذَلِكَ.

وَقَالَ قَتَادَةُ والشَّعْبِيُّ: أَلْبَانُ الْبَحَائِرِ كَانَتْ لِلذُّكُورِ دُونَ النِّسَاءِ، وَإِنْ كَانَتْ مَيْتَةً اشْتَرَكَ فِيهَا ذُكُورُهُمْ وَإِنَاثُهُمْ.

وقيل: المراد ما فيها من الأجنة؛ قَالَ السُّدِّيُّ: هَذِهِ الْأَنْعَامُ مَا وُلِدَ مِنْهَا مِنْ حَيٍّ فَهُوَ خَالِصٌ لِلرِّجَالِ دُونَ النِّسَاءِ، وَأَمَّا مَا وُلِدَ مِنْ مَيِّتٍ فَيَأْكُلُهُ الرِّجَالُ وَالنِّسَاءُ.

واللفظ يعمُّ ما في بطونها من اللبن والأجنة، وإن كان الأجنة أقرب بقرينة قوله تعالى: ﴿وَإِنْ يَكُنْ مَيْتَةً فَهُمْ فِيهِ شُرَكَاءُ﴾.

والمعني: أنهم قالوا ما في بطون هذه الأنعام من اللبن والأجنة مباحة لذكورهم خالصة لهم ومحرمة على إناثهم، إيثارًا للرجال على النساء.

وأنث لفظ: ﴿خَالِصَةٌ﴾ لِلْمُبَالَغَةِ فِي الْخُلُوصِ، وقيل: لمناسبة تأنيث الأنعام؛ فإن ما في بطونها منها.

﴿وَإِنْ يَكُنْ مَيْتَةً فَهُمْ فِيهِ شُرَكَاءُ﴾.

أَيْ: وَإِنْ يَكُنْ مَا فِي بُطُونِ هَذِهِ الْأَنْعَامِ مَيْتَةً فالرِّجَالُ وَالنِّسَاءُ فِيهِ شُرَكَاءُ.

﴿سَيَجْزِيهِمْ وَصْفَهُمْ﴾.

أَيْ: سَيَجْزِيهِمْ الله تعالى بمَا وَصَفُوا بِهِ الْأَجِنَّةَ مِنْ حَلٍّ وَحُرْمَةٍ؛ لأنه تقولٌ وافتراءٌ على الله تعالى؛ كما قال تعالى: ﴿وَلا تَقُولُوا لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ الْكَذِبَ هَذَا حَلالٌ وَهَذَا حَرَامٌ

www.alukah.net
شبكة الألوكة

لِتَفْتَرُوا عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ إِنَّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ﴾ [النَّحْلِ: ١١٦]، وهو أعظم ذنب يمكن أن يلقى به العبد ربه.

﴿إِنَّهُ حَكِيمٌ عَلِيمٌ﴾.

أَيْ: إِنَّهُ حَكِيمٌ فِي أحكامه وتشريعاته، وهذا الذي يقولونه جهلٌ وضلالٌ وسفهٌ، ﴿عَلِيمٌ﴾: بما بأعمالِ عباده، لا يخفى عليه منها شيٌ.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ قَتَلُوا أَوْلَادَهُمْ سَفَهًا بِغَيْرِ عِلْمٍ وَحَرَّمُوا مَا رَزَقَهُمُ اللَّهُ افْتِرَاءً عَلَى اللَّهِ قَدْ ضَلُّوا وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ﴾. سُورَةُ الْأَنْعَامِ: الآية/ ١٤٠

لَمَّا أخبر الله تعالى عن ضلال المشركين وجهلهم وسفاهة عقولهم بما كانوا عليه من قتل الأولاد خشية الفقرِ، ووأد البنات خشية العارِ، تحريم ما أحله الله تعالى من بهيمة الأنعام بين تعالى هنا حال أولئك الضالين في الدنيا والآخرة فقال: ﴿قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ قَتَلُوا أَوْلَادَهُمْ سَفَهًا بِغَيْرِ عِلْمٍ وَحَرَّمُوا مَا رَزَقَهُمُ اللَّهُ افْتِرَاءً عَلَى اللَّهِ﴾، خسروا لأنهم بدلوا نعمة الله كفرًا، وافتروا على الله كذبًا، وخسروا أولادهم الذين هم زينة الحياة الدنيا، وخسروا ما أباحه الله لهم من المطعومات حين حرموا على أنفسهم البحائر والسوائب وغيرها مما ابتدعوه ونسبوه لله تعالى افتراءً عليه.

﴿قَدْ ضَلُّوا وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ﴾.

لما كان هؤلاء المشركون بهذه المثابة، من قتل الأولادِ، وتحريم أصنافًا من المطعومات، ربما توهم العوام أنهم محقون فيما يفعلونه، وأنهم أصابوا فيما يشرعونه، فدفع الله تعالى ذلك التوهم بأنهم أخطأوا طريق الحق، وحادوا عن الصراط المستقيم، ولم يهتدوا إلى الصواب يومًا.

وَفَائِدَةُ ذكرِ عدمِ الاهداءِ بعد الضلالِ، أَنَّ الْإِنْسَانَ قَدْ يَضِلُّ عَنِ الْحَقِّ ثم يلهمه الله رُشْدَهُ ويتدارك أمرَهُ فيَعُود إِلَى الِاهْتِدَاءِ، أما هؤلاء فَقَد بَيَّنَ اللهُ تَعَالَى أَنَّهُمْ قَدْ ضَلُّوا عَنِ الْحَقِّ وَلَمْ يَحْصُلْ لَهُمُ الِاهْتِدَاءُ إليه أبدًا.

وقد وصف الله تعالى المشركين في هذه الآية بسبع صفات كل صفة منها توجب الذم، فكيف بها مجتمعة، وهي: الخسران بقتل الأولادِ، والسفاهة وهي خفة مذمومة، والجهل وهو شر الأدواء، والافتراءُ على الله وهو أعظمُ ذنبٍ، والضَّلالُ عن الرُّشدِ، وهو خَطَأُ الطَّرِيقِ الموصِّلِ إِلَى المقصُودِ، وعدم الاهتداء للحقِّ.

فلما جاء الإسلام تحولت تلك المساوئ إلى محاسن، وانقلبت تلك المثالب فضائل، ولله الحمد والمنة على عباده.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿وَهُوَ الَّذِي أَنْشَأَ جَنَّاتٍ مَعْرُوشَاتٍ وَغَيْرَ مَعْرُوشَاتٍ وَالنَّخْلَ وَالزَّرْعَ مُخْتَلِفًا أُكُلُهُ وَالزَّيْتُونَ وَالرُّمَّانَ مُتَشَابِهًا وَغَيْرَ مُتَشَابِهٍ كُلُوا مِنْ ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَآتُوا حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ﴾. سُورَةُ الْأَنْعَامِ: الآية/ ١٤١

مناسبة الآيات لما قبلها:

لما قسَّم المشركون بعقولهم الفاسدة، وآرائهم الساقطة الحرثَ والأنعامَ بين الله تعالى وشركائهم، فجعلوا لله تعالى نصيبًا ولشركائهم نصيبًا؛ كما قال تعالى: ﴿وَجَعَلُوا لِلَّهِ مِمَّا ذَرَأَ مِنَ الْحَرْثِ وَالْأَنْعَامِ نَصِيبًا...﴾. [الْأَنْعَامِ: ١٣٦]، ثم قسموا الأنعام أقسامًا ثلاثة كما قال تعالى: ﴿وَقَالُوا هَذِهِ أَنْعَامٌ وَحَرْثٌ حِجْرٌ لَا يَطْعَمُهَا إِلَّا مَنْ نَشَاءُ بِزَعْمِهِمْ....﴾. [الْأَنْعَامِ: ١٣٨]، أخبر الله تعالى هنا عن شيء من دلائل قدرته، وآيات وحدانيته أنه تعالى هو الذي خلق الحرث والأنعام على اختلاف أنواعها، وتباين أصنافها، ومع ذلك يتصرف فيها هؤلاء المشركون بالمنع والإباحة، والتحليل والتحريم.

﴿وَهُوَ الَّذِي أَنْشَأَ جَنَّاتٍ مَعْرُوشَاتٍ وَغَيْرَ مَعْرُوشَاتٍ﴾.

وَالْإِنْشَاءُ: الْإِيجَادُ وَالْخَلْقُ، وتقديم الضميرِ للحصرِ؛ أي: هو الذي أنشأ الجناتِ لا غيره، وهو ردٌّ على افتراءِ المشركين، الذين جعلوا لشركائهم فيها نصيبًا.

﴿مَعْرُوشَاتٍ﴾ أي: بساتين مرفوعات يرفعها على عمدٍ حتى تكون كالعريش، مثل أشجار الكرم التي تُمَدُّ فروعُها فوق الأعمدة، ويستظل الناس بها، ﴿وَغَيْرَ مَعْرُوشَاتٍ﴾؛ أي: ما قام على ساقه كالنخلِ وغيره.

قال ابنُ عَبَّاسٍ: الْمَعْرُوشَاتُ: مَا عَرَشَ النَّاسُ، وَغَيْرَ مَعْرُوشَاتٍ: مَا خَرَجَ فِي الْبَرِّ وَالْجِبَالِ مِنَ الثَّمَرَاتِ.[1]

١ - تفسير الطبري (٩/ ٥٩٣)

www.alukah.net
شبكة الألوكة

﴿وَالنَّخْلَ وَالزَّرْعَ مُخْتَلِفًا أُكُلُهُ﴾.

أي: وهو الذي أنشأ النَّخْلَ وَالزَّرْعَ حال كونه مُخْتَلِفًا طَعمُهُ، كثيره أصنافه.

وذكر النخل والزرع بعد ذكر الجنات من باب عطف الخاص على العام فإنَّ النخل والزرع من الجنات، وأفردت بالذكر لما فيها من الفضيلة؛ ولأنها غالب قوت الناس يومئذٍ.

﴿وَالزَّيْتُونَ وَالرُّمَّانَ مُتَشَابِهًا وَغَيْرَ مُتَشَابِهٍ﴾.

أي: وهو الذي أنشأ الزَّيْتُونَ وَالرُّمَّانَ حالَ كونه مُتَشَابِهًا فِي الْمَنْظَرِ، فإن أشجار الزيتون تشبه أشجار الرمان، والأوراق تشبه الأوراق، وَهو مع ذلك غَيْرُ مُتَشَابِهٍ فِي الطَّعْمِ.

﴿كُلُوا مِنْ ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَآتُوا حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ﴾.

ولما بين تعالى دلائل قدرته في خلق الحرث والأنعام، واختلاف أصنافها، وتباين طعومها، توجه بالخطاب للمؤمنين فقال: ﴿كُلُوا مِنْ ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَآتُوا حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ﴾، وأمرهم بالأكل من الثمار والحبوب، لإظهار نعمته للعبادِ، وتعريضًا بالمشركين الذين قالوا: ﴿هَذِهِ أَنْعَامٌ وَحَرْثٌ حِجْرٌ لَا يَطْعَمُهَا إِلَّا مَنْ نَشَاءُ بِزَعْمِهِمْ﴾. [الْأَنْعَامِ: ١٣٨]، وقيل: لِأَنَّ رِعَايَةَ النَّفْسِ مُقَدَّمَةٌ عَلَى رِعَايَةِ الْغَيْرِ.

وبدأ بِذِكرِ نِعْمَةِ الْأَكْلِ قَبْلَ الْأَمْرِ بِإِيتَاءِ الْحَقِّ لِيُبَيِّنَ أَنَّ الِابتِدَاءَ بِالنِّعمَةِ كَانَ مِنْ فَضلِهِ قَبلَ التَّكلِيفِ.

قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ كَعْب: ﴿كُلُوا مِنْ ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَآتُوا حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ﴾ أَيْ: مِنْ رُطَبِهِ وعنَبه.

واختلف العلماء في المراد بقوله تعالى: ﴿وَآتُوا حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ﴾، فقيل: هِيَ الزَّكَاةُ الْمَفْرُوضَةُ.

فعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: ﴿وَآتُوا حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ﴾، يَعْنِي: الزَّكَاةَ الْمَفْرُوضَةَ، يَوْمَ يُكَال وَيُعْلَمُ كَيْلُهُ.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

وكذا قالَ أَنَسُ بْنُ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وسَعِيدُ بْنُ الْمُسَيِّبِ، وقَتَادَةُ وجَابِرُ بْنُ زَيْدٍ، والحسنُ، وطَاوُسٌ وغيرهم.

وقال مُحَمَّدُ ابْنُ الْحَنَفِيَّةِ: يَوْمَ كَيْلِهِ، يُعْطِي الْعُشْرَ أَوْ نِصْفَ الْعُشْرِ.

وقِيلَ: هُوَ حُقٌّ آخَرُ سِوَى الزَّكَاةِ.

فعَنْ عَطَاءٍ قَالَ: يُعْطِي مِنْ حَصَادِهِ يَوْمَئِذٍ مَا تَيَسَّرَ، وَلَيْسَ بِالزَّكَاةِ.

وقَالَ مُجَاهِدٍ: ﴿وَآتُوا حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ﴾: إِذَا حَضَرَكَ الْمَسَاكِينُ طَرَحْتَ لَهُمْ مِنْهُ، وَإِذَا أَنْقَيْتَهُ وَأَخَذْتَ فِي كَيْلِهِ حَثَوْتَ لَهُمْ مِنْهُ، وَإِذَا عَلِمْتَ كَيْلَهُ عَزَلْتَ زَكَاتَهُ، وَإِذَا أَخَذْتَ فِي جِدَادِ النَّخْلِ طَرَحْتَ لَهُمْ مِنَ الثَّفَارِيقِ، وَإِذَا أَخَذْتَ فِي كَيْلِهِ حَثَوْتَ لَهُمْ مِنْهُ، وَإِذَا عَلِمْتَ كَيْلَهُ عَزَلْتَ زَكَاتَهُ.[1]

وقيل: كَانَ إعطاءُ المساكين منه وقتَ الحَصَادِ وَاجِبًا، ثُمَّ نَسَخَهُ اللَّهُ بِالْعُشْرِ وَنِصْفِ الْعُشْرِ.

والراجحُ قولُ مُجَاهِدٍ أنه يعطي ما تيسر بلا تقدير، فإذا علم كيله عزل زكاته.

﴿وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ﴾.

الإِسْرَافُ: مُجاوزةُ القَصْدِ. قَالَ إِيَاسُ بْنُ مُعَاوِيَةَ: مَا جَاوَزْتَ بِهِ أَمْرَ اللَّهِ فَهُوَ سَرَفٌ.

أي: وَلَا تُسْرِفُوا فِي الأَكْلِ لِمَا فيهِ منَ المضَرَّةِ عليكم، وَلَا تُسْرِفُوا فِي الصَّدَقَةِ أَيْ فِي أَمْرِهَا، قَالَ السُّدِّيُّ: أَيْ لَا تُعْطُوا أَمْوَالَكُمْ وَتَقْعُدُوا فُقَرَاءَ.

---

١ - تفسير الطبري (٩/ ٦٠٢)

www.alukah.net
شبكة الألوكة

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿وَمِنَ الْأَنْعَامِ حَمُولَةً وَفَرْشًا كُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ﴾. سُورَةُ الْأَنْعَامِ: الآية/ ١٤٢

أي: وَهُوَ تَعَالَى الَّذِي أَنْشَأَ مِنَ الْأَنْعَامِ حَمُولَةً وَفَرْشًا، والْحَمُولَةُ: مَا حُمِلَ عَلَيْهِ مِنْ كِبَارِ الْإِبِلِ، وَالْفَرْشُ: صِغَارُ الْإِبِلِ الَّتِي لَا يُحْمَلُ عَلَيْهَا لِصِغَرِهَا.

قَالَ ابْنُ مَسْعُودٍ وابْنُ عَبَّاسٍ: الْحَمُولَةُ هِيَ الْكِبَارُ، وَالْفَرْشُ: الصِّغَارُ مِنَ الْإِبِلِ.

وَقَالَ ابْنُ عباس: أَمَّا الْحَمُولَةُ فَالْإِبِلُ وَالْخَيْلُ وَالْبِغَالُ وَالْحَمِيرُ وَكُلُّ شَيْءٍ يُحْمَلُ عَلَيْهِ، وَأَمَّا الْفَرْشُ فَالْغَنَمُ.

وقيل: سُمِّيَ فَرْشًا لِدُنُوِّهِ مِنَ الْأَرْضِ، وقيل: لأنهم يَتَّخِذُونَ مِنْ صُوفِهَا لِحَافًا وَفَرْشًا.

وفي الآيةِ ردٌّ كذلك على افتراءِ المشركين، الذين جعلوا لشركائهم نصيبًا من الأنعامِ مع الله تبارك وتعالى.

﴿كُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ﴾.

أي: كُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ مِنَ الْأَنْعَامِ، فإنَّه هو الذي خلقها لكم؛ كما قالَ تَعَالَى: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا خَلَقْنَا لَهُمْ مِمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَا أَنْعَامًا فَهُمْ لَهَا مَالِكُونَ * وَذَلَّلْنَاهَا لَهُمْ فَمِنْهَا رَكُوبُهُمْ وَمِنْهَا يَأْكُلُونَ﴾. [يس: ٧١، ٧٢]، ولا تتبعوا أهواء الذين لا يعلمون.

﴿وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ﴾.

أي: وَلَا تَتَّبِعُوا سُبُلَ الشَّيْطَانِ كَمَا اتَّبَعَهَا الْمُشْرِكُونَ فحَرَّمُوا مَا رَزَقَهُمُ اللَّهُ مِنَ الْأَنْعَامِ افْتِرَاءً عَلَى اللَّهِ.

﴿إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ﴾.

أَيْ: إِنَّ الشَّيْطَانَ بَيِّنُ الْعَدَاوَةِ، شديدُ البغضِ لبني آدم؛ كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا﴾ [فَاطِرٍ: ٦]، وهو الذي أوحى للمشركين أن يحرموا ما أحله الله، وهو الذي زين لهم الافتراء على الله تعالى.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿ثَمَانِيَةَ أَزْوَاجٍ مِنَ الضَّأْنِ اثْنَيْنِ وَمِنَ الْمَعْزِ اثْنَيْنِ قُلْ آلذَّكَرَيْنِ حَرَّمَ أَمِ الْأُنْثَيَيْنِ أَمَّا اشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ أَرْحَامُ الْأُنْثَيَيْنِ نَبِّئُونِي بِعِلْمٍ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾. سُورَةُ الْأَنْعَامِ: الآية/ ١٤٣

لما أخبر الله تعالى أنه هو الذي خلق الأنعام وجعل منها حمولة وفرشًا، ذكر تعالى أنه جعلها ثمانية أزواجٍ، ثم فصلها ليبين جهل المشركين، وتخبطهم وأنهم إنما أحلوا وحرموا بأهوائهم، وأيضًا ليعلم نبيه صلى الله عليه وسلم والمؤمنين الحجة التي يدفعون بها شبهات المشركين، ويدحضون بها مزاعمهم أنهم إنما حرموا ما حرموا عن أمر الله تعالى فقال:

﴿ثَمَانِيَةَ أَزْوَاجٍ مِنَ الضَّأْنِ اثْنَيْنِ وَمِنَ الْمَعْزِ اثْنَيْنِ قُلْ آلذَّكَرَيْنِ حَرَّمَ أَمِ الْأُنْثَيَيْنِ أَمَّا اشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ أَرْحَامُ الْأُنْثَيَيْنِ﴾.

انْتَصَبَ: ﴿ثَمَانِيَةَ﴾، على أنَّه بدلٌ من ﴿حَمُولَةً وَفَرْشًا﴾؛ أي: وهو الذي أنشأَ من الأنعامِ ثمانيةَ أزواجٍ، أي: أعدادٍ، يعني: الذكرَ والأنثى، والعربُ تسمي الواحدَ: زوجًا، إذا كانَ لا ينفكُّ عن الآخرِ؛ كَمَا قَالَ: ﴿وَمِنْ كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ﴾ [الذاريات: ٤٩]، لِأَنَّ الذَّكَرَ زَوْجُ الْأُنْثَى، وَالْأُنْثَى زَوْجُ الذَّكَرِ، فَهُمَا وَإِنْ كَانَا اثْنَيْنِ فَهُمَا زَوْجَانِ، كَمَا قَالَ جَلَّ ثَنَاؤُهُ: ﴿وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا﴾.[1]

﴿مِنَ الضَّأْنِ اثْنَيْنِ﴾.

هذا تفصيلٌ لما أجمل في قوله: ﴿ثَمَانِيَةَ أَزْوَاجٍ﴾. أَيِ: الذَّكَرِ وَالْأُنْثَى؛ الكبشَ والنعجةَ، وَالضَّأْنُ: ذَوَاتُ الصُّوفِ مِنَ الْغَنَمِ.

﴿وَمِنَ الْمَعْزِ اثْنَيْنِ﴾.

أَيِ: الذَّكَرِ وَالْأُنْثَى؛ التيسُ والعنزُ، والْمَعْزُ هي ذواتُ الشعرِ من الغنم.

قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ قَوْلُهُ: ﴿ثَمَانِيَةَ أَزْوَاجٍ مِنَ الضَّأْنِ اثْنَيْنِ وَمِنَ الْمَعْزِ اثْنَيْنِ﴾ فَهَذِهِ أَرْبَعَةُ أَزْوَاجٍ.

---

١ - سورة الأعراف: الآية/ ١٨٩

www.alukah.net
شبكة الألوكة

﴿قُلْ آلذَّكَرَيْنِ حَرَّمَ أَمِ الْأُنْثَيَيْنِ أَمَّا اشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ أَرْحَامُ الْأُنْثَيَيْنِ﴾.

كان الْمُشْرِكُونَ يُحَرِّمُونَ بَعْضَ الْأَنْعَامِ فَاحْتَجَّ اللَّهُ تَعَالَى عَلَى إِبْطَالِ قَوْلِهِمْ بِأَنْ ذَكَرَ الضَّأْنَ وَالْمَعْزَ وَالْإِبِلَ وَالْبَقَرَ وَذَكَرَ مِنْ كُلِّ وَاحِدٍ مِنْ هَذِهِ الْأَرْبَعَةِ زَوْجَيْنِ ذَكَرًا وَأُنْثَى، فقال تعالى لرسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: قُلْ لَهُمْ أَيُّهَا الرَّسُولُ: أَحَرَّمَ اللهُ الذَّكَرَيْنِ مِنْ هَذِهِ الأَزْوَاجِ الأَرْبَعَةِ وَحْدَهُمَا، أَمْ حَرَّمَ الْأُنْثَيَيْنِ وَحْدَهُمَا، أَمْ حَرَّمَ الْأَجِنَّةَ الَّتِي اشْتَمَلَتْ عَلَيْهَا أَرْحَامُ إِنَاثِ الزَّوْجَيْنِ كِلَيْهِمَا سَوَاءٌ أَكَانَتْ ذُكُورًا أَمْ إِنَاثًا؟

فإِنْ كَانَ حَرَّمَ مِنْهَا الذَّكَرَ وَجَبَ أَنْ يَكُونَ كُلُّ ذُكُورِهَا حَرَامًا وَإِنْ كَانَ حَرَّمَ الْأُنْثَى وَجَبَ أَنْ يَكُونَ كُلُّ إِنَاثِهَا حَرَامًا، وإِنْ كَانَ حَرَّمَ مَا اشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ أَرْحَامُ الْأُنْثَيَيْنِ وَجَبَ تَحْرِيمُ الْأَوْلَادِ كُلِّهَا لِأَنَّ الْأَرْحَامَ تَشْتَمِلُ عَلَى الذُّكُورِ وَالْإِنَاثِ.

وَالِاسْتِفْهَامُ لِلْإِنْكَارِ، أَيْ: أَنَّهُ لَمْ يُحَرِّمْ شَيْئًا مِنْ ذلك؛ فدلَّ أَنَّهُ لَا وَجْهَ يُعْقَلُ لِقَوْلِهِمْ.

﴿نَبِّئُونِي بِعِلْمٍ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾.

أي: أخبروني لِمَ تُحَرِّمُونَ بَعْضًا وَتُحِلُّونَ بَعْضًا؟ فإِنَّ تَرْتِيبَ الْحُكْمِ عَلَى الْوَصْفِ بِالذُّكُورَةِ أَوِ الْأُنُوثَةِ أَوِ الْحَمْلِ لَغْوٌ لَا وَجْهَ له، وما دليلُ نسبة ذلك التحريم إلى الله تعالى إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ في ادعائكم.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿وَمِنَ الْإِبِلِ اثْنَيْنِ وَمِنَ الْبَقَرِ اثْنَيْنِ قُلْ آلذَّكَرَيْنِ حَرَّمَ أَمِ الْأُنْثَيَيْنِ أَمَّا اشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ أَرْحَامُ الْأُنْثَيَيْنِ أَمْ كُنْتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ وَصَّاكُمُ اللَّهُ بِهَذَا فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا لِيُضِلَّ النَّاسَ بِغَيْرِ عِلْمٍ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾. سُورَةُ الْأَنْعَامِ: الآية/ ١٤٤

أي: وخلق من الإِبِلِ زَوجَينِ الجَمَلَ والنَّاقَةَ ذَكَرًا وَأُنثَى، وَمِنَ الْبَقَرِ زَوجَينِ الثَّورَ والبَقَرَةَ.

﴿قُلْ آلذَّكَرَيْنِ حَرَّمَ أَمِ الْأُنْثَيَيْنِ أَمَّا اشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ أَرْحَامُ الْأُنْثَيَيْنِ﴾.

كرر السؤال مبالغة في الإنكارِ عليهم، والتقريع لهم، على افترائهم عليه، تعالى الله عما يقولون علوًّا كبيرًا.

﴿أَمْ كُنْتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ وَصَّاكُمُ اللَّهُ بِهَذَا﴾.

أَمْ: هِيَ الْمُنْقَطِعَةُ بِمَعْنَى: بل، وَالهمزةُ لِلْإِنْكَارِ؛ أي: بل كنتم حَاضِرِينَ مُشَاهِدِينَ إِذْ وَصَّاكُمُ اللَّهُ بِهَذَا التَّحْرِيمِ؟

وَالْمُرَادُ: التَّهَكُّمُ التَّوبِيخُ والتَّبْكِيتُ وَإِقامةُ الْحُجَّةِ عليهم؛ لأنهم لا يدينون بدينٍ ولا يتبعون شريعةً، فلم يبق إلا أنهم افتروا على الله الكذبَ فيما أباحوه وما حرموه.

﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا لِيُضِلَّ النَّاسَ بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾.

أَيْ: لَا أَحَدَ أَشَدُّ ظُلمًا، وأضلُّ عن سَواءِ السَّبِيلِ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا، فَحَرَّمَ ما أَحَلَّهُ اللَّهُ، ثُمَّ نَسَبَ ذَلِكَ الذي افْتِرَاهُ إِلَيْهِ تَعَالَى، ليصدَّ الناس عن سبيل الله تعالى جهلًا منه، وَاللَّامُ فِي: ﴿لِيُضِلَّ النَّاسَ بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ لِلْعِلَّةِ: أَيْ لِأَجْلِ أَنْ يُضِلَّ النَّاسَ لأنه ليس على بصيرة فيما يحلُّ ويحرمُ.

﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾.

أي: إِنَّ اللهَ لا يوفقُ مَنْ أَشْرَكَ به وعَبَدَ غيرَه، وافترى عليه تعالى الكذبَ ليصدَّ النَّاسَ عن سبيلِهِ.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿قُلْ لَا أَجِدُ فِي مَا أُوحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّمًا عَلَى طَاعِمٍ يَطْعَمُهُ إِلَّا أَنْ يَكُونَ مَيْتَةً أَوْ دَمًا مَسْفُوحًا أَوْ لَحْمَ خِنْزِيرٍ فَإِنَّهُ رِجْسٌ أَوْ فِسْقًا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ فَمَنِ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَإِنَّ رَبَّكَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾. سُورَةُ الْأَنْعَامِ: الآية/ ١٤٥

مناسبة الآية لما قبلها:

لما بين الله تعالى كذب المشركين فيما أباحوه وحرموه من المطعومات، وأنهم افتروا على الله تعالى فيما زعموه أمر رسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، أن يخبرهم بما أحله تعالى وما حرمه.

﴿قُلْ لَا أَجِدُ فِي مَا أُوحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّمًا عَلَى طَاعِمٍ يَطْعَمُهُ إِلَّا أَنْ يَكُونَ مَيْتَةً.....﴾.

يقول تعالى لرسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قل يا محمد لهؤلاء المشركين الذين حرموا ما أحله الله ليصدوا عن سبيل الله: لا أجد فيما أوحاه الله تعالى إليَّ وَقتَ نُزُولِ الوَحيِ شيئًا محرمًا على أحد أن يطعمه مما حرمتموه بأهوائكم، إلا أن يكون ميتة، وهي ما مات من الحيوانات حتف أنفه بغير تذكية.

﴿أَوْ دَمًا مَسْفُوحًا﴾.

المسفُوحُ: هُو الْمَصْبُوبُ، وَهُوَ الدمُ الذي يخرج من الذبيحة عند ذبحها، ومَا يَخْرُجُ منها عند فَصْدِها، قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: ﴿أَوْ دَمًا مَسْفُوحًا﴾ يَعْنِي: الْمِهْرَاقَ.

وكان العربُ يأكلونه في الجاهلية، وتقييده بالمسفوح يدلُّ على العفو عن الدم الذي يخالط اللحم، ويدلُّ على إباحة الكبدِ والطحال؛ وعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «أُحِلَّتْ لَكُمْ مَيْتَتَانِ وَدَمَانِ، فَأَمَّا الْمَيْتَتَانِ، فَالْحُوتُ وَالْجَرَادُ، وَأَمَّا الدَّمَانِ، فَالْكَبِدُ وَالطِّحَالُ».[1]

قَالَ قَتَادَةَ: حَرَّمَ الدَّمَ مَا كَانَ مَسْفُوحًا، وَأَمَّا لَحْمٌ خَالَطَهُ دَمٌ فَلَا بَأْسَ بِهِ.

---

١ - رواه أحمد- حديث رقم: ٥٧٢٣، وابن ماجه- كِتَابُ الْأَطْعِمَةِ، بَابُ الْكَبِدِ وَالطِّحَالِ، حديث رقم: ٣٣١٤، بسند صحيح

www.alukah.net
شبكة الألوكة

وَقَالَ إِبْرَاهِيمُ النَّخَعِيُّ: لَا بَأْسَ بِالدَّمِ فِي عِرْقٍ أَوْ مُخٍّ.

﴿أَوْ لَحْمَ خِنْزِيرٍ فَإِنَّهُ رِجْسٌ﴾.

أي: فإنه نجسٌ نتنٌ، وذكر اللحم من باب ذكر البعض وإرادة الكل؛ لأنه أكثر ما ينتفع به منه، وفي الآية دليلٌ على نجاسة الخنزير.

﴿أَوْ فِسْقًا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ﴾.

أي: ما ذبح لغير الله، وسمي فسقًا لتوغله في الفسق.

﴿فَمَنِ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَإِنَّ رَبَّكَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾.

أي: فمن اضطر إلى الأكل من شيء مما ذكر عن غير رغبة منه، ولا مجاوزة للحدِّ في الأكل فإن الله يغفر له ذلك لاضطراره، ويبيح له الأكل منها رحمة به.

تنبيه: نزلت هذه الآية من أوائل من نزل ثم حرم الله تعالى أصنافًا من المطعومات في سورة المائدة، منها المنخنقة والموقوذة والمتردية والنطيحة وما أكل السبع، وحرم رسول الله صلى الله عليه وسلم أصنافًا منها لحوم الحمر الأهلية، وكل ذي ناب من السباع وكل ذي مخلب من الطير، وغيرها مما فصلته السنة المطهرة.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿وَعَلَى الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا كُلَّ ذِي ظُفُرٍ وَمِنَ الْبَقَرِ وَالْغَنَمِ حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ شُحُومَهُمَا إِلَّا مَا حَمَلَتْ ظُهُورُهُمَا أَوِ الْحَوَايَا أَوْ مَا اخْتَلَطَ بِعَظْمٍ ذَلِكَ جَزَيْنَاهُمْ بِبَغْيِهِمْ وَإِنَّا لَصَادِقُونَ﴾. سُورَةُ الْأَنْعَامِ: الآية/ ١٤٦

مناسبة الآية لما قبلها:

لما ردَّ الله تعالى على افتراء المشركين وكذبهم فيما ادعوه من تحريم ما رزقهم من الأنعام والحرث، عقب ذلك بالردِّ على اليهود فيما ادعوه كذلك بقوهم إن الله لم يحرم علينا شيئًا إنما حرمنا ما حرم إسرائيل على نفسه.

﴿وَعَلَى الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا كُلَّ ذِي ظُفُرٍ﴾.

أي: وكما حرمنا عليكم الميتة والدم المسفوح ولحم الخنزير وما أهل لغير الله به حرمنا على اليهود كل ذي ظفر، قال ابن جرير: وَهُوَ مِنَ الْبَهَائِمِ وَالطَّيْرِ مَا لَمْ يَكُنْ مَشْقُوقَ الْأَصَابِعِ كَالْإِبِلِ وَالْأَنْعَامِ وَالْإِوَزِّ وَالْبَطِّ.

قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: الْبَعِيرُ وَالنَّعَامَةُ وَنَحْوُ ذَلِكَ مِنَ الدَّوَابِّ.

وقَالَ سَعِيدُ بْنُ جُبَيْرٍ: كُلُّ شَيْءٍ مُتَفَرِّقُ الْأَصَابِعِ، وَمِنْهُ الدِّيكُ.

وتقديم الجار والمجرور: ﴿وَعَلَى الَّذِينَ هَادُوا﴾، يفيد الاختصاص؛ أي: كل ما ذكر محرم على اليهود عقوبة لهم دون غيرهم.

﴿وَمِنَ الْبَقَرِ وَالْغَنَمِ حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ شُحُومَهُمَا إِلَّا مَا حَمَلَتْ ظُهُورُهُمَا أَوِ الْحَوَايَا أَوْ مَا اخْتَلَطَ بِعَظْمٍ﴾.

أي: وحرَّمَ اللهُ تعالى عليهم من شُحُومِ الْبَقَرِ وَالْغَنَمِ كُلَّ شَحْمٍ لَمْ يَكُنْ مُخْتَلِطًا بِعَظْمٍ وَلَا عَلَى عَظْمٍ، قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: ﴿إلا مَا حَمَلَتْ ظُهُورُهُمَا﴾، إِلَّا مَا عَلِقَ بِالظَّهْرِ مِنَ الشَّحْمِ فَإِنِّي لَمْ أُحَرِّمْهُ.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

﴿أَوِ الْحَوَايَا﴾.

الْحَوَايَا: هِيَ الْمَصَارِينُ. وَقِيلَ: الْحَوَايَا الْأَمْعَاءُ الَّتِي عَلَيْهَا الشُّحُومُ. قَالَ أَبُو عُبَيْدَةَ: الْحَوَايَا مَا تَحَوَّى مِنَ الْبَطْنِ أَيِ: اسْتَدَارَ. أي: وَمَا حَمَلَتِ الْمَبَاعِرِ وَالْمَصَارِينِ من الشُّحُومِ الْمُلْتَصِقَةِ فغَيْرُ مُحَرَّمَةٍ.

﴿أَوْ مَا اخْتَلَطَ بِعَظْمٍ﴾.

وَكُلُّ شَحْمٍ اخْتَلَطَ بِعَظْمٍ فَهُوَ حَلَالٌ، فيكون مستثنى من التحريم.

وقيل: إِنَّ قَوْلَهُ تعالى: ﴿أَوِ الْحَوَايَا أَوْ مَا اخْتَلَطَ بِعَظْمٍ﴾. مَعْطُوفٌ عَلَى الْمُسْتَثْنَى مِنْهُ وَالتَّقْدِيرُ: حُرِّمَتْ عَلَيْهِمْ شُحُومُهُمَا أَوِ الْحَوَايَا أَوْ مَا اخْتَلَطَ بِعَظْمٍ إِلَّا مَا حَمَلَتْ ظُهُورُهُمَا فَإِنَّهُ غَيْرُ مُحَرَّمٍ.

﴿ذَلِكَ جَزَيْنَاهُمْ بِبَغْيِهِمْ﴾.

أي: خصهم الله تعالى بذلك التحريم بسبب بغيهم، ومنه قتل الأنبياء وأكل الربا، وأكلهم أموال الناس بالباطل؛ كما قال تعالى: ﴿فَبِظُلْمٍ مِنَ الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَاتٍ أُحِلَّتْ لَهُمْ وَبِصَدِّهِمْ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ كَثِيرًا (١٦٠) وَأَخْذِهِمُ الرِّبَا وَقَدْ نُهُوا عَنْهُ وَأَكْلِهِمْ أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ.....﴾.[1]

﴿وَإِنَّا لَصَادِقُونَ﴾.

أي: وَإِنَّا لَصَادِقُونَ فِيمَا ذكرناه مِنْ تَحْرِيمِنَا ذَلِكَ عَلَيْهِمْ، لَا كَمَا زَعَمَ اليهودُ أنهم حَرَّمُوا ذلك على أَنفُسِهِم.

---

١ - سورةُ النِّسَاءِ: الآية/ ١٦٠، ١٦١

www.alukah.net
شبكة الألوكة

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿فَإِنْ كَذَّبُوكَ فَقُلْ رَبُّكُمْ ذُو رَحْمَةٍ وَاسِعَةٍ وَلَا يُرَدُّ بَأْسُهُ عَنِ الْقَوْمِ الْمُجْرِمِينَ﴾. سُورَةُ الْأَنْعَامِ: الآية/ ١٤٧

يقول الله تعالى لرسولِهِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: فَإِنْ كَذَّبُوكَ يَا مُحَمَّدُ فِي النُّبُوَّةِ وَالرِّسَالَةِ وفيما أخبرتَهُم به مِن نَفْيِ تَحْرِيمِ مَا زَعَمُوا أَنَّ اللَّهَ حَرَّمَهُ فقلْ لهم: ﴿رَبُّكُمْ ذُو رَحْمَةٍ وَاسِعَةٍ﴾، لا يعاجلُ بالعقوبةِ من عصاه مع عظم جرمه، ولا يقنِّطُ عبادَه من رحمته، ويتوب على من تاب إليه.

﴿وَلَا يُرَدُّ بَأْسُهُ عَنِ الْقَوْمِ الْمُجْرِمِينَ﴾.

أي: وهو مع ذلك ذو بأس شديدٍ، فلا تغتروا بسعة رحمته فإنَّ عَذَابَهُ لا يردُّ عَنِ الْقَوْمِ الْمُجْرِمِينَ، الذين أصروُّا على الكفرِ، وجاهروا بالعصيان.

وبدأ تعالى بذكر الرحمة ترغيبًا لهم في التوبة من الكفرِ والافتراء على الله تعالى.

وأخبر تعالى عن رحمته بالجملة الأسمية: ﴿رَبُّكُمْ ذُو رَحْمَةٍ وَاسِعَةٍ﴾. وأخبر عن عذابه بالجملة الفعلية: ﴿وَلَا يُرَدُّ بَأْسُهُ﴾؛ لأنَّ الأولى أبلغ في الإخبار من الثانية؛ لتناسب سعة رحمة الله تعالى بالعباد.

ووضع الظاهر موضع المضمر في قوله: ﴿عَنِ الْقَوْمِ الْمُجْرِمِينَ﴾، وما قال: (عَنْكُمْ)؛ لبيان أنهم استحقوا ذلك الوصف بسبب كفرهم وتكذيبهم؛ وأيضًا ليشملهم هذا الوصف ويشمل من كان على شاكلتهم.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿سَيَقُولُ الَّذِينَ أَشْرَكُوا لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكْنَا وَلَا آبَاؤُنَا وَلَا حَرَّمْنَا مِنْ شَيْءٍ كَذَلِكَ كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ حَتَّى ذَاقُوا بَأْسَنَا قُلْ هَلْ عِنْدَكُمْ مِنْ عِلْمٍ فَتُخْرِجُوهُ لَنَا إِنْ تَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنْ أَنْتُمْ إِلَّا تَخْرُصُونَ (١٤٨) قُلْ فَلِلَّهِ الْحُجَّةُ الْبَالِغَةُ فَلَوْ شَاءَ لَهَدَاكُمْ أَجْمَعِينَ﴾. سُورَةُ الْأَنْعَامِ: الآية/ ١٤٨، ١٤٩

لما كشف الله تعالى زيف حجج المشركين فيما تقدم وفصل الكلام في افترائهم على الله تعالى تحريم ما لم يحرمه، وأعوزهم الرد على تلك الحجج الدامغة، أخبر الله تعالى رسوله صلى الله عليه وسلم أنهم سيقولون لتسويغ شركهم وضلالهم: ﴿لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكْنَا وَلَا آبَاؤُنَا وَلَا حَرَّمْنَا مِنْ شَيْءٍ﴾؛ أي: لو شاء الله ألا نكفر لمنعنا عن الكفر، ولو شاء ألا نحرم شيئًا لحال بيننا وبين تحريمه، ولم يدر هؤلاء الضلال أن المشيئة الكونية القدرية، تختلف عن المشيئة الشرعية، فالله تعالى خالقُ الخيرِ والشرّ، وأراد وجودهما كونًا وقدرًا، ولكنه لا يريد الشرَّ شرعًا ولا يأمر به؛ كما قال تعالى: ﴿وَإِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً قَالُوا وَجَدْنَا عَلَيْهَا آبَاءَنَا وَاللَّهُ أَمَرَنَا بِهَا قُلْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ أَتَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾. [الأعراف: ٢٨]، وكَمَا قال تَعَالَى: ﴿وَقَالُوا لَوْ شَاءَ الرَّحْمَنُ مَا عَبَدْنَاهُمْ﴾.[١]

﴿كَذَلِكَ كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ حَتَّى ذَاقُوا بَأْسَنَا﴾.

أي: كما ضلَّ هؤلاء بهذه الشبهة فكذبوك، ضلَّ من قبلهم من الأمم فكذبوا رسلهم حتى نزل بهم بأس الله تعالى الذي لا يُردُّ عن القوم المجرمين.

﴿قُلْ هَلْ عِنْدَكُمْ مِنْ عِلْمٍ فَتُخْرِجُوهُ لَنَا﴾.

أي: قل لهم يا محمد صلى الله عليه وسلم: هَلْ عِنْدَكُمْ مِنْ عِلْمٍ بأنَّ الله رضي عن شرككم وأذن لهم فيه، وتحريم ما زعمتم من البحيرة والسائبة والوصيلة؟ فإن كان عندك علمٌ فَأظهرُوهُ لَنَا إن كنتم صادقين.

---

١ - سُورَةُ الزُّخْرُفِ: الآية/ ٢٠

www.alukah.net
شبكة الألوكة

﴿إِنْ تَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ﴾.

(إِنْ) نافية؛ أي: لا تتبعون إلا الظنَّ والْوَهْمَ الذي لا حقيقة له، وَالْمُرَادُ بِهِ الظَّنُّ الْكَاذِبُ.

﴿وَإِنْ أَنْتُمْ إِلَّا تَخْرُصُونَ﴾.

وَمَا أَنْتُمْ فِي ذَلِكَ الذي تزعمُونه إِلَّا تفترون عَلَى اللَّهِ.

﴿قُلْ فَلِلَّهِ الْحُجَّةُ الْبَالِغَةُ﴾.

أي: قُلْ لَهُمْ يَا مُحَمَّدُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ﴿فَلِلَّهِ الْحُجَّةُ الْبَالِغَةُ﴾؛ أي: له تعالى الْحُجَّةُ الواضحةُ التي بلغت غاية القوة في الاستدلال، وليس عندكم حجةٌ فيما تزعمونه.

قَالَ الضَّحَّاكُ: لَا حُجَّةَ لِأَحَدٍ عَصَى اللَّهَ، وَلَكِنْ لِلَّهِ الْحُجَّةُ الْبَالِغَةُ عَلَى عِبَادِهِ.

﴿فَلَوْ شَاءَ لَهَدَاكُمْ أَجْمَعِينَ﴾.

أي: فَلَوْ شَاءَ اللهُ تعالى لَوَفَّقَكُمْ أَجْمَعِينَ للإيمانِ بهِ، وَلَكِنَّهُ لَمْ يَشَأْ ذَلِكَ لِتتحقَقَ الحكمةُ مِنْ تكليفِ العبادِ.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿قُلْ هَلُمَّ شُهَدَاءَكُمُ الَّذِينَ يَشْهَدُونَ أَنَّ اللَّهَ حَرَّمَ هَذَا فَإِنْ شَهِدُوا فَلَا تَشْهَدْ مَعَهُمْ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ وَهُمْ بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ﴾. سُورَةُ الْأَنْعَامِ: الآية/ ١٥٠

﴿هَلُمَّ﴾: اسْمُ فِعْلِ أَمْرٍ بمعنَى: هَاتُوا، وفيها لغتان الأولى: تَلْزَمُ حَالَةً وَاحِدَةً فِي الإفراد والتثنية والجمع والتذكير والتأنيث، وبها جاء القرآن كما في هذه الآية؛ وكما في قوله تعالى: ﴿قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الْمُعَوِّقِينَ مِنْكُمْ وَالْقَائِلِينَ لِإِخْوَانِهِمْ هَلُمَّ إِلَيْنَا﴾ [الْأَحْزَابِ: ١٨]، والثانية: تختلف باختلاف ما دخلت عليه، فَيُقَالُ لِلْوَاحِدِ مِنَ الرِّجَالِ: هَلُمَّ، وَلِلْوَاحِدَةِ مِنَ النِّسَاءِ: هَلُمِّي، وَلِلِاثْنَيْنِ: هَلُمَّا، وَلِلْجَمَاعَةِ مِنَ الرِّجَالِ: هَلُمُّوا، وَلِلنِّسَاءِ: هَلْمُمْنَ.

﴿قُلْ هَلُمَّ شُهَدَاءَكُمُ الَّذِينَ يَشْهَدُونَ أَنَّ اللَّهَ حَرَّمَ هَذَا﴾.

يقول الله تعالى لرسوله صلى الله عليه وسلم: قل يا محمد صلى الله عليه وسلم لهؤلاء المشركين الذين حرموا ما لم يحرمه الله: هَاتُوا شُهَدَاءَكُمُ الَّذِينَ يَشْهَدُونَ عَلَى اللَّهِ أَنَّ اللَّهَ حَرَّمَ عَلَيْكُمْ مَا تَزْعُمُونَ تحريمه من الحرث والأنعام.

﴿فَإِنْ شَهِدُوا فَلَا تَشْهَدْ مَعَهُمْ﴾.

أي: فإن جاءوا بمن يشهد أن الله حرم عليهم ما يزعمونه فلا تشهد معهم لافترائِهِم على اللهِ تعالى؛ فأَنَّهُمْ يَشْهَدُونَ كَذِبًا وَزُورًا.

﴿وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا﴾.

أي: ولا تتبعهم فيما يحرمونه فإنهم إنما حرموا بأهوائهم، ووضع الظاهر موضع المضمر فقال: ﴿وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا﴾، ولم يقل: ولا تتبع أهوائهم؛ لبيان أنَّ كفرهم كفر إباء واستكبارٍ، وليس كما أقسموا كذبا وزورًا لَئِنْ جَاءَتْهُمْ آيَةٌ لَيُؤْمِنُنَّ بِهَا.

﴿وَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ وَهُمْ بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ﴾.

أي: وهم مع تكذيبهم بآيات اللهِ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ؛ لأنهم كانوا دهريين لا يؤمنون بالبعث والنشور، وَهُمْ مع ذلك يَعْدِلُونَ بِرَبِّهِمْ الأوثان التي لا تنفع لا تضر ولا تغني عنهم شيئًا.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ مِنْ إِمْلَاقٍ نَحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ وَلَا تَقْرَبُوا الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾. سُورَةُ الْأَنْعَامِ: الآية/ ١٥١

مناسبة الآية لما قبلها:

لما فند الله تعالى شبهات المشركين، ودحض حججهم في تحريم شيء من الحرث والأنعام، ذكر تعالى هنا المحرمات على وجه العموم، ليقول لهم هذا ما حرمه الله تعالى لا ما زعمتموه من افتراءات باطلة، وأهواء فاسدة.

﴿قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ﴾.

يَقُولُ تَعَالَى لِنَبِيِّهِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: قُلْ يَا مُحَمَّدُ لِهَؤُلَاءِ الْمُشْرِكِينَ: تَعَالَوْا أَقْرَأْ عَلَيْكُمْ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ حَقًّا يَقِينًا، لَا ظَنًّا وَلَا تَخَرُّصًا، ولا كذبًا وافتراءً، كَخَرَصِكُمْ وَكَذِبِكِم عَلَى اللَّهِ تعالى كما تزعمون، بل وَحْيًا أَوْحَاهُ إِلَيَّ مِنَ الْعِلْمِ الصَّحِيحِ.

﴿تَعَالَوْا﴾، أي: أَقْبِلُوا، وَأَصْلُهُ الْأَمْرُ مِمَّنْ كَانَ فِي مَكَانٍ عَالٍ لِمَنْ دُونَهُ بِأَنْ يَتَعَالَى وَيَصْعَدَ إِلَيْهِ، ثُمَّ تَوَسَّعُوا فِيهِ فَاسْتَعْمَلُوهُ فِي الْأَمْرِ فِي الْإِقْبَالِ مُطْلَقًا.

عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: "مَنْ سَرَّهُ أَنْ يَقْرَأَ صَحِيفَةَ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الَّتِي عَلَيْهَا خَاتَمُهُ فَلْيَقْرَأْ: ﴿قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ﴾، إِلَى قَوْلِهِ ﴿لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾.[1]

---

١ – رواه الترمذي– أَبْوَابُ تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، بَابٌ: وَمِنْ سُورَةِ الأَنْعَامِ، حديث رقم: ٣٠٧٠، والطبراني في الكبير– حديث رقم: ١٠٠٦٠، وابن أبي حاتم في التفسير– حديث رقم: ٨٠٥٦، والبيهقي في شعب الإيمان– حديث رقم: ٧٩١٨، بسند ضعيف

www.alukah.net
شبكة الألوكة

وَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: هُنَّ الآيَاتُ الْمُحْكَمَاتُ: ﴿قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ﴾. ثَلاثُ آيَاتٍ.[1]

﴿أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا﴾.

أَيْ: أَتْلُ عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا، وقيل: الكلامُ مُضَمَّنٌ مَعْنَى مَا وَصَّاكُمْ بِهِ فِعْلًا، أَوْ تَرْكًا; لِأَنَّ كُلًّا مِنْ تَرْكِ الْوَاجِبِ، وَفِعْلِ الْحَرَامِ حَرَامٌ، فَالْمَعْنَى وَصَّاكُمْ أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا.

وبدأ بالنَّهي عن الشركِ لأنه أعظم ذنبٍ يلقى العبدُ به ربه؛ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ﴾.[2]

وَقد حرم الله تعالى الجنة على من أشرك به تعالى؛ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ﴾.[3]

عَنْ أَبِي ذَرٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أَتَانِي آتٍ مِنْ رَبِّي، فَأَخْبَرَنِي - أَوْ قَالَ: بَشَّرَنِي - أَنَّهُ: مَنْ مَاتَ مِنْ أُمَّتِي لاَ يُشْرِكُ بِاللَّهِ شَيْئًا دَخَلَ الجَنَّةَ» قُلْتُ: وَإِنْ زَنَى وَإِنْ سَرَقَ؟ قَالَ: «وَإِنْ زَنَى وَإِنْ سَرَقَ».[4]

﴿وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾.

أَيْ: وَوَصَّاكُمْ أَنْ تُحْسِنُوا بِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا، وقرن الله تعالى بين الأمر بتوحيده والإحسان إلى الوالدين لعظم حقهما؛ كما قال تعالى: ﴿وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾.[5]

---

١ - انظر تفسير الطبري- ط. دار التربية والتراث» (١٢/ ٢٢٦)، وتفسير ابن أبي حاتم (٥/ ١٤١٤)

٢ - سورةُ النِّسَاءِ: الآية/ ٤٨، ١١٦

٣ - سورةُ الْمَائِدَةِ: الآية/ ٧٢

٤ - رواه البخاري- كتاب الْجَنَائِزِ، بَابٌ فِي الْجَنَائِزِ وَمَنْ كَانَ آخِرُ كَلَامِهِ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، حديث رقم: ١٢٣٧، ومسلم- كِتَابُ الْإِيمَانِ، بَابُ مَنْ مَاتَ لَا يُشْرِكُ بِاللهِ شَيْئًا دَخَلَ الْجَنَّةَ، وَمَنْ مَاتَ مُشْرِكًا دَخَلَ النَّارَ، حديث رقم: ٩٤

٥ - سُورةُ النِّسَاءِ: الآية/ ٣٦

www.alukah.net
شبكة الألوكة

﴿وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ مِنْ إِمْلَاقٍ نَحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ﴾.

أَيْ: وَوَصَّاكُم أَلَّا تَقتُلُوا أَولَادَكُم مِن إِملَاقٍ، والإِملَاقُ الفَقرُ؛ أيْ: وَلَا تَقتُلُوا أَولَادَكُم بسببِ الْفَقْرِ والجوعِ بدعوى أنكم لا تجدون ما تطعمونهم، نَحنُ نَرزُقُكُم ونَرزُقُهُم تبعًا لكم، وهذه الآية مع قوله تعالى: ﴿وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَاقٍ نَحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ﴾. [الْإِسْرَاءِ:٣١]، أصلٌ في تحريمِ عدمِ الإنجابِ بسببِ الفقرِ الحاصلِ، أو خوف الفقر في المستقبل.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿وَلَا تَقْرَبُوا الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾. سُورَةُ الْأَنْعَامِ: الآية/ ١٥١

أي: وَلَا تَقْرَبُوا مَا ظَهَرَ مِنَ الْفَوَاحِشِ وَمَا بَطَنَ، وذلك لِأَنَّهُمْ كَانُوا يَسْتَقْبِحُونَ الْمُجَاهَرَةَ الزِّنَا، وَيَفْعَلُونَ ذَلِكَ سِرًّا.

قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: كَانُوا فِي الْجَاهِلِيَّةِ لَا يَرَوْنَ بِالزِّنَا بَأْسًا فِي السِّرِّ، وَيَسْتَقْبِحُونَهُ فِي الْعَلَانِيَةِ، فَحَرَّمَ اللَّهُ الزِّنَا فِي السِّرِّ وَالْعَلَانِيَةِ.

وَقَالَ الضَّحَّاكُ: كَانَ أَهْلُ الْجَاهِلِيَّةِ يَسْتَسِرُّونَ بِالزِّنَا، وَيَرَوْنَ ذَلِكَ حَلَالًا مَا كَانَ سِرًّا، فَحَرَّمَ اللَّهُ السِّرَّ مِنْهُ وَالْعَلَانِيَةَ.

وَقِيلَ: ﴿مَا ظَهَرَ﴾، نَهْيٌ عَنْ جَمِيعِ أَنْوَاعِ الْفَوَاحِشِ وَهِيَ الْمَعَاصِي، ﴿وَمَا بَطَنَ﴾، ما عَقَدَ عليه القَلْبُ الْمُخَالَفَة.

والنهي عن ظاهر الفواحش وباطنها، يستوفي كل محرم من الفواحشِ، وهذه الآية كقوله تعالى: ﴿وَذَرُوا ظَاهِرَ الإِثْمِ وَبَاطِنَهُ﴾ [الْأَنْعَامِ:١٢]، وكَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ﴾.[1]

وَعَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَا أَحَدٌ أَغْيَرَ مِنَ اللهِ، وَلِذَلِكَ حَرَّمَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ».[2]

﴿وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ﴾.

أي: لا تقتلوا نفسًا عصم الله تعالى دَمَ صَاحِبِهَا، وهي نفسُ المؤمنِ والمعَاهَدِ، وَالتَّعْرِيفُ فِي النَّفْسِ لِلْجِنْسِ، فَيُفِيدُ الِاسْتِغْرَاقَ.

---

١ - سُورَةُ الْأَعْرَافِ: الآية/ ٣٣

٢ - رواه البخاري- كِتَابُ التَّفْسِيرِ، سُورَةُ الْأَنْعَامِ، ﴿وَلا تَقْرَبُوا الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ﴾، حديث رقم: ٤٦٣٤، ومسلم- كتاب التوبة، بَابُ غَيْرَةِ اللهِ تَعَالَى، وَتَحْرِيمِ الْفَوَاحِشِ، حديث رقم: ٢٧٦٠

www.alukah.net
شبكة الألوكة

ولا يحلُّ دَمُ امرئِ مُسْلِمٍ إلا في حالاتٍ ثلاثٍ: أنْ يَقتُلَ فيقتلَ قصاصًا، أو يزني وهو محصنٌ فيرجم، أو يرتدَّ عن دينه عياذًا باللهِ، ومع ذلك فإقامة تلك الحدود لولاة الأمر وليس لآحاد الناس؛ وَعَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لاَ يَحِلُّ دَمُ امْرِئٍ مُسْلِمٍ، يَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنِّي رَسُولُ اللَّهِ، إِلَّا بِإِحْدَى ثَلاَثٍ: النَّفْسُ بِالنَّفْسِ، وَالثَّيِّبُ الزَّانِي، وَالمَارِقُ مِنَ الدِّينِ التَّارِكُ لِلْجَمَاعَةِ».[1]

والقتل من أعظم الآثام التي يمكن أن يلقى بها العبد ربه تبارك وتعالى؛ عَنِ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَنْ يَزَالَ المُؤْمِنُ فِي فُسْحَةٍ مِنْ دِينِهِ، مَا لَمْ يُصِبْ دَمًا حَرَامًا».[2]

والقتل من الذنوب الموبقات التي تهلك صاحبها؛ فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «اجْتَنِبُوا السَّبْعَ المُوبِقَاتِ»، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ وَمَا هُنَّ؟ قَالَ: «الشِّرْكُ بِاللَّهِ، وَالسِّحْرُ، وَقَتْلُ النَّفْسِ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالحَقِّ، وَأَكْلُ الرِّبَا، وَأَكْلُ مَالِ اليَتِيمِ، وَالتَّوَلِّي يَوْمَ الزَّحْفِ، وَقَذْفُ المُحْصَنَاتِ المُؤْمِنَاتِ الغَافِلاَتِ».[3]

﴿ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾.

إِشَارَةٌ إِلَى الْوَصَايَا المذكورةِ فِي هَذِهِ الْآيَةِ، وَالْوَصِيَّةُ هي: مَا يُطلَبُ من الغَيرِ فعلُهُ مِنْ الخَيْرِ، ﴿لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾؛ أي لتعقلوا عن الله مراده فتمتثلوا أمره، وتجتنبوا نهيه.

---

١ - رواه البخاري- كِتَابُ الدِّيَاتِ، بَابُ قَوْلِ اللهِ تَعَالَى: ﴿أَنَّ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ وَالْعَيْنَ بِالْعَيْنِ وَالأَنْفَ بِالأَنْفِ وَالأُذُنَ بِالأُذُنِ وَالسِّنَّ بِالسِّنِّ وَالْجُرُوحَ قِصَاصٌ فَمَنْ تَصَدَّقَ بِهِ فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَهُ وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾، حديث رقم: ٦٨٧٨، ومسلم- كِتَابُ الْقَسَامَةِ وَالْمُحَارِبِينَ وَالْقِصَاصِ وَالدِّيَاتِ، بَابُ مَا يُبَاحُ بِهِ دَمُ الْمُسْلِمِ، حديث رقم: ١٦٧٦

٢ - رواه البخاري- كِتَابُ الدِّيَاتِ، بَابُ قَوْلِ اللهِ تَعَالَى ﴿وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ﴾ حديث رقم: ٦٨٦٢

٣ - رواه البخاري- كِتَابُ الْوَصَايَا، بَابُ قَوْلِ اللهِ تَعَالَى ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَى ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا﴾، حديث رقم: ٢٧٦٦، ومسلم- كِتَابُ الْإِيمَانِ، بَابُ بَيَانِ الْكَبَائِرِ وَأَكْبَرِهَا، حديث رقم: ٨٩

www.alukah.net
شبكة الألوكة

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّى يَبْلُغَ أَشُدَّهُ وَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَى وَبِعَهْدِ اللَّهِ أَوْفُوا ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾. سُورَةُ الْأَنْعَامِ: الآية/ ١٥٢

ثم حَذَّرَ اللهُ تعالى الأوصياءَ من قربان مال اليتيم إلا بأحسن حالة ينتفع بها اليتيم، ويحفظ له ماله، ويثمر بالإتجار فيه؛ عَنْ مُجَاهِدٍ: ﴿وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾. قَالَ: التِّجَارَةُ فِيهِ.

وَعَنِ الضَّحَّاكِ بْنِ مُزَاحِمٍ قَالَ: يَبْتَغِي لَهُ فِيهِ، وَلَا يَأْخُذْ مِنْ رِبْحِهِ شَيْئًا.

وقِيلَ: المرادُ أنَّهُ إن كان غنيًّا فليستعفف، وإن فقيرًا فليأكل بالمعروف؛ كما قال تعالى: ﴿وَمَنْ كَانَ غَنِيًّا فَلْيَسْتَعْفِفْ وَمَنْ كَانَ فَقِيرًا فَلْيَأْكُلْ بِالْمَعْرُوفِ﴾. [النِّسَاءِ: ٦]؛ قَالَ ابْنُ زَيْدٍ: (الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ): أَنْ يَأْكُلَ بِالْمَعْرُوفِ إِنِ افْتَقَرَ، وَإِنِ اسْتَغْنَى فَلَا يَأْكُلْ.

﴿حَتَّى يَبْلُغَ أَشُدَّهُ﴾.

أي: حتى يبلغَ الحُلُمَ؛ كما قَالَ تَعَالَى: ﴿وَابْتَلُوا الْيَتَامَى حَتَّى إِذَا بَلَغُوا النِّكَاحَ فَإِنْ آنَسْتُمْ مِنْهُمْ رُشْدًا فَادْفَعُوا إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ﴾ [النِّسَاءِ: ٦]؛ قَالَ الشَّعْبِيُّ: الْأَشُدُّ: الْحُلُمُ، حَيْثُ تُكْتَبُ لَهُ الْحَسَنَاتُ وَتُكْتَبُ عَلَيْهِ السَّيِّئَاتُ.

وفي الكلام إيجازٌ بالحذف تقديره: فَإِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُ فَآنَسْتُمْ مِنْهُ رُشْدًا فَادْفَعُوا إِلَيْهِ مَالَهُ.

﴿وَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ﴾.

ثم أمر تعالى بِالْعَدْلِ فِي الْأَخْذِ وَالْعَطَاءِ عِنْدَ الْبَيْعِ وَالشِّرَاءِ. وَالْقِسْطُ هُنَا: الْعَدْلُ، وهو من ألفاظِ الأضدادِ، وقد حذر الله تعالى من التطفيف في الكيل والميزان فقال: ﴿وَيْلٌ لِلْمُطَفِّفِينَ (١) الَّذِينَ إِذَا اكْتَالُوا عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ (٢) وَإِذَا كَالُوهُمْ أَوْ وَزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ﴾.[1]

١ – سورة الْمُطَفِّفِينَ: الآية/ ١– ٣

www.alukah.net
شبكة الألوكة

﴿لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾.

جملة معترضة لبيان أنَّ اللهَ تعالى لا يكلفُ أحدًا بما ليس في مقدُورِهِ وَمَا لَا يُمْكِنُه الِاحْتِرَازُ عنه في الْكَيْلِ وَالْمِيزَانِ.

﴿وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَى﴾.

وكما أَمَرَ اللهُ تعالى بالعَدْلِ في الكيلِ والميزانِ، أَمَرَ بالعَدْلِ كذلك في الشهَاداتِ والأقوالِ، ولو كانت الشهادة على الأهل الأقربين؛ كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَى أَنْفُسِكُمْ﴾.[1]

﴿وَبِعَهْدِ اللَّهِ أَوْفُوا﴾.

ثم أمر تعالى بالوفاء بالعهود والمواثيق التي أخذها الله تعالى على عباده، وأضيف العهد لله تعالى تعظيمًا لشأنه وتنويهًا بخطره.

﴿ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾.

أي: ذَلِكَ الذي ذُكِرَ لكم وَصَّاكُمْ اللهُ تعالى بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّعِظُونَ.

---

١ - سورة الْمَائِدَةِ: الآية/ ٨

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾. سُورَةُ الْأَنْعَامِ: الآية/ ١٥٣

لما بين الله تعالى ما حرمه على عباده، وما أمرهم ووصاهم به حذرهم أن يتبعوا غير سبيله لئلا يضلوا عن الصراط المستقيم؛ فإنها سبلٌ وعلى كل سبيل منها شيطان يدعوا من سلكه إلى النار.

والكلام معطوف على ما سبق وتقديره: وأتل عليكم أن هذا صراطي مستقيمًا فاتبعوه...

وقيل تقدير الكلام: ذلكم وصاكم به ووصاكم أن هذا صراطي مستقيمًا.

﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ﴾.

أي: وأَنَّ هذا الذي أمرتكم به ونهيتكم عنه هو دين الله تعالى الذي ارتضاه لكم، وهو الطريق القويم الموصل إلى جنات النعيم، ونصب ﴿مُسْتَقِيمًا﴾، على الحال؛ أي: مستويًا لا اعوجاج فيه، فاتبعوه ولا تتبعوا غيره من السبلِ لئلا تضلوا عن صراط المستقيم.

ووحد لفظ الصراط؛ لأن الحق واحدٌ، وجمع السُّبُلَ لكثرة طرق الضلال وتفرقها، والمراد بها الأديان والملل والأهواء المخالفة لدين الإسلام.

عَنِ النَّوَّاسِ بْنِ سَمْعَانَ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: «ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا عَلَى كَتِفَيِّ الصِّرَاطِ سُورَانِ فِيهِمَا أَبْوَابٌ مُفَتَّحَةٌ، وَعَلَى الْأَبْوَابِ سُتُورٌ مُرْخَاةٌ، وَعَلَى الصِّرَاطِ دَاعٍ يَدْعُو يَقُولُ: يَا أَيُّهَا النَّاسُ اسْلُكُوا الصِّرَاطَ جَمِيعًا وَلَا تَعْوَجُّوا، وَدَاعٍ يَدْعُو عَلَى الصِّرَاطِ، فَإِذَا أَرَادَ أَحَدُكُمْ فَتْحَ شَيْءٍ مِنْ تِلْكَ الْأَبْوَابِ، قَالَ: وَيْلَكَ لَا تَفْتَحْهُ فَإِنَّكَ إِنْ تَفْتَحْهُ تَلِجْهُ، فَالصِّرَاطُ: الْإِسْلَامُ، وَالسُّتُورُ: حُدُودُ اللَّهِ، وَالْأَبْوَابُ الْمُفَتَّحَةُ مَحَارِمُ اللَّهِ، وَالدَّاعِي الَّذِي عَلَى رَأْسِ الصِّرَاطِ كِتَابُ اللَّهِ، وَالدَّاعِي مِنْ فَوْقُ وَاعِظُ اللَّهِ يَذْكُرِ فِي قَلْبِ كُلِّ مُسْلِمٍ».[١]

١ – رواه الترمذي– أَبْوَابُ الْأَمْثَالِ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، بَابُ مَا جَاءَ فِي مَثَلِ اللَّهِ لِعِبَادِهِ، حديث رقم: ٢٨٥٩، والحاكم– كِتَابُ الْإِيمَانِ، حديث رقم: ٢٤٥، بسند صحيح

www.alukah.net
شبكة الألوكة

وَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: خَطَّ لَنَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَوْمًا خَطًّا ثُمَّ قَالَ: «هَذَا سَبِيلُ اللَّهِ» ثُمَّ خَطَّ خُطُوطًا عَنْ يَمِينِهِ، وَعَنْ شِمَالِهِ، ثُمَّ قَالَ: «هَذِهِ سُبُلٌ عَلَى كُلِّ سَبِيلٍ مِنْهَا شَيْطَانٌ يَدْعُو إِلَيْهِ» ثُمَّ تَلَا: ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾.[1]

وَعَنْ أَبَانَ، أَنَّ رَجُلًا، قَالَ لِابْنِ مَسْعُودٍ: مَا الصِّرَاطُ الْمُسْتَقِيمُ؟ قَالَ: "تَرَكَنَا مُحَمَّدٌ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي أَدْنَاهُ، وَطَرَفُهُ فِي الْجَنَّةِ، وَعَنْ يَمِينِهِ جَوَادُّ، وَعَنْ يَسَارِهِ جَوَادُّ، وَثَمَّ رِجَالٌ يَدْعُونَ مَنْ مَرَّ بِهِمْ، فَمَنْ أَخَذَ فِي تِلْكَ الْجَوَادِّ انْتَهَتْ بِهِ إِلَى النَّارِ، وَمَنْ أَخَذَ عَلَى الصِّرَاطِ انْتَهَى بِهِ إِلَى الْجَنَّةِ، ثُمَّ قَرَأَ ابْنُ مَسْعُودٍ: ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا﴾. [الأنعام: ١٥٣].[2]

﴿ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾.

أي: ذلكم الصراط المستقيم وصاكم الله تعالى به باتباعه، وعدم اتباع السبل، لتتقوا ربكم؛ فإنه لا سبيل لكم إلى تقوى الله إلا به.

عَنْ عُبَادَةَ بْنِ الصَّامِتِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ يُبَايِعُنِي عَلَى هَذِهِ الْآيَاتِ» ثُمَّ قَرَأَ ﴿قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ﴾. حَتَّى خَتَمَ الْآيَاتِ الثَّلَاثَ، فَمَنْ وَفَّى فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ، وَمَنِ انْتَقَصَ شَيْئًا أَدْرَكَهُ اللَّهُ بِهَا فِي الدُّنْيَا كَانَتْ عُقُوبَتَهُ، وَمَنْ أَخَّرَ إِلَى الْآخِرَةِ، كَانَ أَمْرُهُ إِلَى اللَّهِ، إِنْ شَاءَ عَذَّبَهُ وَإِنْ شَاءَ غَفَرَ لَهُ».[3]

---

١ - رواه أحمد- حديث رقم: ٤١٤٢، والترمذي- أَبْوَابُ صِفَةِ الْقِيَامَةِ وَالرَّقَائِقِ وَالْوَرَعِ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، بَابٌ، حديث رقم: ٢٤٥٤، والحاكم- كِتَابُ التَّفْسِيرِ، تَفْسِيرُ سُورَةِ الْأَنْعَامِ، حديث رقم: ٣٢٤١، والدارمي- المقدمة، بَابٌ فِي كَرَاهِيَةِ أَخْذِ الرَّأْيِ، حديث رقم: ٢٠٨، بسند حسن

٢ - تفسير الطبري- ط. دار التربية والتراث (١٢/ ٢٣٠)

٣ - رواه الحاكم- كِتَابُ التَّفْسِيرِ، تَفْسِيرُ سُورَةِ الْأَنْعَامِ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، حديث رقم: ٣٢٤٠، وقال: هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحُ الْإِسْنَادِ وَلَمْ يُخْرِجَاهُ.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿ثُمَّ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ تَمَامًا عَلَى الَّذِي أَحْسَنَ وَتَفْصِيلًا لِكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لَعَلَّهُمْ بِلِقَاءِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ﴾. سُورَةُ الْأَنْعَامِ: الآية/ ١٥٤

مناسبة الآية لما قبلها:

قال ابن كثير رحمه الله: لَمَّا أَخْبَرَ اللَّهُ تَعَالَى عَنِ الْقُرْآنِ بِقَوْلِهِ: ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ﴾ عَطَفَ بِمَدْحِ التَّوْرَاةِ وَرَسُولِهَا، فَقَالَ: ﴿ثُمَّ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ﴾ وَكَثِيرًا مَا يَقْرِنُ سُبْحَانَهُ بَيْنَ ذِكْرِ الْقُرْآنِ وَالتَّوْرَاةِ، كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَمِنْ قَبْلِهِ كِتَابُ مُوسَى إِمَامًا وَرَحْمَةً وَهَذَا كِتَابٌ مُصَدِّقٌ لِسَانًا عَرَبِيًّا﴾.[1]

﴿ثُمَّ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ تَمَامًا عَلَى الَّذِي أَحْسَنَ وَتَفْصِيلًا لِكُلِّ شَيْءٍ﴾.

(ثُمَّ) هُنَا لَيست لِلتَّرْتِيبِ، بل لِعَطْفِ جُمْلَةٍ على جُمْلَةٍ؛ كَمَا قَالَ الشَّاعِرُ:

قُــلْ لِمَــنْ سَــادَ ثُم سَــادَ أبــوهُ **** ثُمّ قَــدْ سَــادَ قَبْــلَ ذَلــكَ جَــده

أَيْ: ثُمَّ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ يعني: التوراةَ الَّتِي أَنْزَلْنَاهَا إِلَيْهِ تَمَامًا كَامِلًا جَامِعًا لِجَمِيعِ مَا يَحْتَاجُ إِلَيْهِ فِي شَرِيعَتِهِ،

وإنما ذكرَ اللهُ تعالى إِيتَاءَ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ الْكِتَابَ؛ لما بين رسالة موسى عليه السلام ورسالة رسولنا محمد صلى الله عليه وسلم من التشابه؛ ولما بين نزول الوصايا العشر على موسى عليه السلام، ثم نزول التوراة، ونزول هذه الآيات الثلاث السابقة، وصايا مع نزول القرآن، وقطعًا لأعذار المشركين حتى لا يقولوا: لَوْ أُنْزِلَ إلينا كِتَابٌ لَكُنَّا أهدى سبيلًا مِنْ أهل الكتابِ من قبلنا.

والمعنى: ثُمَّ إِنَّنَا آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ كَامِلًا جَامِعًا لِمَا يُحْتَاجُ إِلَيْهِ مِنَ الشَّرِيعَةِ؛ كَمَا قَالَ تعالى: ﴿وَكَتَبْنَا لَهُ فِي الأَلْوَاحِ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ﴾ [الأعراف:١٤٥]، وَتَمَامًا لِلنِّعْمَةِ وَالْكَرَامَةِ عَلَى

---

١ - سورة الْأَحْقَافِ: الآية/ ١٢

www.alukah.net
شبكة الألوكة

مَنْ أَحْسَنَ فِي اتِّبَاعِهِ وَاهْتَدَى بِهِ، وَكَانَ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ يَقْرَؤُهَا: "تَمَامًا عَلَى الَّذِينَ أَحْسَنُوا". قَالَ مُجَاهِدٌ: عَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُحْسِنِينَ.

﴿وَتَفْصِيلًا لِكُلِّ شَيْءٍ﴾.

أيْ: وَبَيَانًا لِكُلِّ شَيْءٍ مِنْ أَمْرِ دِينِهم من الإيمانِ والحلالِ والحرامِ.

﴿وَهُدًى وَرَحْمَةً لَعَلَّهُمْ بِلِقَاءِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ﴾.

وجعلناه هدايةً لَهُمْ إلى الطَّرِيقِ الْمُسْتَقِيمِ لِئَلَّا يَضِلُّوا، وَرَحْمَةً مِنَّا لِنُنْجِي من اعتصم بِهِ مِنَ الضَّلَالِ في الدنيا ومن العذاب في الآخرة.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿وَهَذَا كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ فَاتَّبِعُوهُ وَاتَّقُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾. سُورَةُ الْأَنْعَامِ: الآية/ ١٥٥

﴿وَهَذَا كِتَابٌ﴾، يعني: القرآنَ، ذُكِرَ نكرةً لتعظيمه، أَنْزَلْنَاهُ يعني عَلَى رسولِ اللهِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ووصفه بالإنزال ردًّا على المشركينَ الذين كانوا يشيعون بين الناس أنَّ رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ اختلقه واكتتبه من الكتب السابقة؛ كما قال الله تعالى عنهم: ﴿وَقَالُوا أَسَاطِيرُ الأَوَّلِينَ اكْتَتَبَهَا فَهِيَ تُمْلَى عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلا﴾ [الْفُرْقَانِ: ٥]، مع يقينهم أنه من عند الله تعالى، لكن حملهم الحسد على الكفر وعدم الإيمان؛ كما قال تعالى: ﴿وَقَالُوا لَوْلا نزلَ هَذَا الْقُرْآنُ عَلَى رَجُلٍ مِنَ الْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ﴾ [الزُّخْرُفِ: ٣١]، فأخبر الله تعالى هنا أنه منزلٌ من عنده تعالى بالحقِّ، ردًّا على دعواهم الباطلة.

ثم وصفه الله تعالى بأنه: ﴿مُبَارَكٌ﴾؛ أي عظيمُ الْبَرَكَةِ، كثيرُ الخيرِ، والْبَرَكَةُ: الزِّيَادَةُ وَالنَّمَاءُ فِي الْخَيْرِ.

ثم أمر الله تعالى بامتثال أوامره واجتناب نواهيه، والعمل بمحكمه والإيمان بمتشابهه؛ فقال: ﴿فَاتَّبِعُوهُ﴾؛ لأنَّ كتابًا هذا شأنه: منزلٌ من عند الله، ومباركٌ يجدر بالناس اتباع ما فيه.

﴿وَاتَّقُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾.

ثم حذر تعالى من الإعراض عنه، ومخالفة ما فيه فقال: ﴿وَاتَّقُوا﴾، وقيلَ: الأمر بالتقوى عام، ليشمل امتثال كل أمر واجتناب، ﴿لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾؛ أي: لتفوزوا برحمة الله تعالى في الدنيا والآخرة.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿أَنْ تَقُولُوا إِنَّمَا أُنْزِلَ الْكِتَابُ عَلَى طَائِفَتَيْنِ مِنْ قَبْلِنَا وَإِنْ كُنَّا عَنْ دِرَاسَتِهِمْ لَغَافِلِينَ (١٥٦) أَوْ تَقُولُوا لَوْ أَنَّا أُنْزِلَ عَلَيْنَا الْكِتَابُ لَكُنَّا أَهْدَى مِنْهُمْ فَقَدْ جَاءَكُمْ بَيِّنَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ كَذَّبَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَصَدَفَ عَنْهَا سَنَجْزِي الَّذِينَ يَصْدِفُونَ عَنْ آيَاتِنَا سُوءَ الْعَذَابِ بِمَا كَانُوا يَصْدِفُونَ﴾. سُورَةُ الْأَنْعَامِ: الآية/ ١٥٦، ١٥٧

أي: وَهَذَا كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ لِئَلَّا تَقُولُوا يَا أَهْلَ مَكَّةَ: ﴿إِنَّمَا أُنزِلَ الْكِتَابُ﴾، الْكِتَابُ اسم جنسٍ والمرادُ به التَّوْرَاةُ وَالْإِنْجِيلُ، ﴿عَلَى طَائِفَتَيْنِ مِنْ قَبْلِنَا﴾، أَيْ: الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى.

﴿وَإِنْ كُنَّا عَنْ دِرَاسَتِهِمْ لَغَافِلِينَ﴾.

أي: وَقَدْ كُنَّا عَنْ تِلَاوَةِ الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى التَّوْرَاةَ وَالْإِنْجِيلَ لغَافِلِينَ، لَا نَدْرِي مَا يَقْرَءُونَ، وَلَا نَعْلَمُ مَا يَقُولُونَ، وقَالَ: عَنْ دِرَاسَتِهِمْ، وَلَمْ يَقُلْ عَنْ دِرَاسَتِهِمَا؛ لِأَنَّ كُلَّ طَائِفَةٍ جماعةٌ.

قَالَ ابْنُ زَيْدٍ: الدِّرَاسَةُ: الْقِرَاءَةُ وَالْعِلْمُ.

﴿أَوْ تَقُولُوا لَوْ أَنَّا أُنْزِلَ عَلَيْنَا الْكِتَابُ لَكُنَّا أَهْدَى مِنْهُمْ﴾.

أي: وَلِئَلَّا تَقُولُوا لَوْ أَنَّا أُنْزِلَ عَلَيْنَا الْكِتَابُ كمَا أُنْزِلَ علَى الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى، لَكُنَّا أَهْدَى مِنْهُمْ سبيلًا، وأَشَدَّ اسْتِقَامَةً، وأَطْوعَ للْحَقِّ منهم.

﴿فَقَدْ جَاءَكُمْ بَيِّنَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ﴾.

أي: فقد قطع الله تعالى حجتكم، وأزال عذركم ببرهانٍ ساطعٍ، ودليلٍ قاطعٍ، وبَيَانٍ مِنْ رَبِّكُمْ لا لبس فيه، وهُو الْقُرْآنُ، وفيه هدايتكم من الضلالةِ، وَهُو رَحْمَةٌ من الشَّقاءِ الأبدي لمن اعتصم به.

﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ كَذَّبَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَصَدَفَ عَنْهَا﴾.

السؤالُ للإنكارِ؛ أَيْ: لَا أَحَدَ أَظْلَمُ مِنَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ، فلم يؤمنوا بها، وَأَعْرَضُوا عنهَا فلم يَعْمَلُوا بها، مع ظُهُورِها وسُطُوعِ نُورِها، وفي الكلام التفاتٌ من الخطابِ إلى الغيبةِ يُوحِي بالإعراضِ عنهم؛ لإعراضِهم عن قبولِ الحقِّ.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

وَالصَّدْفُ: الْإِعْرَاضُ؛ قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: ﴿وَصَدَفَ عَنْهَا﴾: أَعْرَضَ عَنْهَا.

وَقَالَ السُّدِّيُّ: ﴿وَصَدَفَ عَنْهَا﴾: صَدَّ عَنْهَا.

﴿سَنَجْزِي الَّذِينَ يَصْدِفُونَ عَنْ آيَاتِنَا سُوءَ الْعَذَابِ بِمَا كَانُوا يَصْدِفُونَ﴾.

تهديدٌ ووعيدٌ لأؤلئك الذين أَعْرَضُوا عنْ آيَاتِ اللَّهِ وصَدَّ النَّاسَ عَنْهَا، وحالَ بينهم وبين الإيمانِ بها.

يقول تعالى: سنجزيهم بأشدِّ العذابِ، لكفرهم بآيات اللهِ، وحملهم غيرهم على الكفرِ بها.

وَوُضِعَ الظاهرُ موضِعَ الْمُضْمَرِ في قوله: ﴿سَنَجْزِي الَّذِينَ يَصْدِفُونَ...﴾، وما قال سنجزيهم؛ ليسجلَ عليهم جُرْمَهُم، وأنَّه سببُ ما يصيبهم من العذابِ الشديدِ؛ لأنهم ضلوا وأضلوا.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ تَأْتِيَهُمُ الْمَلَائِكَةُ أَوْ يَأْتِيَ رَبُّكَ أَوْ يَأْتِيَ بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ لَا يَنْفَعُ نَفْسًا إِيمَانُهَا لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِنْ قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيمَانِهَا خَيْرًا قُلِ انْتَظِرُوا إِنَّا مُنْتَظِرُونَ﴾. سُورَةُ الْأَنْعَامِ: الآية/ ١٥٨

لما قطع الله تعالى عذر المشركين وفنَّدَ شبهاتهم بما أنزله من الآيات الدالة على وحدانيته، وصدق رسوله صلى الله عليه وسلم في كتابه الكريم، توعدهم الله تعالى بالهلاك في الدنيا والعذاب في الآخرة إذا لجوا في طغيانهم، وأقاموا على كفرهم، فقال تعالى: ﴿هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ تَأْتِيَهُمُ الْمَلَائِكَةُ﴾.

هذا سؤال المراد منه الإنكار عليهم بسبب كفرهم بآيات الله وصدهم عن سبيله، أي: ما ينتظر هؤلاء المكذبون بِآيَاتِ اللهِ، الصَّادِّيْنَ عَنْ سَبِيلِهِ إِلَّا أَنْ تَأْتِيَهُمُ الْمَلَائِكَةُ لقبضِ أرواحهم، وضرب وجوههم وأدبارهم؛ كما قال تعالى: ﴿وَلَوْ تَرَى إِذْ يَتَوَفَّى الَّذِينَ كَفَرُوا الْمَلَائِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَارَهُمْ﴾ [الْأَنْفَالِ: ٥٠]؛ وكما قال تعالى: ﴿وَلَوْ تَرَى إِذِ الظَّالِمُونَ فِي غَمَرَاتِ الْمَوْتِ وَالْمَلَائِكَةُ بَاسِطُو أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُوا أَنْفُسَكُمُ الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ بِمَا كُنْتُمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ وَكُنْتُمْ عَنْ آيَاتِهِ تَسْتَكْبِرُونَ﴾ [الْأَنْعَامِ: ٩٣]؛ أَيْ: بَاسِطُو أَيدِيهِم بِالضَّربِ والعَذَابِ حين يُخرِجُون أَروَاحَهُم من أجسَادِهِم.

وتَأْتِيهمُ الْمَلَائِكَةُ يومَ القيامةِ يحيطون بهم في أرض المحشرِ؛ كما قال تعالى: ﴿وَيَوْمَ تَشَقَّقُ السَّمَاءُ بِالْغَمَامِ وَنزلَ الْمَلائِكَةُ تَنزيلا﴾ [الْفُرْقَانِ:٢٥]، قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: يَجْمَعُ اللَّهُ الْخَلْقَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِي صَعِيدٍ وَاحِدٍ، الْجِنَّ وَالْإِنْسَ وَالْبَهَائِمَ وَالسِّبَاعَ وَالطَّيْرَ وَجَمِيعَ الْخَلْقِ، فَتَنْشَقُّ السَّمَاءُ الدُّنْيَا، فَيَنْزِلُ أَهْلُهَا - وَهُمْ أَكْثَرُ مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ وَمِنْ جَمِيعِ الْخَلَائِقِ - فَيُحِيطُونَ بِالْجِنِّ وَالْإِنْسِ وَبِجَمِيعِ الْخَلْقِ.

﴿أَوْ يَأْتِيَ رَبُّكَ﴾.

لفصل القضاء بين العباد يوم القيامة؛ كَمَا قَالَ تعالى: ﴿هَلْ يَنْظُرُونَ إِلا أَنْ يَأْتِيَهُمُ اللَّهُ فِي ظُلَلٍ مِنَ الْغَمَامِ وَالْمَلائِكَةُ﴾ [الْبَقَرَةِ: ٢١٠]؛ وكَمَا قَالَ: ﴿كَلا إِذَا دُكَّتِ الأَرْضُ دَكًّا دَكًّا *

www.alukah.net
شبكة الألوكة

وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا * وَجِيءَ يَوْمَئِذٍ بِجَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ يَتَذَكَّرُ الإِنْسَانُ وَأَنَّى لَهُ الذِّكْرَى﴾.[1]

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ أُنَاسٌ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، هَلْ نَرَى رَبَّنَا يَوْمَ القِيَامَةِ؟ فَقَالَ: «هَلْ تُضَارُّونَ فِي الشَّمْسِ لَيْسَ دُونَهَا سَحَابٌ» قَالُوا: لاَ يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: «هَلْ تُضَارُّونَ فِي القَمَرِ لَيْلَةَ البَدْرِ لَيْسَ دُونَهُ سَحَابٌ» قَالُوا: لاَ يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: «فَإِنَّكُمْ تَرَوْنَهُ يَوْمَ القِيَامَةِ كَذَلِكَ، يَجْمَعُ اللَّهُ النَّاسَ، فَيَقُولُ: مَنْ كَانَ يَعْبُدُ شَيْئًا فَلْيَتَّبِعْهُ، فَيَتْبَعُ مَنْ كَانَ يَعْبُدُ الشَّمْسَ، وَيَتْبَعُ مَنْ كَانَ يَعْبُدُ القَمَرَ، وَيَتْبَعُ مَنْ كَانَ يَعْبُدُ الطَّوَاغِيتَ، وَتَبْقَى هَذِهِ الأُمَّةُ فِيهَا مُنَافِقُوهَا، فَيَأْتِيهِمُ اللَّهُ فِي غَيْرِ الصُّورَةِ الَّتِي يَعْرِفُونَ، فَيَقُولُ: أَنَا رَبُّكُمْ، فَيَقُولُونَ: نَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْكَ، هَذَا مَكَانُنَا حَتَّى يَأْتِيَنَا رَبُّنَا، فَإِذَا أَتَانَا رَبُّنَا عَرَفْنَاهُ، فَيَأْتِيهِمُ اللَّهُ فِي الصُّورَةِ الَّتِي يَعْرِفُونَ، فَيَقُولُ: أَنَا رَبُّكُمْ، فَيَقُولُونَ: أَنْتَ رَبُّنَا فَيَتْبَعُونَهُ....».[2]

ولا يجوزُ القولُ إنَّ الْمُرَادَ بِهِ: إِتْيَانُ عَذَابِهِ تَعَالَى، أو إِتْيَانُ أَثَرٍ مِنْ آثَارِ قدرتِهِ تَعَالَى؛ لأن ذلك داخل تحت قوله تعالى: ﴿أَوْ يَأْتِيَ بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ﴾، فيكون في الكلام تكرارًا.

ولا يجوزُ القولُ بأَنَّ هَذَا حِكَايَةُ مَذْهَبِ الْكُفَّارِ؛ لأنَّه وعيدٌ من الله تعالى لهم على كفرهم وإعراضهم، والواجبُ الإيمانُ بصفات الله تعالى كما جاءت بلا تأويل ولا تحريف ولا تكييف ولا تعطيل.

قوله: ﴿أَوْ يَأْتِيَ بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ﴾.

أي: ما ينتظر هؤلاء المكذبون بِآيَاتِ اللهِ إِلَّا أَنْ تَأْتِيَهُمْ بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ فتحول بينهم وبين الإيمان؛ كطلوع الشمس من مغربها، والدجال، وخروج دابة الأرض.

---

١ - سورة الْفَجْرِ: الآية/ ٢١ -٢٣

٢ - رواه البخاري- كتاب الرِّقَاقِ، بَابٌ: الصِّرَاطُ جَسْرُ جَهَنَّمَ، حديث رقم: ٦٥٧٣، ومسلم- كِتَابُ الْإِيمَانِ، بَابُ مَعْرِفَةِ طَرِيقِ الرُّؤْيَةِ، حديث رقم: ١٨٢

www.alukah.net
شبكة الألوكة

﴿يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ لَا يَنْفَعُ نَفْسًا إِيمَانُهَا لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِنْ قَبْلُ﴾.

فإذا وقع شيءٌ من هذه الآيات الثلاث، لا يقبل الله تعالى توبة عاصٍ، ولا إيمان كافرٍ؛ فعَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ﴿يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ لَا يَنْفَعُ نَفْسًا إِيمَانُهَا﴾. قَالَ: «طُلُوعُ الشَّمْسِ مِنْ مَغْرِبِهَا».[1]

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ تَابَ قَبْلَ أَنْ تَطْلُعَ الشَّمْسُ مِنْ مَغْرِبِهَا، تَابَ اللهُ عَلَيْهِ».[2]

عَنْ صَفْوَانَ بْنِ عَسَّالٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّ مِنْ قِبَلِ مَغْرِبِ الشَّمْسِ بَابًا مَفْتُوحًا، عَرْضُهُ سَبْعُونَ سَنَةً، فَلَا يَزَالُ ذَلِكَ الْبَابُ مَفْتُوحًا لِلتَّوْبَةِ، حَتَّى تَطْلُعَ الشَّمْسُ مِنْ نَحْوِهِ، فَإِذَا طَلَعَتْ مِنْ نَحْوِهِ، لَمْ يَنْفَعْ نَفْسًا إِيمَانُهَا، لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِنْ قَبْلُ، أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيمَانِهَا خَيْرًا».[3]

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «ثَلَاثٌ إِذَا خَرَجْنَ لَا يَنْفَعُ نَفْسًا إِيمَانُهَا لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِنْ قَبْلُ، أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيمَانِهَا خَيْرًا: طُلُوعُ الشَّمْسِ مِنْ مَغْرِبِهَا، وَالدَّجَّالُ، وَدَابَّةُ الْأَرْضِ».[4]

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لاَ تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى تَطْلُعَ الشَّمْسُ مِنْ مَغْرِبِهَا، فَإِذَا طَلَعَتْ وَرَآهَا النَّاسُ آمَنُوا أَجْمَعُونَ، وَذَلِكَ حِينَ لاَ يَنْفَعُ نَفْسًا إِيمَانُهَا» ثُمَّ قَرَأَ الآيَةَ.[5]

---

١ - رواه أحمد- حديث رقم: ١١٢٦٦، والترمذي- أَبْوَابُ تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، بَابٌ: وَمِنْ سُورَةِ الأَنْعَامِ، حديث رقم: ٣٠٧١، بسند صحيح

٢ - رواه مسلم- بَابُ اسْتِحْبَابِ الِاسْتِغْفَارِ، وَالِاسْتِكْثَارِ مِنْهُ، كِتَابُ الْعِلْمِ، حديث رقم: ٢٧٠٣

٣ - رواه ابن ماجه- كِتَابُ الْفِتَنِ، بَابُ طُلُوعِ الشَّمْسِ مِنْ مَغْرِبِهَا، حديث رقم: ٤٠٧٠، بسند صحيح

٤ - رواه مسلم- كِتَابُ الْإِيمَانِ، بَابُ بَيَانِ الزَّمَنِ الَّذِي لَا يُقْبَلُ فِيهِ الْإِيمَانُ، حديث رقم: ١٥٨

٥ - رواه البخاري- كِتَابُ التَّفْسِيرِ، سُورَةُ الْأَنْعَامِ، باب لا ينفع نفسا إيمانها، حديث رقم: ٤٦٣٥، ومسلم- كِتَابُ الْإِيمَانِ، بَابُ بَيَانِ الزَّمَنِ الَّذِي لَا يُقْبَلُ فِيهِ الْإِيمَانُ، حديث رقم: ١٥٧

www.alukah.net
شبكة الألوكة

﴿أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيمَانِهَا خَيْرًا﴾.

أَيْ: وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا عَمَلٌ صَالِحٌ تعمَلُهُ حِينَئِذٍ، إِذَا لَمْ يَكُنْ لها عَامِلٌ صالحٌ قَبْلَ مجيءِ تِلكَ الآيةِ.

﴿قُلِ انْتَظِرُوا إِنَّا مُنْتَظِرُونَ﴾.

تَهْدِيدٌ وَوَعِيدٌ لأولئك المكذبينَ فإنَّ ما توعدهم الله تعالى به كائن لا محالة، الهلاك في الدنيا مع العذاب الأليم يوم القيامة، أَمَّا أهل الإيمان فينتظرون النصر والتمكين في الدنيا والنعيم المقيم في الآخرة.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا لَسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ إِنَّمَا أَمْرُهُمْ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ يُنَبِّئُهُمْ بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾. سُورَةُ الْأَنْعَامِ: الآية/ ١٥٩

مناسبة الآية لما قبلها:

لَمَّا تمت حجةُ اللهِ تعالى على العباد، واستبانت محجته للخلقِ، وتلقى المؤمنون تلك الوصايا العشر من ربهم تبارك وتعالى، حذرهم الله تعالى هنا أشد التحذير من مفارقة الدين بعد الاعتصام به، والتفرق بعد الاجتماع، والاختلاف بعد الائتلاف، والتناحر بعد التناصر، وأخبر رسوله صلى الله عليه وسلم ببراءته منه، مع ما ينتظرهم العذاب الأليم يوم القيامة.

﴿إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا لَسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ﴾.

هذه الآية عامة في كل من فرَّقَ دِينَهُ الذي أمر الله تعالى أن يدين به، فهي تشمل المشركين الذي فرقوا دين الخليل إبراهيم حتى فارقوه بالكلية، حتى عبدت كل قبيلة وثنًا استحسنوا عبادته، وتشمل اليهود والنصارى الذين فرقوا دينهم الذي جاءتهم به رسلهم عليهم السلام، ويشمل أهل البدع الذين خالفوا هدي رسول الله صلى الله عليه وسلم، واتبعوا أهواءهم.

والتفريق هو الفصل بين أجزاء الشي الواحد، وجعله أبعاضًا؛ ﴿وَكَانُوا شِيَعًا﴾؛ أي: فرقًا وأحزابًا، ﴿لَسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ﴾، أنت بريءٌ منهم وهم برآءُ منك.

وقد حدث ذلك لأهل الكتاب؛ كما قال تعالى عنهم: ﴿كَمَا أَنْزَلْنَا عَلَى الْمُقْتَسِمِينَ (٩٠) الَّذِينَ جَعَلُوا الْقُرْآنَ عِضِينَ﴾ [الحجر: ٩٠، ٩١]، قال ابنُ عَبَّاسٍ: هم أهل الكتاب، جَزَّؤوه أَجْزَاءً، فَآمَنُوا بِبَعْضِهِ، وَكَفَرُوا بِبَعْضِهِ، وقال تعالى عن اليهود: ﴿أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ﴾.[١]

وَقَرَأَ حَمْزَةُ وَالْكِسَائِيُّ ﴿فَارَقُوا﴾ بِالْأَلِفِ مِنَ الْمُفَارَقَةِ وهي التركُ؛ أي: تَرَكُوا دِينَهُمْ وَخَرَجُوا عَنْهُ.

---

١ - سورة البقرة: الآية/ ٨٦

www.alukah.net
شبكة الألوكة

وقد حذر الله تعالى من التفرق في الدين والاختلاف أشدَّ التحذير فقالَ تَعَالَى: ﴿شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ﴾.[1]

وحذر رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من التفرق كذلك غاية التحذير؛ فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «افْتَرَقَتِ الْيَهُودُ عَلَى إِحْدَى أَوْ ثِنْتَيْنِ وَسَبْعِينَ فِرْقَةً، وَتَفَرَّقَتِ النَّصَارَى عَلَى إِحْدَى أَوْ ثِنْتَيْنِ وَسَبْعِينَ فِرْقَةً، وَتَفْتَرِقُ أُمَّتِي عَلَى ثَلَاثٍ وَسَبْعِينَ فِرْقَةً».[2]

وَعَنْ عَوْفِ بْنِ مَالِكٍ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «افْتَرَقَتِ الْيَهُودُ عَلَى إِحْدَى وَسَبْعِينَ فِرْقَةً، فَوَاحِدَةٌ فِي الْجَنَّةِ، وَسَبْعُونَ فِي النَّارِ، وَافْتَرَقَتِ النَّصَارَى عَلَى ثِنْتَيْنِ وَسَبْعِينَ فِرْقَةً، فَإِحْدَى وَسَبْعُونَ فِي النَّارِ، وَوَاحِدَةٌ فِي الْجَنَّةِ، وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ لَتَفْتَرِقَنَّ أُمَّتِي عَلَى ثَلَاثٍ وَسَبْعِينَ فِرْقَةً، وَاحِدَةٌ فِي الْجَنَّةِ، وَثِنْتَانِ وَسَبْعُونَ فِي النَّارِ» ، قِيلَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ مَنْ هُمْ؟ قَالَ: «الْجَمَاعَةُ».[3]

﴿إِنَّمَا أَمْرُهُمْ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ يُنَبِّئُهُمْ بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾.

تهديدٌ شديدٌ ووعيدٌ أكيدٌ بأنَّ اللهَ الذي لا تخفى عليه خافية سيتولى حسابهم يوم القيامة.

---

١ – سُورةُ الشُّورَى: الآية/ ١٣

٢ – رواه أبو داود– كِتَاب السُّنَّةِ، بَابُ شَرْحِ السُّنَّةِ، حديث رقم: ٤٥٩٦، بسند صحيح

٣ – رواه ابن ماجه– كِتَابُ الْفِتَنِ، بَابُ افْتِرَاقِ الْأُمَمِ، حديث رقم: ٣٩٩٢، بسند صحيح

www.alukah.net
شبكة الألوكة

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَى إِلَّا مِثْلَهَا وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾. سُورَةُ الْأَنْعَامِ: الآية/ ١٦٠

مناسبة الآية لما قبلها:

لما ذكر الله تعالى أصول الإيمان وقواعد العقائد، وأصول المحرماتِ، والوصايا العشر، وأقام عليها الحجج والبراهين، وذكر مقابلها أصول الكفر، وشبهات المشركين وفندها، ناسب أن يذكر تعالى هنا جزاء المؤمنين الطائعين، وجزاء العصاة المذنبين في الآخرة.

﴿مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا﴾.

في الكلام حذف إيجاز تقديره: مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ حَسَنَاتٍ أَمْثَالِهَا، حُذِفَتِ الْحَسَنَاتُ وَأُقِيمَتِ الْأَمْثَالُ الَّتِي هِيَ صِفَتُهَا مَقَامَهَا.

هَذِهِ الْآيَةُ الْكَرِيمَةُ فصَّلَتْ ما أُجْمِلَ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ خَيْرٌ مِنْهَا﴾.[1]

وقوله تعالى: ﴿فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا﴾. أقل ما وعد الله تعالى من الجزاء على الحسنات، وجاء الوعد بسبعين ضعفًا، وسبعمائة وجاء الوعدُ بأن الجزاء بغيرِ حساب، والعلة في ذلك التفاوت اختلاف أحوال العباد في الأعمال، فمن كمل يقينه وإخلاصه ليس كمن كان دون ذلك.

وقيل: المراد بالعشر الكثرة دون العدد، والصحيح الأول.

وقَرَأَ يَعْقُوبُ: ﴿عَشْرٌ أَمْثَالُهَا﴾ بِتَنْوِينِ عَشْرٍ ورَفْعِ أَمْثَالِهَا عَلَى الْوَصْفِ.

يخبر اللهُ تَعَالَى أَنَّ مَنْ وَافَى رَبَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِي مَوْقِفِ الْحِسَابِ مؤمنًا قد عمل الصالحاتِ فَلَهُ بكلِ حسنةٍ عَشْرُ حَسَنَاتٍ أَمْثَالَ حَسَنَتِهِ الَّتِي جَاءَ بِهَا فضلًا من الله ورحمة، وَمَنْ وَافَى ربَّه يَوْمَ الْقِيَامَةِ قد عملَ السيئاتِ فَلَا يُجْزَى إِلَّا مِثْلَهَا جزاءً وفاقًا.

والحسنة هنا عامةٌ تشمل الإيمان وسائر الطاعات، وكذا السيئة يدخل فيه الكفر وما دونه من الآثام.

---

١ - سُورَةُ النَّمْلِ: الآية/ ٨٩

www.alukah.net
شبكة الألوكة

عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فِيمَا يَرْوِي عَنْ رَبِّهِ عَزَّ وَجَلَّ قَالَ: قَالَ: «إِنَّ اللَّهَ كَتَبَ الحَسَنَاتِ وَالسَّيِّئَاتِ ثُمَّ بَيَّنَ ذَلِكَ، فَمَنْ هَمَّ بِحَسَنَةٍ فَلَمْ يَعْمَلْهَا كَتَبَهَا اللَّهُ لَهُ عِنْدَهُ حَسَنَةً كَامِلَةً، فَإِنْ هُوَ هَمَّ بِهَا فَعَمِلَهَا كَتَبَهَا اللَّهُ لَهُ عِنْدَهُ عَشْرَ حَسَنَاتٍ إِلَى سَبْعِ مِائَةِ ضِعْفٍ إِلَى أَضْعَافٍ كَثِيرَةٍ، وَمَنْ هَمَّ بِسَيِّئَةٍ فَلَمْ يَعْمَلْهَا كَتَبَهَا اللَّهُ لَهُ عِنْدَهُ حَسَنَةً كَامِلَةً، فَإِنْ هُوَ هَمَّ بِهَا فَعَمِلَهَا كَتَبَهَا اللَّهُ لَهُ سَيِّئَةً وَاحِدَةً».[1]

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ هَمَّ بِحَسَنَةٍ فَلَمْ يَعْمَلْهَا، كُتِبَتْ لَهُ حَسَنَةً، وَمَنْ هَمَّ بِحَسَنَةٍ فَعَمِلَهَا، كُتِبَتْ لَهُ عَشْرًا إِلَى سَبْعِ مِائَةِ ضِعْفٍ، وَمَنْ هَمَّ بِسَيِّئَةٍ فَلَمْ يَعْمَلْهَا، لَمْ تُكْتَبْ، وَإِنْ عَمِلَهَا كُتِبَتْ».[2]

﴿وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾.

تذييل لبيان كمال عدل الله تعالى لأولئك الذين عملوا السيئات، وأنه لا يهلك على الله إلا هالك.

---

١ - رواه البخاري- كتاب الرِّقَاقِ، بَابُ مَنْ هَمَّ بِحَسَنَةٍ أَوْ بِسَيِّئَةٍ، حديث رقم: ٦٤٩١، ومسلم- كِتَابُ الْإِيمَانِ، بَابُ إِذَا هَمَّ الْعَبْدُ بِحَسَنَةٍ كُتِبَتْ وَإِذَا هَمَّ بِسَيِّئَةٍ لَمْ تُكْتَبْ، حديث رقم: ١٣١

٢ - رواه مسلم- كِتَابُ الْإِيمَانِ، بَابُ إِذَا هَمَّ الْعَبْدُ بِحَسَنَةٍ كُتِبَتْ وَإِذَا هَمَّ بِسَيِّئَةٍ لَمْ تُكْتَبْ، حديث رقم: ١٣٠

www.alukah.net
شبكة الألوكة

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿قُلْ إِنَّنِي هَدَانِي رَبِّي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ دِينًا قِيَمًا مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾. سُورَةُ الْأَنْعَامِ: الآية/ ١٦١

مناسبة الآيات لما قبلها:

لما أقام الله تعالى الحجج على المشركين، وبين أصول التوحيد غاية البيان، أمر صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، أن يختم الجدال مع المشركين ببيان ما يدين به، وما يعتقده من الاعتقاد الثابت الراسخ.

﴿قُلْ إِنَّنِي هَدَانِي رَبِّي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾.

يقول الله تعالى لرسوله صلى الله عليه وسلم قل يا محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، لهؤلاء المشركين إنني أرشدني ربي ووفقني إلى الطريق القويم، الذي لا زيغ فيه ولا اعوجاج، وفيه تعريض بما هم عليه من الانحراف عن منهج الرسل، والضلال عن الدين الحق.

﴿دِينًا قِيَمًا مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾.

نُصِبَ ﴿دِينًا﴾ حَمْلًا عَلَى الْمَعْنَى؛ لِأَنَّ مَعْنَى هَدَانِي عَرَّفَنِي دِينًا، هُوَ دِينُ اللَّهِ الَّذِي ارتضاه لعبادِه، ولا يقبل منهم سواه، وهو الدينُ الذي كان يدين به إبراهيم الخليل عليه السلام، والملة التي اعتنقها الحنيفية السمحة، وهو إفراد الله تعالى بالعبادة وما كان من المشركين بالله الذين يعبدون الأصنام.

وهو الدين الذي ارتضاه الله تعالى لعباده المؤمنين؛ كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿هُوَ اجْتَبَاكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ مِلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِنْ قَبْلُ وَفِي هَذَا لِيَكُونَ الرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ﴾ [الحج: ٧٨]

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ (١٢٠) شَاكِرًا لِأَنْعُمِهِ اجْتَبَاهُ وَهَدَاهُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ (١٢١) وَآتَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ (١٢٢) ثُمَّ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ أَنِ اتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾

www.alukah.net
شبكة الألوكة

[النَّحْلِ: ١٢٠- ١٢٣]، وفيه تعريض بهم كذلك فإنهم يزعمون أنهم على ملة إبراهيم ويعبدون غير الله تعالى.

وَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: قِيلَ لِرَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أَيُّ الْأَدْيَانِ أَحَبُّ إِلَى اللهِ؟ قَالَ: "الْحَنِيفِيَّةُ السَّمْحَةُ".[١]

١ - رواه أحمد- حديث رقم: ٢١٠٧، بسند صحيح

www.alukah.net
شبكة الألوكة

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ (١٦٢) لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ﴾. سُورَةُ الْأَنْعَامِ: الآية/ ١٦٢، ١٦٣

ثم أمر الله تعالى رسوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، أن يعلن للمشركين مخالفته لهم في عبادته، كما خالفهم في معتقدهم، فإنهم يعبدون الأوثان ويذبحون لها، وهو صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، يصلي لله تعالى وحده، ويذبح له تعالى وحده لا شريك له؛ كما أمره الله تعالى بقوله: ﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ﴾.[1]

وَالنُّسُكُ فِي الْأَصْلِ الْعِبَادَةُ، وَالنَّاسِكُ الْعَابِدُ، والمرادُ به هنا: الذَّبْحُ؛ ومنه قولُ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: لكَعْبِ بْنِ عُجْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وقد مَرَّ بِهِ وَالقَمْلُ يَتَنَاثَرُ عَلَى وَجْهِهِ، فَقَالَ: «أَيُؤْذِيكَ هَوَامُّ رَأْسِكَ؟» قَالَ: نَعَمْ، قَالَ: «فَاحْلِقْ، وَصُمْ ثَلاَثَةَ أَيَّامٍ، أَوْ أَطْعِمْ سِتَّةَ مَسَاكِينَ، أَوْ انْسُكْ نَسِيكَةً».[2]

أي: اذبح ذبيحة.

قَالَ مُجَاهِدٌ: النُّسُكُ: الذَّبْحُ فِي الْحَجِّ وَالْعُمْرَةِ.

﴿وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾.

(مَحْيَايَ وَمَمَاتِي) مَصْدَرَانِ مِيمِيَّانِ بِمَعْنَى الْحَيَاةِ وَالْمَوْتِ، أي: وَمَا أَدِينُ بِهِ وأَعْمَلُهُ فِي حَيَاتِي، وَما أعتقده وأُوصِي به عمدَ وَفَاتِي ﴿لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾، أي: على مقتضى شريعته، وهدي كتابه تعالى، وقوله: ﴿رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾، بيانٌ لعلة استحقاقه تعالى للعبادة دون سواه؛ فإنه خالق الخلق، ورازقهم والكلُ مفتقرٌ إليه.

وذكرُ الحياةِ والمماتِ بعد الصلاةِ والنسكِ من باب عطف العام على الخاص.

---

١ - سُورَةُ الْكَوْثَرِ: الآية/ ٢

٢ - رواه البخاري- كتاب المغازي، بَابُ غَزْوَةِ الْحُدَيْبِيَةِ وَقَوْلِ اللهِ تَعَالَى: ﴿لَقَدْ رَضِيَ اللهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ﴾، حديث رقم: ٤١٩٠، ومسلم- كِتَابُ الْحَجِّ، بَابُ جَوَازِ حَلْقِ الرَّأْسِ لِلْمُحْرِمِ إِذَا كَانَ بِهِ أَذًى، وَوُجُوبِ الْفِدْيَةِ لِحَلْقِهِ، وَبَيَانِ قَدْرِهَا، حديث رقم: ١٢٠١

www.alukah.net
شبكة الألوكة

وفي الآية ترقي من الأدنى إلى الأعلى.

قال ابن عطية قوله: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي....﴾، أمرٌ من الله عز وجل أن يعلن بأن مقصده في صلاته، وطاعته من ذبيحة وغيرها، وتصرفه مدة حياته، وحاله من الإخلاص والإيمان عند مماته، إنما هو لله عز وجل وإرادة وجهه وطلب رضاه.[1]

﴿لَا شَرِيكَ لَهُ﴾.

أي: لَا شَرِيكَ لَهُ فِي رُبُوبِيَّتِهِ، ولا نِدَّ لَهُ ولا نظيرَ، ولا مُعِينَ ولا ظَهِيرَ لَهُ مِنْ خلقِهِ، وفيه تعريضٌ بالمشركين.

﴿وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ﴾.

أي: وَبِذَلِكَ الإخلاصِ أُمِرْتُ، والإشارةُ بِـ (ذَلِكَ) التي للبعيد، للدلالة على علوِّ رتبتِه وبُعدِ منزلتِه في الفضل، وتقديم الجار والمجرور: للقصر أي: أُمِرْتُ بذلك لا بشيء غيره.

﴿وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ﴾.

أي: وَأَنَا أَوَّلُ الطائِعِينَ لهُ الممتثلينَ أَمْره. قَالَ قَتَادَةُ: أَيْ مِنْ هَذِهِ الْأُمَّةِ.

---

١ - المحرر الوجيز (٢/ ٣٦٩)

www.alukah.net
شبكة الألوكة

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿قُلْ أَغَيْرَ اللَّهِ أَبْغِي رَبًّا وَهُوَ رَبُّ كُلِّ شَيْءٍ وَلَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ إِلَّا عَلَيْهَا وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى ثُمَّ إِلَى رَبِّكُمْ مَرْجِعُكُمْ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ﴾. سُورَةُ الْأَنْعَامِ: الآية/ ١٦٤

يَقُولُ اللهُ تَعَالَى لرَسُولِهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: قُلْ يَا مُحَمَّدُ لِهَؤُلَاءِ الْمُشْرِكِينَ بِاللَّهِ: ﴿قُلْ أَغَيْرَ اللَّهِ أَبْغِي رَبًّا﴾. أَيْ: أَغَيْرَ اللَّهِ أَطْلُبُ رَبًّا، وَهُوَ تَعَالَى رَبُّ كُلِّ شَيْءٍ ومَلِيكُهُ، فهو الخالق وما سواه مخلوقٌ، وهو الغَنِيُّ والكلُ مفتقرٌ إليه، وسؤالُ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ للإنكارِ عليهم والتقريعِ لهم، وفيه دليلٌ على حرصِ المشركين على تزيينِ باطِلِهِم، والدعوةِ إلى عبادةِ أوثَانِهِم؛ كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿قُلْ أَفَغَيْرَ اللَّهِ تَأْمُرُونِّي أَعْبُدُ أَيُّهَا الْجَاهِلُونَ﴾.[1]

﴿وَلَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ إِلَّا عَلَيْهَا﴾.

في الكلام حذف اختصار دلَّ عليه قوله تعالى: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا اتَّبِعُوا سَبِيلَنَا وَلْنَحْمِلْ خَطَايَاكُمْ﴾ [العنكبوت: ١٢]، قَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَلِلَّذِينَ آمَنُوا اعْبُدُوا آلِهَتَنَا وَاتْرُكُوا مَا أَنْتُم عَلَيْهِ وَنَحْنُ نَحْمِل خَطَايَاكُمْ، فأُمِرَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أن يقول لهم: ﴿وَلَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ إِلَّا عَلَيْهَا﴾؛ أي: إِنَّمَا كَسْبُ كلِ نفسٍ من الشَّرِ والإثمِ عليها وحْدَهَا.

﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى﴾.

أي: ولا يحمل أحدٌ ذَنْبَ أحدٍ، ولا يؤاخذُ بجريرةِ غيرِهِ، وليس الكلام تأكيدًا لما سبقه من قوله: ﴿وَلَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ إِلَّا عَلَيْهَا﴾، وإنما هو تأسيس لمعنى جديدٍ فالجملة الأولى في الكفارِ قيل لهم: مقتضى عدلِ الله تعالى أنَّ كلَ نفسٍ عليها ما اكتسبت من الشَّرِ، لا يُحْمَلُ عنها، كَمَا قَالَ: ﴿وَإِنْ تَدْعُ مُثْقَلَةٌ إِلَى حِمْلِهَا لَا يُحْمَلْ مِنْهُ شَيْءٌ وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَى﴾.[2]

---

١ - سورةُ الزُّمَرِ: الآية/ ٦٤

٢ - سورة فَاطِرَ: الآية/ ١٨

www.alukah.net
شبكة الألوكة

وأما قوله تعالى: ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى﴾، فمعناه: لا يُظلَمُ أحدٌ فيَحْمِلُ ذَنْبَ أحدٍ؛ ومثله قوله تعالى: ﴿لَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ﴾.[1]

فَأَمَّا مَنْ كَانَ إِمَامًا فِي الضَّلَالَةِ وَدَعَا إِلَيْهَا، فَإِنَّهُ يَحْمِلُ وِزْرَ مَنْ أَضَلَّهُم مِنْ غَيْرِ أَنْ يَنْقُصَ مِنْ أَوْزارِهِم شيءٌ؛ كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَيَحْمِلُنَّ أَثْقَالَهُمْ وَأَثْقَالا مَعَ أَثْقَالِهِمْ وَلَيُسْأَلُنَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَمَّا كَانُوا يَفْتَرُونَ﴾ [الْعَنْكَبُوتِ: ١٣]، وقَالَ تَعَالَى: ﴿لِيَحْمِلُوا أَوْزَارَهُمْ كَامِلَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَمِنْ أَوْزَارِ الَّذِينَ يُضِلُّونَهُمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ أَلا سَاءَ مَا يَزِرُونَ﴾.[2]

﴿ثُمَّ إِلَى رَبِّكُمْ مَرْجِعُكُمْ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ﴾.

تَهْدِيدٌ وَوَعِيدٌ لهم بما ينتظرهم من العذابِ الأليمِ يومَ القيامةِ، بِمَا كُنْتُمْ تَخْتَلِفُونَ فِيهِ مَعَ الْمُؤمِنينَ.

ويحتمل أن يكون الخطاب عامٌّ للْمُؤمِنينَ والْمُشْرِكِينَ، فيكون فيه وعدٌ لأهلِ الإيمان، وَوَعِيدٌ للْمُشْرِكِينَ.

---

١ - سورة القصص: الآية/ ٥٥

٢ - سورة النَّحْلِ: الآية/ ٢٥

www.alukah.net
شبكة الألوكة

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿وَهُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلَائِفَ الْأَرْضِ وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ الْعِقَابِ وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ﴾. سُورَةُ الْأَنْعَامِ: الآية/ ١٦٥

أي: ورَبُّ كُلِّ شَيْءٍ من دلائلِ قدرتِهِ، وآياتِ وحدانيتِهِ أَنَّهُ تعالَى هُوَ ﴿الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلَائِفَ الْأَرْضِ﴾؛ يَخْلُفُ بَعْضُكُمْ بَعْضًا، تُعَمِّرُونَ الْأَرْضَ جِيلًا بَعْدَ جِيلٍ، وقَرْنا بَعْدَ قَرْنٍ، وخَلَفا بَعْدَ سَلَف، وَالْخَلَائِفُ: جَمْعُ خَلِيفَةٍ، وَكُلُّ مَنْ جَاءَ بَعْدَ مَنْ مَضَى فَهُوَ خَلِيفَةٌ؛ كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿ثُمَّ جَعَلْنَاكُمْ خَلَائِفَ فِي الْأَرْضِ مِنْ بَعْدِهِمْ لِنَنْظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ﴾ [يُونُسَ: ١٤]، وقَالَ تَعَالَى: ﴿وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الْأَرْضِ﴾.[١]

﴿وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ﴾.

أَيْ: فَاوَتَ بَيْنَكُمْ فِي الْأَرْزَاقِ وَالْأَخْلَاقِ والعُقُولِ والمحاسن والمساوئ، وَالْأَشْكَالِ وَالْأَلْوَانِ، ليختبركُمْ فيما رَزَقَكُم، فيَبْتَلِي الغَنِيَّ والفَقِيرَ، والشَّرِيف والوَضِيعَ، والحُر والعَبْدَ، ليُظْهِر مِنْكُم ما يكُونُ عليه الثَّوابُ والعِقَابُ؛ كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُمْ مَعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِيَتَّخِذَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا سُخْرِيًّا﴾.[٢]

﴿إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ الْعِقَابِ﴾.

تَرْهِيبٌ لمن خالف أمره تعالى، وعصى رسله عليهم السلام؛ ووصف العقاب بأنه سريعٌ؛ لأنَّ كلَّ ما هُو آتٍ فهو قريبٌ وسريعٌ، وقيل: المرادُ الهلاكُ للمكذبين في الدنيا.

﴿وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ﴾.

تَرْغِيبٌ لمن آمن به وأطاع رسله عليهم السلام، قال عطاء: سَرِيع العقاب لأعْدَائه، غَفُور رحيمٌ لأوْلِيائه.

وأكدَّ قوله: ﴿لَغَفُورٌ﴾ باللام ولمْ يؤكد سُرْعة العِقَاب باللام هُنَا، دلالَة على سِعَة رَحْمَتِه تعالى، وترغيبًا للعباد في التوبة إليه؛ فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى

١ - سورة النَّمْلِ: الآية/ ٦٢

٢ - سورة الزُّخْرُفِ: الآية/ ٣٢

www.alukah.net
شبكة الألوكة

اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَمَّا قَضَى اللَّهُ الخَلْقَ كَتَبَ فِي كِتَابِهِ فَهُوَ عِنْدَهُ فَوْقَ العَرْشِ إِنَّ رَحْمَتِي غَلَبَتْ غَضَبِي».[1]

وإنَّما أكَّد ذلك في سُورَة الأعْراف بقوله: ﴿إِنَّ رَبَّكَ لَسَرِيعُ الْعِقَابِ﴾ [الْأَعْرَافِ: ١٦٧]؛ لأنَّ الكلامَ بعد ذِكْر قصَّة المعْتَدين في السَّبْت فالمقامُ مقامُ تَخْويفٍ وتهديدٍ، فَنَاسب تَأكِيد العِقَاب هُنَاك؛ وأكَّد شدَّةَ الْعِقَابِ في سُورَة الرَّعْدِ؛ كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ لِلنَّاسِ عَلَى ظُلْمِهِمْ وَإِنَّ رَبَّكَ لَشَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ [الرَّعْدِ: ٦]؛ لأنَّ المقامَ مقامُ ترهيبٍ من الظلمِ.

آخر تفسير سورة الأنعام ولله الحمد والمنة.

١ - رواه البخاري- كِتَابُ بَدْءِ الْخَلْقِ، مَا جَاءَ فِي قَوْلِ اللهِ تَعَالَى: ﴿وَهُوَ الَّذِي يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ﴾، حديث رقم: ٣١٩٤، ومسلم- كتاب التوبة، بَابٌ: فِي سَعَةِ رَحْمَةِ اللهِ تَعَالَى، وَأَنَّهَا سَبَقَتْ غَضَبَهُ، حديث رقم: ٢٧٥١

www.alukah.net
شبكة الألوكة

تَفْسِيرُ سُورَةِ الْأَعْرَافِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿المص (١) كِتَابٌ أُنزِلَ إِلَيْكَ فَلا يَكُنْ فِي صَدْرِكَ حَرَجٌ مِنْهُ لِتُنْذِرَ بِهِ وَذِكْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ (٢) اتَّبِعُوا مَا أُنزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ وَلا تَتَّبِعُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ قَلِيلا مَا تَذَكَّرُونَ﴾. سُورَةُ الْأَعْرَافِ: الآية/ ١- ٣

سُورَةُ الْأَعْرَافِ مَكِّيَّةٌ، وقيل: إلا خمس آيات قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَاسْأَلْهُمْ عَنِ الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَتْ حَاضِرَةَ الْبَحْرِ﴾ إلى قولِهِ: ﴿وَقَطَّعْنَاهُمْ فِي الْأَرْضِ أُمَمًا﴾ [الأعراف: ١٦٣- ١٦٨]، وَآيَاتُهَا سِتٌّ وَمِائَتَانِ.

خصائصُ سُورَةِ الْأَعْرَافِ:

سُورَةُ الْأَعْرَافِ شأنها شأنُ السورِ المكيةِ نزلتْ تعالج قضايا العقيدة، وأول آياته بمثابة بيان يجب على المؤمنين امتثال ما فيه وهو أن هذا القرآن دستور حياة لأهل الإيمان، يجب عليهم اتباعه، وشرف يجب الاعتصام به، ومصدر فخر يجب عليهم أن يرتقوا به، ولا يجوز لأحد منهم أن يجد في نفسه حرجًا منه أو من شيء من أحكامه، ثم يمضي السياق قاصًا على المؤمنين تلك المعارك الخالدة التي خاضها المؤمنون الأوائل لنصرة دين الله تعالى، بداية من نشأة الجنس البشري، ومجاهرة الشيطان لآدم عليه السلام وذريته بالعداوة، مرورًا برسل الله عليهم السلام وهم يدعون أممهم إلى دين الله تعالى، ونبذ عبادة الأوثان.

ولكثرة تلك الأمم التي كفرت بربها وكذبت رسلها، ذكرهم الله تعالى على وجه الإجمال تارة، وذكر بعضهم على وجه التفصيل؛ ليكون أعظم وقعًا في النفوس حين تدركُ سنَّةَ اللهِ في الخلق، وتقفُ على مصارع الغابرين كأنهم يرونهم رأي العين؛ ﴿وَكَمْ مِنْ قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا فَجَاءَهَا بَأْسُنَا بَيَاتًا أَوْ هُمْ قَائِلُونَ (٤) فَمَا كَانَ دَعْوَاهُمْ إِذْ جَاءَهُمْ بَأْسُنَا إِلَّا أَنْ قَالُوا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ﴾ [الآية: ٤، ٥].

www.alukah.net
شبكة الألوكة

بداية من أول رسول إلى أهل الأرض نوحٍ عليه السلام ومجادلة قومه له، ثم عاقبة المكذبين، ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ فَقَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ [الآية: ٥٩]، ويمضي السياق ببيان حال كل أمة مع رسولها، وبيان تلك الشبه التي أثاروها والتي منعتهم من الإيمان، وحملتهم على التكذيب وكيف فندها كل رسولٍ ثم عاقبة كل من كذب الرسل، ويمضي السياق إلى قصة موسى عليه السلام مع بني إسرائيل وتستغر أحداث القصة قدرًا كبيرًا من السورة؛ لما فيها من العبر والعظات والدروس المستفادة للمؤمنين، لا سيما واليهود لهم وجود في المدينة التي ستكون عاصمة الدولة الإسلامية، والمشركون ينظرون إليهم بعين الإكبار، ويرونهم أهل الكتاب الأول.

ويتخلل القصص عن مصارع الغابرين، دلائل توحيد الله تعالى، وبراهين قدرته تعالى التي لا منتهى لها؛ ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَثِيثًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٍ بِأَمْرِهِ أَلا لَهُ الْخَلْقُ وَالأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ [الآية: ٥٤].

ومن تلك القضايا التي نزلت تعالجها هذه السورة العظيمة قضية البعث والنشور والجزاء والحساب والجنة والنار، وحال المكذين يوم القيامة وهم يتبادلون التهم بالإفساد والإضلال، ثم يتلاعنون في النارِ حين تتبرأ كل أمة من أختها.

وحال أصحاب الأعراف في أرض المحشر وهم بين خوف ورجاء، وحال أهل الجنة في الجنة يتنعمون فيها، وحال أهل النار في النار وهم يعذبون ويتحسرون على ما فاتهم من الإيمان في الدنيا؛ ويندمون ولات حين مندم.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

﴿المص﴾.

تقدم الكلام عن الحروف المقطعة في بداية سورة البقرة، وقلنا هناك إن أرجح الأقول فيها أن هذا القرآن من جنس هذه الحروف التي تتكلمون بها ومع ذلك لا تستطيعون الإتيان بمثل هذا القرآن ولا بعشر سور من مثله، ولا بأقصر سورة من مثله.

﴿كِتَابٌ أُنزِلَ إِلَيْكَ فَلا يَكُنْ فِي صَدْرِكَ حَرَجٌ مِنْهُ لِتُنْذِرَ بِهِ وَذِكْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ﴾.

ذكر لفظ (كِتَاب) نكرةً لتعظيم شأنه، وتقدير الكلام: (هَذَا كِتَابٌ عظيمٌ أُنزِلَ إِلَيْكَ)، فَلا يَكُنْ فِي صَدْرِكَ ضِيقٌ فِي إِبْلَاغِهِ للنَّاسِ وَالْإِنْذَارِ بِهِ، والحَرَجُ الضِيقُ.

وقِيلَ: الكلامُ ظَاهِرُهُ النَّهْيُ، وَمَعْنَاهُ نَفْيُ الْحَرَجِ عَنْهُ.

وَقَالَ مُجَاهِدٌ، وَعَطَاءٌ وَقَتَادَةُ والسُّدِّي: فَلا يَكُنْ فِي صَدْرِكَ شَكٌّ مِنْهُ. فإن الشَّاكَ حَرِجُ الصَّدرِ أو ضَيقُ القلبِ، فقِيلَ له: لَا تَتَحَرَّجْ بِهِ فِي إِبْلَاغِهِ وَالْإِنْذَارِ بِهِ، ولا يلزم من النَّهي أن يكون النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كذلك، بل هذا كقوله تعالى: ﴿وَلا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾.[1]

﴿وَذِكْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ﴾.

أَيْ: وَذَكِّرْ بِهِ الْمُؤْمِنِينَ، وخَصَّ لِلْمُؤْمِنِينَ بالذِّكْرِ؛ لِأَنَّهُمُ الذين يَنْتَفِعُونَ بِهِ.

﴿اتَّبِعُوا مَا أُنزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ وَلا تَتَّبِعُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ﴾.

أي: اتَّبِعُوا كِتَابَ اللهِ وَسُنَّةَ رسُولِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَلَا تَتَّبِعُوا أَوْلِيَاءَكُمُ الَّذِينَ يُزَيِّنُونَ لكم البَاطِلَ، ويَأْمُرُونَكُمْ بِالشِّرْكِ بِاللَّهِ تَعَالَى، والخطابُ للنَّاسِ جميعًا، وهذه الْآيَةُ أصلٌ في النَّهي عن الاجتهادِ مَعَ وُجُودِ النَّصِّ.

ومعنى: ﴿أُنزِلَ إِلَيْكُمْ﴾؛ أي: أُنزِلَ من أَجْلِكُم خطابًا لكم.

---

١ - سورة الأنعام: الآية/ ١٤

www.alukah.net
شبكة الألوكة

﴿قَلِيلا مَا تَذَكَّرُونَ﴾.

أَيْ: قَلِيلًا مَا تَتَذَكَّرُونَ أيها الْمُخَاطَبِونَ، فتتبعون أَوْلِيَائِكُمْ فيما يُخَالِفُون فيه أمرَ اللهِ تعالى.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿وَكَمْ مِنْ قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا فَجَاءَهَا بَأْسُنَا بَيَاتًا أَوْ هُمْ قَائِلُونَ (٤) فَمَا كَانَ دَعْوَاهُمْ إِذْ جَاءَهُمْ بَأْسُنَا إِلَّا أَنْ قَالُوا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ (٥) فَلَنَسْأَلَنَّ الَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ وَلَنَسْأَلَنَّ الْمُرْسَلِينَ (٦) فَلَنَقُصَّنَّ عَلَيْهِمْ بِعِلْمٍ وَمَا كُنَّا غَائِبِينَ﴾. سُورَةُ الْأَعْرَافِ: الآية/ ٤- ٦

يقول تعالى مُهَدِّدًا الْمُشْرِكِينَ الَّذِينَ عبدوا غيره تعالى: ﴿وَكَمْ مِنْ قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا﴾؛ أَيْ: وَكَثِيرٌ مِنَ الْقُرَى أَهْلَكْنَاهَا بتَكْذِيبِ أَهْلِهَا، واسْتُهْزَائِهم بِرُسُلِنَا.

وَ (كَمْ) لِلتَّكْثِيرِ؛ كما قال تعالى: ﴿فَكَأَيِّنْ مِنْ قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا وَهِيَ ظَالِمَةٌ فَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا وَبِئْرٍ مُعَطَّلَةٍ وَقَصْرٍ مَشِيدٍ﴾ [الحج: ٤٥]، وَالْإِهْلَاكُ: الْإِفْنَاءُ وَالِاسْتِئْصَالُ، وَإِهْلَاكُ الْقَرْيَةِ بِخَسْفٍ أَوْ غَيْرِهِ إِهْلَاكٌ لِمَنْ فِيهَا، وذَكَرَ إِهْلَاكَ الْقَرْيَةِ دُونَ أَهْلِهَا لِيُبَيِّنَ أَنَّ الإِهْلَاكَ أَحَاطَ بِكلِ ما فيها، وشمل كلَّ مَنْ عليها.

﴿فَجَاءَهَا بَأْسُنَا بَيَاتًا أَوْ هُمْ قَائِلُونَ﴾.

الفاء من ﴿فَجَاءَهَا﴾، مفسرة للإهلاك، والتقدير: فَكَانَ مِنْ شأنِ إِهْلَاكِهِمْ أَنَّ مِنْهم مَنْ جَاءَهُ بَأْسُ اللهِ وَعَذَابُهُ حَالَ بَيَاتِهِ لَيْلًا، وَكَانَ مِنْهُمْ مَنْ جَاءَهُ بَأْسُ اللهِ وَعَذَابُهُ حَالَ قيلولته، وَهِيَ: نَومَةُ وَسَطَ النَّهَارِ، وخصَّ هَذَينِ الْوَقْتَيْنِ لأَنَّهُمَا وَقْتَا غَفْلةٍ ولَهْوٍ غالبًا؛ كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿أَفَأَمِنَ أَهْلُ الْقُرَى أَنْ يَأْتِيَهُمْ بَأْسُنَا بَيَاتًا وَهُمْ نَائِمُون * أَوَأَمِنَ أَهْلُ الْقُرَى أَنْ يَأْتِيَهُمْ بَأْسُنَا ضُحًى وَهُمْ يَلْعَبُونَ﴾.[1]

﴿فَمَا كَانَ دَعْوَاهُمْ إِذْ جَاءَهُمْ بَأْسُنَا إِلَّا أَنْ قَالُوا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ﴾.

أَيْ: فَمَا كَانَ دُعَاؤُهُمْ عِنْدَ مَجِيءِ الْعَذَابِ إِلَّا أَنِ اعْتَرَفُوا بِذُنُوبِهِمْ، وَالدَّعْوَى اسْمٌ بِمَعْنَى الدُّعَاءِ كَقَوْلِهِ: ﴿دَعْواهُمْ فِيها سُبْحانَكَ اللَّهُمَّ﴾.[2]

وَيَجُوزُ أَنْ تَكُونَ الدَّعْوَى بِمَعْنَى الِادِّعَاءِ أَيِ: انْقَطَعَتْ كُلُّ الدَّعَاوَى الَّتِي كَانُوا يَدَّعُونَهَا مِنْ تسويغِ الشِّرْكِ، وَلَمْ تَبْقَ لَهُمْ دَعْوَى إلا الإِقرَار بالذَّنْبِ، والِاعْتِرَاف بِالظُّلْمِ.

---

١ - سورةُ الْأَعْرَافِ: الآية/ ٩٧، ٩٨

٢ - سورة يُونُس: الآية/ ١٠

www.alukah.net
شبكة الألوكة

﴿فَلَنَسْأَلَنَّ الَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ وَلَنَسْأَلَنَّ الْمُرْسَلِينَ﴾.

أُكِّدَ الْخَبَرُ بِاللَامِ الموطئةِ لِلْقَسَمِ وَنُونِ التَّوْكِيدِ في قوله: ﴿فَلَنَسْأَلَنَّ﴾، لِإِزَالَةِ الشَّكِّ من نفوسهم، وزيادةً في ترهيبهم من الحسابِ.

وَسُؤَالُ الَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ عمَّا أَجَابوا بِهِ الرُّسُلَ سُؤَالُ تَقْرِيرٍ وَتَوْبِيخٍ وَتَقْرِيعٍ كما قَالَ تَعَالَى: ﴿وَيَوْمَ يُنادِيهِمْ فَيَقُولُ مَاذَا أَجَبْتُمُ الْمُرْسَلِينَ﴾ [الْقَصَص: ٦٥]، وَسُؤَالُ الْمُرْسَلِينَ عَنْ تَبْلِيغِهِمُ الرِّسَالَةَ سُؤَالُ إِرْهَابٍ لِمَنْ كذَّبهم من أُمَمِهِم.

قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: يَسْأَلُ اللَّهُ النَّاسَ عَمَّا أَجَابُوا الْمُرْسَلِينَ، وَيَسْأَلُ الْمُرْسَلِينَ عَمَّا بَلَّغُوا.

﴿فَلَنَقُصَّنَّ عَلَيْهِمْ بِعِلْمٍ وَمَا كُنَّا غَائِبِينَ﴾.

تهديدٌ ووعيدٌ بما ينتظرهم من العذاب يوم القيامة، فإنَّ أعمالهم مسجلةٌ عليهم، لم يعزب عن علم الله تعالى منها شيءٌ؛ كما قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّا كُنَّا نَسْتَنْسِخُ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [الْجَاثِيَةِ: ٢٩]، ولا يخفى على الله تعالى من ظواهرهم ولا بواطنهم شيءٌ؛ كما قَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَا يَعْزُبُ عَنْ رَبِّكَ مِنْ مِثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي الأَرْضِ وَلا فِي السَّمَاءِ وَلا أَصْغَرَ مِنْ ذَلِكَ وَلا أَكْبَرَ إِلا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾.[1]

١ - سورةُ يُونُسَ: الآية/ ٦١

www.alukah.net
شبكة الألوكة

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿وَالْوَزْنُ يَوْمَئِذٍ الْحَقُّ فَمَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾. سُورَةُ الْأَعْرَافِ: الآية/ ٨

مناسبة الآية لما قبلها:

لما أخبر الله تعالى عن سُؤَالِ الَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ وَسُؤَالِ الْمُرْسَلِينَ يومَ القيامةِ، ذَكَرَ تعالى هنا موطنًا عظيمًا من مواطن الحشرِ تطيش فيه العقول وتذهل فيه الألباب، وتتجلى فيه مصائر العبادِ، وهو الميزان.

﴿وَالْوَزْنُ يَوْمَئِذٍ الْحَقُّ﴾.

الْوَزْنُ مصدرُ وَزَنَ يَزِنُ، وَهُوَ عَمَلٌ يُرَادُ بِهِ تَعَرُّفُ مِقْدَارِ الشَّيْءِ بِالْمِيزَانِ.

وَالْمِيزَانُ حقٌّ؛ يَنْصِبُ اللَّهُ تَعَالَى مِيزَانًا لَهُ لِسَانٌ وَكِفَّتَانِ؛ كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَإِنْ كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَى بِنَا حَاسِبِينَ﴾ [الْأَنْبِيَاءِ: ٤٧]، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ فَلا أَنْسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلا يَتَسَاءَلُونَ * فَمَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ * وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ فِي جَهَنَّمَ خَالِدُونَ﴾ [الْمُؤْمِنُونَ: ١٠١- ١٠٣]، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿فَأَمَّا مَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَاضِيَةٍ * وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُمُّهُ هَاوِيَةٌ * وَمَا أَدْرَاكَ مَا هِيَهْ * نَارٌ حَامِيَةٌ﴾ [الْقَارِعَةِ: ٦-١١]، وتوزنُ به أعمال العبادِ؛ عَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «مَا مِنْ شَيْءٍ أَثْقَلُ فِي الْمِيزَانِ مِنْ حُسْنِ الْخُلُقِ».[1]

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «كَلِمَتَانِ خَفِيفَتَانِ عَلَى اللِّسَانِ، ثَقِيلَتَانِ فِي الميزَانِ، حَبِيبَتَانِ إِلَى الرَّحْمَنِ، سُبْحَانَ اللَّهِ وَبِحَمْدِهِ، سُبْحَانَ اللَّهِ العَظِيمِ».[2]

---

١ - رواه أحمد- حديث رقم: ٢٧٥١٧، وأبو داود- بَابٌ فِي حُسْنِ الْخُلُقِ، حديث رقم: ٤٧٩٩، بسند صحيح

٢ - رواه البخاري- كِتَابُ الدَّعَوَاتِ، بَابُ فَضْلِ التَّسْبِيحِ، حديث رقم: ٦٤٠٦، ومسلم- كِتَابُ الذِّكْرِ، وَالدُّعَاءِ، وَالتَّوْبَةِ، وَالِاسْتِغْفَارِ، بَابُ فَضْلِ التَّهْلِيلِ، وَالتَّسْبِيحِ، وَالدُّعَاءِ، حديث رقم: ٢٦٩٤

www.alukah.net
شبكة الألوكة

وتوزن صحائف أعمالهم؛ فعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُما يَقُولُ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «يُصَاحُ بِرَجُلٍ مِنْ أُمَّتِي عَلَى رُءُوسِ الْخَلَائِقِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَيُنْشَرُ لَهُ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ سِجِلًّا كُلُّ سِجِلٍّ مَدَّ الْبَصَرِ، ثُمَّ يُقَالُ لَهُ: أَتُنْكِرُ مِنْ هَذَا شَيْئًا؟ فَيَقُولُ: لَا يَا رَبِّ، فَيَقُولُ: أَلَكَ عُذْرٌ، أَوْ حَسَنَةٌ؟ فَيَهَابُ الرَّجُلُ، فَيَقُولُ: لَا يَا رَبِّ، فَيَقُولُ: بَلَى إِنَّ لَكَ عِنْدَنَا حَسَنَاتٍ، وَإِنَّهُ لَا ظُلْمَ عَلَيْكَ، فَيُخْرَجُ لَهُ بِطَاقَةٌ فِيهَا أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، فَيَقُولُ: يَا رَبِّ مَا هَذِهِ الْبِطَاقَةُ مَعَ هَذِهِ السِّجِلَّاتِ؟ فَيَقُولُ: إِنَّكَ لَا تُظْلَمُ، قَالَ: فَيُوضَعُ السِّجِلَّاتُ فِي كِفَّةٍ، وَالْبِطَاقَةُ فِي كِفَّةٍ فَطَاشَتِ السِّجِلَّاتُ، وَثَقُلَتِ الْبِطَاقَةُ».[1]

ويوزن به العبادُ أنفسهم؛ فعَنْ زِرِّ بْنِ حُبَيْشٍ، أَنَّ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ مَسْعُودٍ، كَانَ يَحْتَزُّ لِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سِوَاكًا مِنْ أَرَاكٍ، وَكَانَ فِي سَاقَيْهِ دِقَّةٌ، فَضَحِكَ الْقَوْمُ، فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَا يُضْحِكُكُمْ مِنْ دِقَّةِ سَاقَيْهِ، وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ إِنَّهُمَا أَثْقَلُ فِي الْمِيزَانِ مِنْ أُحُدٍ».[2]

ويوزن ذلك بميزان له لسان وكفتان، تنظر إليه الخلائق، تأكيدًا للحجة، وإظهارًا للنصفة، وقطعًا للمعذرة.

وَكَانَ مُجَاهِدٌ يَقُولُ: الْوَزْنُ فِي هَذَا الْمَوْضِعِ: الْقَضَاءُ.[3]

---

١ - رواه أحمد- حديث رقم: ٦٩٩٤، وابن ماجه- كِتَابُ الزُّهْدِ، بَابُ مَا يُرْجَى مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، حديث رقم: ٤٣٠٠، والحاكم- كِتَابُ الْإِيمَانِ، حديث رقم: ٩، بسند صحيح

٢ - رواه أحمد- حديث رقم: ٩٢٠، وابن حبان- كِتَابُ إِخْبَارِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنْ مناقب الصحابة رضي الله عنهم أجمعين، مناقب الصحابة رضي الله عنهم أَجْمَعِينَ، ذِكْرُ تَمْثِيلِ الْمُصْطَفَى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ طَاعَاتِ ابْنِ مَسْعُودٍ الَّتِي كَانَ بِسَبِيلِهَا مِنْ قَدَمَيْهِ بِأُحُدٍ فِي ثِقَلِ الْمِيزَانِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، حديث رقم: ٧٠٦٩، بسند صحيح

٣ - تفسير الطبري (١٠/ ٦٧)

www.alukah.net
شبكة الألوكة

قوله تعالى: ﴿فَمَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾.

ظاهرُ الآيةِ أنَّها مَوَازِينُ فِي يَوْمِ الْقِيَامَةِ لَا مِيزَانٍ وَاحِدٍ؛ ودلَّ عَلَيْهِ قَوْلُهُ: ﴿وَنَضَعُ الْمَوازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيامَةِ﴾.[1]

وقيلَ: الْمَوَازِينُ جَمْعُ مَوْزُونٍ، وَهِي الْأَعْمَالُ الْمَوْزُونَةَ؛ أَيْ: فَمَنْ ثَقُلَتْ أَعْمَالُهُ الصَّالحَةُ الْمَوْزُونَةُ فَأُولَئِكَ هُمُ الفَائِزُونَ النَّاجُونَ يومَ القيامَةِ.

١ - سورةُ الْأَنْبِيَاءِ: الآية/ ٤٧

www.alukah.net
شبكة الألوكة

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ بِمَا كَانُوا بِآيَاتِنَا يَظْلِمُونَ﴾. سُورَةُ الْأَعْرَافِ: الآية/ ٩

أي: وَمَنْ خَفَّتْ أَعْمَالُهُ الصَّالحَةُ الْمَوْزُونَةُ فَأُولَئِكَ الَّذِينَ خَابُوا يومَ القيامَةِ وَخَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ حين سعوا بها إلى الهلاكِ وعرَّضُوها للخلودِ في النَّارِ.

قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: تُوزَنُ الْحَسَنَاتُ وَالسَّيِّئَاتُ فِي مِيزَانٍ له لسان كفتان، فَأَمَّا الْمُؤْمِنُ فَيُؤْتَى بِعَمَلِهِ فِي أَحْسَنِ صُورَةٍ فَيُوضَعُ فِي كِفَّةِ الْمِيزَانِ فَتَثْقُلُ حَسَنَاتُهُ عَلَى سَيِّئَاتِهِ، فَذَلِكَ قَوْلُهُ:" فَمَنْ ثَقُلَتْ مَوازِينُهُ فَأُولئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ" وَيُؤْتَى بِعَمَلِ الْكَافِرِ فِي أَقْبَحِ صُورَةٍ فَيُوضَعُ فِي كِفَّةِ الْمِيزَانِ فَيَخِفُّ وَزْنُهُ حَتَّى يَقَعَ فِي النَّارِ.

﴿بِمَا كَانُوا بِآيَاتِنَا يَظْلِمُونَ﴾.

(بِمَا) الْبَاءُ للسَبَبِيَّةِ وَمَا مَصْدَرِيَّةٌ؛ أي: بسببِ ظُلْمِهم، وَعُدِّيَ ﴿يَظْلِمُونَ﴾ بِالْبَاءِ؛ لأَنَّهُ ضُمِّنَ مَعْنَى يُكَذِّبُونَ، فيكونُ تقديرُهُ: (بِمَا كَانُوا يَظْلِمُونَ فَيُكَذِّبُونَ بِآيَاتِنَا).

www.alukah.net
شبكة الألوكة

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿وَلَقَدْ مَكَّنَّاكُمْ فِي الْأَرْضِ وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَايِشَ قَلِيلًا مَا تَشْكُرُونَ﴾.

سُورَةُ الْأَعْرَافِ: الآية/ ١٠

مناسبة الآية لما قبلها:

لما أمر اللهُ تعالى الناسَ باتباع ما أنزل إليهم، ونهاهم عن اتباع غيرِه، وحذرهم عاقبة الإعراض عن شريعته، ومخالفة رسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وخوفهم أن يصيبهم ما أصاب المكذبين قبلهم، من الإهلاك في الدنيا والعذاب الشديد في الآخرة، امتن عليهم بما هيأ لهم من أسباب العيش، وسخر لهم من مخلوقاته، ما ينبغي أن يكون عونًا لهم على عبادة الله، والإكثار من شكره، وما أكرمهم بهم النعم وأجلها الإيجاد من العدم، وتصويرهم في أحسن صورة، وتكريم أبيهم بسجود الملائكة له، وبيان العلة التي من أجلها خلقهم الله تعالى، واستعمرهم في الأرض.

﴿وَلَقَدْ مَكَّنَّاكُمْ فِي الْأَرْضِ﴾.

يمتن الله تعالى على العبادِ بما مكن لهم من أسباب العيش، وذلل لهم سبل الحياة على الأرض، فجعلها لهم قرارًا، وبوأهم فيها، وسخرها لهم وأقدرهم على التصرف فيها.

وتأكِيدُ الخَبَرِ بِاللَّامِ و (قَد) التي تُفِيدُ التَّحقِيقَ؛ لِتَذكِيرِ الغَافِلِينَ عَنْ تلك النعمةِ التي أنعم الله بها عَليهِم.

﴿وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَايِشَ﴾.

المعايشُ جمعُ معيشةٍ، وهي: ما يُعاش به من المطاعمِ والمشَارِبِ وغيرِها، نِعْمَةً مِنَ اللهِ عَلى عبادِهِ وَإِحْسَانًا مِنهُ إِلَيْهِم.

﴿قَلِيلًا مَا تَشْكُرُونَ﴾.

أي: وأنتم مع ذلك قَلِيلٌ شُكرُكُم، ظَاهرٌ إِعرَاضِكُم.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ لَمْ يَكُنْ مِنَ السَّاجِدِينَ﴾. سُورَةُ الْأَعْرَافِ: الآية/ ١١

يمتن الله تعالى على عباده بنعمة الإيجاد من العدم، وتصورهم في أحسن صورة بخلق أبيهم آدم عليه السلام وتصويره بيد تعالى؛ كما قال تعالى: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾.[1]

﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ﴾، يَعْنِي آدَمَ عليه السلام، ذُكِرَ بِلَفْظِ الْجَمْعِ؛ لِأَنَّهُ أَبُو الْبَشَرِ ثُمَّ ﴿صَوَّرْنَاكُمْ﴾ رَاجِعٌ إِلَيْهِ أَيْضًا؛ تذكرًا للعبادِ بتلك النعمة العظيمةِ؛ كَمَا قَالَ اللَّهُ تَعَالَى لِبَنِي إِسْرَائِيلَ الَّذِينَ كَانُوا فِي زَمَنِ الرَّسُولِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ﴿وَإِذْ أَخَذْنا مِيثاقَكُمْ وَرَفَعْنا فَوْقَكُمُ الطُّورَ﴾ [الْبَقَرَةِ: ٦٣]، أَيْ: أَخَذْنا مِيثَاقَ أَسْلَافِكُمْ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ فِي زَمَانِ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَظَلَّلْنَا عَلَيْكُمُ الْغَمَامَ وَأَنزلْنَا عَلَيْكُمُ الْمَنَّ وَالسَّلْوَى﴾ [الْبَقَرَةِ: ٥٧]، وَالْمُرَادُ: آبَاؤُهُمُ الَّذِينَ كَانُوا فِي زَمَنِ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ.

فيكون التقديرُ: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ﴾ أَيْ: خَلَقْنَا أَبَاكُمْ آدَمَ ﴿ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ﴾، أَيْ: صَوَّرْنَا أَبَاكُمْ آدَمَ ﴿ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ﴾.

وعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: قَوْلُهُ: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ﴾، قَوْلُهُ: ﴿خَلَقْنَاكُمْ﴾، يَعْنِي آدَمَ، وَأَمَّا ﴿صَوَّرْنَاكُمْ﴾ فَذُرِّيَّتُهُ، خُلِقوا فِي أَصْلَابِ الرِّجَالِ، وصُوِّروا فِي أَرْحَامِ النِّسَاءِ.

وقيل: الْعَطْفُ يُفِيدُ تَرْتِيبَ خَبَرٍ عَلَى خَبَرٍ وَلَا يُفِيدُ تَرْتِيبَ الْمُخْبَرِ عَلَى الْمُخْبَرِ.

وأما ذكر التصوير بعد الخلق فالمراد بالخَلْقِ التَّقْدِيرُ؛ أي: قدرنا خلقكم ثم صورناكم.

والراجح القول الأول لقوله تعالى بعدها: ﴿ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ﴾.

﴿ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ لَمْ يَكُنْ مِنَ السَّاجِدِينَ﴾.

---

١ - سورة التِّين: الآية/ ٤

www.alukah.net
شبكة الألوكة

أي: ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ، تكريمًا له، وابْتِلَاءً لَهُمْ ليظْهَرَ الطَّائِعُ مِنْهُمْ مِنَ الْعَاصِي، فَسَجَدَ الْمَلَائِكَةُ لِآدَمَ حِينَ أَمَرَهُم اللَّهُ امتثالًا للأَمرِ، وعرفانًا بفضلِ آدمَ، وأبى إِبْلِيسُ أن يسجدَ مَعَ مَنْ أُمِرَ بِالسُّجُودِ مِنْ الْمَلَائِكَةِ كبرًا منه على أمر الله تعالى وحسدًا لآدم عليه السلام.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ﴾. سُورَةُ الْأَعْرَافِ: الآية/ ١٢

لما امتنع إبليس لعنه الله عن السجود لآدم عليه السلام قال الله تعالى له منكرًا: ﴿مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ﴾، والمعنى: أَيُّ شَيْءٍ مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ لِآدَمَ إِذْ أَمَرْتُكَ؟

وقد استشكل النحاة وبعض المفسرين المراد من قوله تعالى: ﴿مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ﴾، وقالوا المراد: (مَا مَنعك أَن تسْجد)، وعلى هذا فـ (لا) زائدةٌ، وقد قدمنا أن القرآن ليس فيه شيء زائدٌ، وإنما وُضِعَ كلُ حرفٍ فيه لحكمةٍ جليلةٍ وغايةٍ عظيمة لا يقوم مقامه سواه، وممن قال: إن (لا) زائدةٌ السمعاني؛ فقد قال في قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ﴾. "لَا" زَائِدَة، وَالْمرَاد: مَا مَنعك أَن تسْجد؟[1]

والصحيح أن الفعل: "مَنَعَ" من قوله تعالى: ﴿مَنَعَكَ﴾ تَضَمَّنَ مَعْنَى فِعْلٍ آخَرٍ تَقْدِيرُهُ: مَا أَحْوَجَكَ وَأَلْزَمَكَ وَاضْطَرَّكَ أَلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ، وهذا اختيار ابن جرير رحمه الله.

قال ابْنُ جَرِيرٍ مَعْنَاهُ: (مَا مَنَعَكَ مِنَ السُّجُودِ فَأَحْوَجَكَ أَنْ لَا تَسْجُدَ؟ فَتَرَكَ ذِكْرَ أَحْوَجَكَ اسْتِغْنَاءً بِمَعْرِفَةِ السَّامِعِينَ).[2]

قال ابن كثير: (وَهَذَا الْقَوْلُ قَوِيٌّ حَسَنٌ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ).[3]

لما قال الله تعالى له: ﴿مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ﴾، أي: مَا اضْطَرَّكَ أَلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ؟ ﴿قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ﴾، فامتنع عن السجود قصدًا، وخالف أمر الله تعالى كبرًا؛ كما قال تعالى: ﴿فَسَجَدُوا إِلا إِبْلِيسَ أَبَى وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ﴾.[4]

ثم قَاسَ إِبْلِيسُ قِيَاسًا فَاسِدًا فِي مُقَابَلَةِ أمرِ الله تعالى له بالسجودِ مع الملائكةِ فقال: ﴿خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ﴾، فَأَخْطَأَ – لعنه اللهُ – فِي قِيَاسِهِ وَدَعْوَاهُ أَنَّ النَّارَ أَشْرَفُ

---

١ – تفسير السمعاني (٢/ ١٦٨)

٢ – تفسير الطبري (١٠/ ٨٤)

٣ – تفسير ابن كثير (٣/ ٣٩٢)

٤ – سورة البقرة: الآية/ ٣٤

www.alukah.net
شبكة الألوكة

مِنَ الطِّينِ، وليس الأمرُ كذلك، بل الطِّينُ أَشْرَفُ مِنَ النَّارِ؛ فَإِنَّ الطِّينَ مِنْ شَأْنِهِ الرَّزَانَةُ وَالتَّثَبُّتُ، وَالطِّينُ مَحَلُّ النَّبَاتِ وَالْإِصْلَاحِ. وَالنَّارُ مِنْ شَأْنِهَا الْإِحْرَاقُ وَالطَّيْشُ؛ وَلِهَذَا خَانَ إِبْلِيسَ عُنْصُرُهُ، وَنَفَعَ آدَمَ عُنْصُرُهُ فِي الرُّجُوعِ وَالِاسْتِكَانَةِ وَالِاسْتِسْلَامِ لِأَمْرِ اللَّهِ، والإقرارِ بالذنبِ وَطَلَبِ التَّوْبَةِ.

قَالَ ابْنُ سِيرِينَ: أَوَّلُ مَنْ قَاسَ إِبْلِيسُ، وَمَا عُبِدَتِ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ إِلَّا بِالْمَقَايِيسِ.

وَقَالَ الْحَسَنُ: قَاسَ إِبْلِيسُ، وَهُوَ أَوَّلُ مَنْ قَاسَ. يَعْنِي بِذَلِكَ: الْقِيَاسَ الْخَطَأَ.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿قَالَ فَاهْبِطْ مِنْهَا فَمَا يَكُونُ لَكَ أَنْ تَتَكَبَّرَ فِيهَا فَاخْرُجْ إِنَّكَ مِنَ الصَّاغِرِينَ (١٣) قَالَ أَنْظِرْنِي إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ (١٤) قَالَ إِنَّكَ مِنَ الْمُنْظَرِينَ (١٥) قَالَ فَبِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ﴾. سُورَةُ الْأَعْرَافِ: الآية/ ١٢- ١٦

أَيْ: قَالَ فَاهْبِطْ مِنَ الجنَّةِ قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: يُرِيدُ مِنَ الْجَنَّةِ وَكَانُوا فِي جَنَّةِ عَدْنٍ وَفِيهَا خُلِقَ آدَمُ. أو مِنَ السَّمَاءِ فإنها محلُ سكنى الملائكةِ الأبرارِ، ﴿فَمَا يَكُونُ لَكَ أَنْ تَتَكَبَّرَ فِيهَا﴾، فما ينبغي لك أن تسكنها وأن تكون في زمرتهم وأنت تعصي مولاك وتتكبر على أمره.

﴿فَاخْرُجْ إِنَّكَ مِنَ الصَّاغِرِينَ﴾.

أَيْ: فَاخْرُجْ من الجنَّةِ؛ أو مِن زُمْرَةِ الملائِكَةِ فِي السَّمَاءِ إِنَّكَ مِنَ الْأَذَلِّينَ، وَالصَّغَارُ الذِّلَّةُ وَالْمَهَانَةُ، أرادَ الرفعةَ فوضعه اللهُ تعالى، وتعالى على أمره فأذله الله عزَّ وجلَّ، فعامله الله تعالى بنقيض قصده.

﴿قَالَ أَنْظِرْنِي إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾.

الْإِنْظَارُ: التَّأْخِيرُ، أَيْ أَخِّرْنِي وَلَا تُمِتْنِي إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُ الْخَلْقِ، طَلَبَ مِنَ اللهِ تَعَالَى أَنْ يؤخر أجله إِلَى يومِ الْبَعْثِ؛ لئلا يَذُوقَ الْمَوْتَ؛ وليكونَ خالدًا؛ فإِنَّهُ لَا مَوْتَ بَعْدَ الْبَعْثِ.

قَالَ السُّدِّيُّ: فَلَمْ يُنْظِرْهُ إِلَى يَوْمِ الْبَعْثِ، وَلَكِنْ أَنْظَرَهُ إِلَى يَوْمِ الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ، وَهُوَ يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ النَّفْخَةَ الْأُولَى، فَصَعِقَ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ، فَمَاتَ.

﴿قَالَ إِنَّكَ مِنَ الْمُنْظَرِينَ﴾.

أَجَابَهُ تَعَالَى إِلَى مَا سَأَلَ؛ لِحِكْمَةِ ابتلاءِ العبادِ؛ ولهوان الدنيا عليه تعالى.

﴿قَالَ فَبِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ﴾.

الْإِغْوَاءُ: إِيقَاعُ الْغَيِّ فِي الْقَلْبِ، وتزيينه حتى يُسْتَحْسَنَ، والمعنى أنه قَالَ: فَبِمَا أَضْلَلْتَنِي لَأَصُدَنَّ بَنِي آدَمَ عَنْ عِبَادَتِكَ وَطَاعَتِكَ، وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ كَمَا أَغْوَيْتَنِي، وَلَأُضِلَّنَّهُمْ كَمَا أَضْلَلْتَنِي، وإنما قال ذلك بعد أن أنظره الله تعالى وأمن أن يعاجله الله بالإهلاك والعذاب، والصِّرَاطُ الْمُسْتَقِيمُ: طَرِيقُ الْحَقِّ وَسَبِيلُ النَّجَاةِ.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

وَاللَّامُ فِي لَأَقْعُدَنَّ لَامُ الْقَسَمِ: لتَأْكِيدِ حُصُولِ ذَلِكَ وَتَحْقِيقِ الْعَزْمِ عَلَيْهِ.

وَضُمِّنَ فِعْلُ: لَأَقْعُدَنَّ مَعْنَى القطعِ والتقديرُ لَأَقْعُدَنَّ لهم فَأَقْطَعُ عَنْهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿ثُمَّ لَآتِيَنَّهُمْ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَنْ شَمَائِلِهِمْ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ﴾. سُورَةُ الْأَعْرَافِ: الآية/ ١٧

يعني بذلك أنه يتوعدُ بني آدم بصدهم عن سبيل الله تعالى، ويسلك لإغوائهم كل طريق، فيصدهم عن الحق الذي أمرهم الله تعالى به، ويزين لهم الباطل الذي نهاهم الله تعالى عنه، فذكر هذه الجهات الأربع كناية عن شدة اجتهاده في إغواء بني آدم فلا يدع وسيلة إلا استعمالها في إغوائهم، ولا يدع طريقًا إلا سلكه في سبيل إضلالهم.

ولم يذكر من فوقهم ومن تحتهم؛ لأنَّ مِنْ شَأنِ مَنْ يُريدُ إضلالَ غيرِهِ وإغوائِهِ أنَّه يأتيه مرةً عن يمينِهِ ومرةً عن شمالِهِ، ويعترض طريقه تارةً فيأتيه من بين يديه، وتارة يأتيه من خلفه، ولا يأتيه من فوقه ولا من تحته.

وَقال الْحَكَمُ بْنُ عُتَيْبَةَ: ﴿مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ﴾: مِنْ دُنْيَاهُمْ. ﴿وَمِنْ خَلْفِهِمْ﴾: مِنْ آخِرَتِهِمْ. ﴿وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ﴾: يَعْنِي حَسَنَاتِهِمْ. ﴿وَعَنْ شَمَائِلِهِمْ﴾: يَعْنِي سَيِّئَاتِهِمْ.

قَالَ النَّحَّاسُ: وَهَذَا قَوْلٌ حَسَنٌ وَشَرْحُهُ: أَنَّ مَعْنَى: ﴿ثُمَّ لَآتِيَنَّهُمْ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ﴾: مِنْ دُنْيَاهُمْ، حَتَّى يُكَذِّبُوا بِمَا فِيهَا مِنَ الْآيَاتِ وَأَخْبَارُ الْأُمَمِ السَّالِفَةِ. ﴿وَمِنْ خَلْفِهِمْ﴾: مِنْ آخِرَتِهِمْ حَتَّى يُكَذِّبُوا بِهَا. ﴿وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ﴾: مِنْ حَسَنَاتِهِمْ وَأُمُورِ دِينِهِمْ. وَيَدُلُّ عَلَى هَذَا قَوْلُهُ: ﴿إِنَّكُمْ كُنْتُمْ تَأْتُونَنَا عَنِ الْيَمِينِ﴾ [الصافات: ٢٨]. ﴿وَعَنْ شَمَائِلِهِمْ﴾: يَعْنِي سَيِّئَاتِهِمْ، أَيْ يَتَّبِعُونَ الشَّهَوَاتِ، لِأَنَّهُ يُزَيِّنُهَا لَهُمْ.[١]

وَعُدِّيَ الْفِعْلُ إِلَى الْجِهَتَيْنِ الْأُولَيَيْنِ بِـ (مِنْ)، وَإِلَى الْأُخْرَيَيْنِ بِـ (عَنْ)؛ لِأَنَّ الْغَالِبَ فِيمَنْ يَأْتِي مِنْ قُدَّامٍ وَخَلْفٍ أَنْ يَكُونَ مُتَوَجِّهًا إِلَى مَا يَأْتِيهِ بِكُلِّيَّةِ بَدَنِهِ، وَالْغَالِبُ فِيمَنْ يَأْتِي مِنْ جِهَةِ الْيَمِينِ وَالشِّمَالِ أَنْ يَكُونَ مُنْحَرِفًا، فَنَاسَبَ فِي الْأُولَيَيْنِ التَّعْدِيَةُ بِحَرْفِ الابتداءِ، وفي الأُخْرَيَيْنِ التَّعْدِيَةُ بِحَرْفِ الْمُجَاوَرَةِ.[٢]

---

١ - تفسير القرطبي (٧/ ١٧٦)

٢ - فتح القدير للشوكاني (٢/ ٢١٩)

www.alukah.net
شبكة الألوكة

عَنْ سَبْرَةَ بْنِ أَبِي فَاكِهٍ، قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «إِنَّ الشَّيْطَانَ قَعَدَ لِابْنِ آدَمَ بِأَطْرُقِهِ، فَقَعَدَ لَهُ بِطَرِيقِ الْإِسْلَامِ، فَقَالَ: تُسْلِمُ وَتَذَرُ دِينَكَ وَدِينَ آبَائِكَ وَآبَاءِ أَبِيكَ، فَعَصَاهُ فَأَسْلَمَ، ثُمَّ قَعَدَ لَهُ بِطَرِيقِ الْهِجْرَةِ، فَقَالَ: تُهَاجِرُ وَتَدَعُ أَرْضَكَ وَسَمَاءَكَ، وَإِنَّمَا مَثَلُ الْمُهَاجِرِ كَمَثَلِ الْفَرَسِ فِي الطِّوَلِ، فَعَصَاهُ فَهَاجَرَ، ثُمَّ قَعَدَ لَهُ بِطَرِيقِ الْجِهَادِ، فَقَالَ: تُجَاهِدُ فَهُوَ جَهْدُ النَّفْسِ وَالْمَالِ، فَتُقَاتِلُ فَتُقْتَلُ، فَتُنْكَحُ الْمَرْأَةُ، وَيُقْسَمُ الْمَالُ، فَعَصَاهُ فَجَاهَدَ» فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «فَمَنْ فَعَلَ ذَلِكَ كَانَ حَقًّا عَلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ أَنْ يُدْخِلَهُ الْجَنَّةَ، وَمَنْ قُتِلَ كَانَ حَقًّا عَلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ أَنْ يُدْخِلَهُ الْجَنَّةَ، وَإِنْ غَرِقَ كَانَ حَقًّا عَلَى اللَّهِ أَنْ يُدْخِلَهُ الْجَنَّةَ، أَوْ وَقَصَتْهُ دَابَّتُهُ كَانَ حَقًّا عَلَى اللَّهِ أَنْ يُدْخِلَهُ الْجَنَّةَ».[1]

﴿وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ﴾.

أي: وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ مُؤْمِنِينَ طَائِعِينَ، وعَلِمَ إِبْلِيسُ لَعَنَهُ اللهُ ذَلِكَ بالظَّنِّ فَأَصَابَ؛ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَلَقَدْ صَدَّقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُ﴾.[2]

---

١ - رواه أحمد- حديث رقم: ١٥٩٥٨، والنسائي- كِتَابُ الْجِهَادِ، مَا لِمَنْ أَسْلَمَ وَهَاجَرَ وَجَاهَدَ؟ حديث رقم: ٣١٣٤، بسند صحيح

٢ - سورة سبأ: الآية/٢٠

www.alukah.net
شبكة الألوكة

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿قَالَ اخْرُجْ مِنْهَا مَذْءُومًا مَدْحُورًا لَمَنْ تَبِعَكَ مِنْهُمْ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنْكُمْ أَجْمَعِينَ﴾. سُورَةُ الْأَعْرَافِ: الآية/ ١٨

لَمَّا خَالَفَ إِبْلِيسُ لَعَنَهُ اللهُ أَمْرَ اللهِ تَعَالَى وَعَصَاهُ، وتوعدَ ذريةَ آدمَ عَليهِ السَّلامُ بالإغواءِ، طَرَدَه اللهُ تَعَالَى من رحمتِهِ، وأخرجه من زمرة الملائكة وكان ملازمًا لهم، فقال: ﴿اخْرُجْ مِنْهَا﴾؛ أي: من زمرة الملائكة والمكتنة التي كنت فيها بينهم، وقيل: من الجنةِ.

﴿مَذْءُومًا مَدْحُورًا﴾.

الْمَذْءُومُ: الْمُحَقَّرُ الْمَعِيبُ؛ يقال: ذَأَمَ الرَّجُلَ يَذْأَمُه ذَأْمًا: حَقَّرَه وذَمَّه، وهو أَبْلَغُ فِي الْعَيْبِ مِنَ الذَّمِّ.

قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: صَغِيرًا مَقِيتًا.

وَقَالَ قَتَادَةُ: لَعِينًا مَقِيتًا.

وَالْمَدْحُورُ: الْمُبْعَدُ الْمَطْرُودُ؛ والدُّحُورُ: الطَّرْدُ والإبْعادُ.

قَالَ مُجَاهِدٌ: ﴿مَذْءُومًا﴾: مَنْفِيًّا، ﴿مَدْحُورًا﴾: مَطْرُودًا.

والمعنى: اخْرُجْ مِنْهَا حَالَ كَونِكَ محقرًا معيبًا مطرودًا.

﴿لَمَنْ تَبِعَكَ مِنْهُمْ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنْكُمْ أَجْمَعِينَ﴾.

اللَّامُ فِي: ﴿لَمَنْ تَبِعَكَ﴾، هي: الْمُوَطِّئَةُ لِلْقَسَمِ؛ وَجَوَابُهُ قَوْلُهُ: ﴿لَأَمْلَأَنَّ﴾ أي: أُقْسِمُ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنْكَ وَمِمَّنْ تَبِعَكَ وَغَلَبَ الْخِطَابُ عَلَى الْغَيْبَةِ؛ لِأَنَّ إِبْلِيسَ هُوَ الْمَقْصُودُ ابْتِدَاءً مِنْ هَذَا الْوَعِيدِ.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

والمرادُ بقَوْلِهِ: ﴿لَمَنْ تَبِعَكَ مِنْهُمْ﴾. هم بنو آدَمَ؛ ودلَّ على ذلك قوله تعالى: ﴿قَالَ أَرَأَيْتَكَ هَذَا الَّذِي كَرَّمْتَ عَلَيَّ لَئِنْ أَخَّرْتَنِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ لَأَحْتَنِكَنَّ ذُرِّيَّتَهُ إِلَّا قَلِيلًا (٦٢) قَالَ اذْهَبْ فَمَنْ تَبِعَكَ مِنْهُمْ فَإِنَّ جَهَنَّمَ جَزَاؤُكُمْ جَزَاءً مَوْفُورًا﴾.[١]

وَالتَّأْكِيدُ بِـ ﴿أَجْمَعِينَ﴾ للاستقصاءِ والدلالةِ عَلَى الْعُمُومِ لِئَلَّا يُحْمَلَ عَلَى التَّغْلِيبِ.

١ - سورة الْإِسْرَاءِ: الآية/ ٦٢، ٦٣

www.alukah.net
شبكة الألوكة

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿وَيَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ فَكُلا مِنْ حَيْثُ شِئْتُمَا وَلا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ (١٩) فَوَسْوَسَ لَهُمَا الشَّيْطَانُ لِيُبْدِيَ لَهُمَا مَا وُورِيَ عَنْهُمَا مِنْ سَوْآتِهِمَا وَقَالَ مَا نَهَاكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَذِهِ الشَّجَرَةِ إِلا أَنْ تَكُونَا مَلَكَيْنِ أَوْ تَكُونَا مِنَ الْخَالِدِينَ﴾. سُورَةُ الْأَعْرَافِ: الآية/ ١٩، ٢٠

بعد أن طَرَدَ اللهُ تَعَالَى إبليسَ من ذمرةِ الملائكةِ، وطَرَدَهُ من رحمتِهِ، وحَكَمَ عليه بالذِّلَةِ والصَّغَارِ في الدنيا، والخلودِ في العَذَابِ يومَ القِيامَةِ، أَسْكَنَ آدَمَ وَزَوْجَتَهُ الْجَنَّةَ، وَأَبَاحَ لَهُمَا أَنْ يَأْكُلَا مِنْ ثِمَارِهَا رَغدًا حَيْثُ شَاءَا، وَذِكْرُ الضَّمِيرِ الْمُنْفَصِلِ بَعْدَ الْأَمْرِ، للتَّعْرِيضِ بِإِبْلِيسَ والتَّنْكِيلِ بِهِ، وَنَهَاهُمَا أَنْ يَقْرَبَا شَجَرَةً عَيَّنَهَا لهما، وحَذَّرَهُما مِنْ مَغَبَّةِ الأَكْلِ مِنْ ثِمَارِهَا.

﴿وَلا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ﴾.

ونَهَاهُما اللهُ تعَالَى عَنْ قُرْبَانِ الشَّجَرَةِ سَدًّا لِذَرِيعَةِ الْأَكْلِ مِنْهَا، وهُوَ أَشَدُّ مِنْ النَّهْيِ عَنِ الْأَكْلِ مِنْهَا.

وَتَقَدَّمَ الْكَلَامُ عَلَى ذَلِكَ فِي سُورَةِ الْبَقَرَةِ، فَأَغْنَى عَنْ إِعَادَتَهُ.

﴿فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ﴾، لمخالفةِ أمرِ اللهِ تَعَالَى، وتَعَدِي حُدُودِهِ تَعَالَى.

﴿فَوَسْوَسَ لَهُمَا الشَّيْطَانُ لِيُبْدِيَ لَهُمَا مَا وُورِيَ عَنْهُمَا مِنْ سَوْآتِهِمَا﴾.

فَوَسْوَسَ الشَّيْطَانُ لآدَمَ وَزَوْجَهُ بسببِ حَسَدِهِ وعَدَاوتِهِ لهما، وَالْوَسْوَسَةُ: الصَّوْتُ الْخَفِيُّ، وَإِنما وَسْوَسَ لَهُمَا لِيُوهِمَهُمَا أَنَّهُ نَاصِحٌ لَهُمَا وَأَنَّهُ يُفْضِي إِلَيهِمَا سِرًّا يَختصُّهُمَا بِهِ، وهو تحريضهما على الأكل من الشَّجَرَةِ لِيَكُونَا مَلَكَيْنِ أَوْ يَكُونَا مِنَ الْخَالِدِينَ؛ كما سيأتي في الآية التالية وَاللَّامُ فِي قوله: ﴿لِيُبْدِيَ﴾ لَامُ الْعَاقِبَةِ؛ كَمَا فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿فَالْتَقَطَهُ آلُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا﴾ [الْقَصَص: ٨]؛ لِأَنَّ الشَّيْطَانَ لَا يَعْلَمْ أَنَّهُمَا إِنْ أَكَلَا مِنَ الشَّجَرَةِ بَدَتْ عَوْرَاتُهُمَا، وَإِنَّمَا أرادَ وُقُوعَ المخالفةِ منهما لما يترتبُ عليها من عِقَابِ اللهِ لَهُمَا.

وَيُحْتَمَلُ أَنْ تَكُونَ اللَّامُ لَامَ الْعِلَّةِ، ويَكُونَ كَشْفُ العورةِ كِنَايَةً عَنْ سُقُوطِ الْحُرمَةِ وَزَوَالِ الْجَاهِ.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

وقوله: ﴿مَا وُورِيَ عَنْهُمَا مِنْ سَوْآتِهِمَا﴾؛ أي: مَا أُخْفِيَ عَنْهُمَا، مُشْتَقٌّ مِنَ الْمُوَارَاةِ وَهِيَ التَّغْطِيَةُ وَالْإِخْفَاءُ؛ ومنه قوله تعالى: ﴿حَتَّى تَوَارَتْ بِالْحِجَابِ﴾ [ص: ٣٢]؛ أي: حَتَّى اسْتَتَرَتْ عَنِ الْأَبْصَارِ.

وَسُمِّيَ الْفَرْجُ سَوأَةَ لِأَنَّ إِظْهَارَهُ يَسُوءُ صَاحِبَهُ.

﴿وَقَالَ مَا نَهَاكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَذِهِ الشَّجَرَةِ إِلا أَنْ تَكُونَا مَلَكَيْنِ أَوْ تَكُونَا مِنَ الْخَالِدِينَ﴾.

أي: وَقَالَ لَهُمَا كَذِبًا وَافْتِرَاءً: مَا نَهَاكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ الأَكْلِ منْ هَذِهِ الشَّجَرَةِ إِلا لِئَلَّا تَكُونَا مَلَكَيْنِ، أَوْ تَكُونَا مِنَ الْخَالِدِينَ.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿وَقَاسَمَهُمَا إِنِّي لَكُمَا لَمِنَ النَّاصِحِينَ (٢١) فَدَلَّاهُمَا بِغُرُورٍ فَلَمَّا ذَاقَا الشَّجَرَةَ بَدَتْ لَهُمَا سَوْآتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِنْ وَرَقِ الْجَنَّةِ وَنَادَاهُمَا رَبُّهُمَا أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَنْ تِلْكُمَا الشَّجَرَةِ وَأَقُلْ لَكُمَا إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمَا عَدُوٌّ مُبِينٌ﴾. سُورَةُ الْأَعْرَافِ: الآية/ ٢١، ٢٢

﴿وَقَاسَمَهُمَا إِنِّي لَكُمَا لَمِنَ النَّاصِحِينَ﴾.

أَيْ: حَلَفَ لَهُمَا بِاللَّهِ ليتوَهَمَا صِدْقَهُ، وَالْمُقَاسَمَةُ مُفَاعَلَةٌ مِنْ أَقْسَمَ، وَهِي هُنَا مِنْ وَاحِدٍ لِلْمُبَالَغَةِ فِي القَسَمِ، وَلَيْسَتْ لِحُصُولِ القَسَمِ مِنَ الطَّرَفَيْنِ، وفي الآيةِ ردٌّ عَلَى مَنْ قَالَ: إِنَّ الْمُفَاعَلَةَ لَا تَكُونُ إِلَّا مِنِ اثْنَيْنِ؛ ومن ذلك قَولُ خَالِدُ بْنُ زُهَيْرٍ:

وَقَاسَمَهَـــــا بِاللَّهِ جَهْـــــدًا لَأَنْـــــتُمْ **** أَلَـذُّ مِـنَ السَّـلْوَى إِذَا مَـا نَشُـورُهَا

قائلًا: ﴿إِنِّي لَكُمَا لَمِنَ النَّاصِحِينَ﴾، أي: إِنِّي لَكُمَا لنَاصِحٌ مِنَ النَّاصِحِينَ حَتَّى خَدَعَهُمَا، وَقَدْ يُخْدَعُ الْمُؤْمِنُ بِاللَّهِ، وَكَانَ بَعْضُ السلفِ يَقُولُ: (مَنْ خَادَعَنَا بِاللَّهِ انْخَدَعْنَا لَهُ)؛ وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: "رَأَى عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَجُلًا يَسْرِقُ، فَقَالَ لَهُ: أَسَرَقْتَ؟ قَالَ: كَلَّا وَاللَّهِ الَّذِي لاَ إِلَهَ إِلَّا هُوَ، فَقَالَ عِيسَى: آمَنْتُ بِاللَّهِ، وَكَذَّبْتُ عَيْنِي".[1]

﴿فَدَلَّاهُمَا بِغُرُورٍ﴾. أي: أَوْقَعَهم فِيمَا أَرَادَ فَخَدَعَهُمَا بتَغْرِيره، يُقَالُ مِنْهُ: مَا زَالَ فُلَانٌ يُدَلِّي فُلَانًا بِغُرُورٍ، بِمَعْنَى: مَا زَالَ يَخْدَعُهُ بِغُرُورٍ وَيُكَلِّمُهُ بِزُخْرُفٍ مِنَ الْقَوْلِ بَاطِلٍ.

وأَصله الرَّجُلُ العَطْشانُ يُدَلَّى فِي الْبِئْرِ ليَرْوَى مِنْ مَائِها فَلَا يجدُ فِيهَا مَاءً فَيَكُونُ مُدَلِّيًا فِيهَا بالغُرورِ، فوُضِعَت التَّدْلِيَة مَوْضِعَ الإِطْمَاع فِيمَا لَا يُجْدِي نَفْعًا.

قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: غَرَّهُمَا بِالْيَمِينِ. وَكَانَ يَظُنُّ آدَمُ أَنَّهُ لَا يَحْلِفُ أَحَدٌ بِاللَّهِ كَاذِبًا، فغررهما بِوَسْوَسَتِهِ وَقَسَمِهِ لَهُمَا.

---

١ - رواه البخاري- كِتَابُ أَحَادِيثِ الأَنْبِيَاءِ، بَابُ قَوْلِ اللَّهِ: ﴿وَاذْكُرْ فِي الكِتَابِ مَرْيَمَ إِذِ انْتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا﴾ [مريم: ١٦]، حديث رقم: ٣٤٤٤، ومسلم- كتاب الْفَضَائِلِ، بَابُ فَضَائِلِ عِيسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ، حديث رقم: ٢٣٦٨

www.alukah.net
شبكة الألوكة

﴿فَلَمَّا ذَاقَا الشَّجَرَةَ بَدَتْ لَهُمَا سَوْآتُهُمَا﴾.

فَلَمَّا ذَاقَ آدَمُ وَحَوَّاءُ ثَمَرَ الشَّجَرَةِ انْكَشَفَتْ لَهُمَا سَوْآتُهُمَا، وَكَانَ الله قد سَتَرَهَا عنهما قَبْلَ الذَّنْبِ فلا يَرَيانِهَا، فَسَلَبَهُمَا ذَلِكَ بِأَكْلِهِمَا مِنَ الشَّجَرَةِ.

﴿وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِنْ وَرَقِ الْجَنَّةِ﴾.

يُقَالُ: طَفِقَ، أَيْ أَخَذَ فِي الْفِعْلِ، أي: فجَعَلَا يَقْطَعَانِ الْوَرَقَ ويَلْصِقَانِ بَعْضَهُ إِلَى بَعْضٍ وَيَضعَانِهِ عَلَيْهِمَا لِيَسْتَتِرَا بِهِ، وأصلُ الْخَصْفِ ضَمُّ الشَّيْءِ إِلَى الشَّيْءِ، وَمِنْهُ خَصْفُ النَّعْلِ؛ لأَنَّهُ يَضُمُ إِلى النَّعْلِ طَبَقَةً أُخْرَى لِيَشْتَدَّ بها.

قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: جَعَلَا يَأْخُذَانِ مِنْ وَرَقِ الْجَنَّةِ فَيَجْعَلَانِ عَلَى سَوْآتِهِمَا.

﴿وَنَادَاهُمَا رَبُّهُمَا أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَنْ تِلْكُمَا الشَّجَرَةِ وَأَقُلْ لَكُمَا إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمَا عَدُوٌّ مُبِينٌ﴾.

أي: وَنَادَاهُمَا رَبُّهُمَا تبكيتًا لهما على أكلهما من الشَّجَرَةِ، وتذكيرًا لهما بتحذيره من كيدِ الشَّيْطَانِ ومكره.

قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: ﴿إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمَا عَدُوٌّ مُبِينٌ﴾. بَيَّنَ الْعَدَاوَةَ حَيْثُ أَبَى السُّجُودَ وَقَالَ: ﴿لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ﴾.[1]

عَنْ أُبَيِّ بْنِ كَعْبٍ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "كَانَ آدَمُ كَأَنَّهُ نَخْلَةٌ سَحُوقٌ، كَثِيرَ شَعْرِ الرَّأْسِ، فَلَمَّا وَقَعَ بِالْخَطِيئَةِ بَدَتْ لَهُ عَوْرَتُهُ وَكَانَ لَا يَرَاهَا، فَانْطَلَقَ فَارًّا،

١ - سورة الأعراف: الاية/ ١٦

www.alukah.net
شبكة الألوكة

فَتَعَرَّضَتْ لَهُ شَجَرَةٌ فَحَبَسَتْهُ بِشَعْرِهِ، فَقَالَ لَهَا: أَرْسِلِينِي، فَقَالَتْ: لَسْتُ بِمُرْسِلَتِكَ، فَنَادَاهُ رَبُّهُ: يَا آدَمُ، أَمِنِّي تَفِرُّ؟ قَالَ: لَا، وَلَكِنِّي اسْتَحَيْتُكَ.[1]

﴿قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا وَإِنْ لَمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾.

أي: قَالَ آدَمُ وَحَوَّاءُ لِرَبِّهِمَا رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا بِمَعْصِيَتِكَ، وَمخالفةِ أَمْرِكَ، بالأَكْلِ مِنْ الشَّجَرَةِ الَّتِي نَهَيْتَنَا عَنْها، وَإِنْ لَمْ تتجاوزْ عنَّا وتعفو عن ذَنبِنَا الذي اقترفناه لَنَكُونَنَّ مِنَ الْهَالِكِينَ، فإن أعظم خُسْرَانٍ خُسْرَانُ رحمةٍ أرحمِ الراحمين.

قَالَ الضَّحَّاكُ فِي قَوْلِهِ: ﴿رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا وَإِنْ لَمْ تَغْفِرْ لَنَا....﴾: هِيَ الْكَلِمَاتُ الَّتِي تَلَقَّاهَا آدَمُ مِنْ رَبِّهِ.

قَالَ قَتَادَةُ: قَالَ آدَمُ عَلَيْهِ السَّلَامُ: يَا رَبِّ، أَرَأَيْتَ إِنْ تُبْتُ وَاسْتَغْفَرْتُكَ؟ قَالَ: إِذًا أُدْخِلُكَ الْجَنَّةَ، وَأَمَّا إِبْلِيسُ فَلَمْ يَسْأَلْهُ التَّوْبَةَ، وَسَأَلَ النَّظِرَةَ، فَأُعْطِيَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا مَا سَأَلَ.[2]

﴿قَالَ اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ﴾.

ثم قَالَ تَعَالَى لِآدَمَ وَحَوَّاءَ وَإِبْلِيسَ: اهْبِطُوا يعني: مِنَ السَّمَاءِ: ﴿بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ﴾، تَذْكِيرٌ لِآدَمَ وَحَوَّاءَ بِعَدَاوَةِ الشَّيْطَانِ، وَتَحْذِيرٌ لهما مِنَ اتِّبَاعِ وَسْوَسَتِهِ، وَالْمُرَادُ بِالْبَعْضِ الأول آدَمُ وَحَوَّاءُ، وَالْبَعْضُ الْآخَرُ إِبْلِيسُ.

﴿وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَى حِينٍ﴾.

أي: وَلَكُمْ جميعًا فِي الْأَرْضِ قرارٌ، وَانتفاعٌ بما خلقه الله تعالى فيها من المَنَافِعِ واللَّذَّاتِ، إِلَى حِينٍ، أي: إلى أجلٍ مقدرٍ محدودٍ، وَالْحِينُ الْمُدَّةُ مِنَ الزَّمَنِ، طَوِيلَةً أَوْ قَصِيرَةً.

---

١ - رواه الطبري (١٠/ ١١١)

٢ - تفسير الطبري- ط. دار التربية والتراث (١٢/ ٣٥٧)

www.alukah.net
شبكة الألوكة

قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: ﴿وَمَتَاعٌ إِلَى حِينٍ﴾. إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَإِلَى انْقِطَاعِ الدُّنْيَا.

﴿قَالَ فِيهَا تَحْيَوْنَ وَفِيهَا تَمُوتُونَ وَمِنْهَا تُخْرَجُونَ﴾.

أي: قَالَ تَعَالَى لَهُم: فِي الْأَرْضِ حَيَاتِكُمْ، وَفِي الْأَرْضِ وَفَاتُكُمْ، وَمِنَ الْأَرْضِ يُخْرِجُكُمْ رَبُّكُمْ، للحِسَابِ يومَ الْقِيَامَةِ.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿يَا بَنِي آدَمَ قَدْ أَنزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا يُوَارِي سَوْآتِكُمْ وَرِيشًا وَلِبَاسُ التَّقْوَى ذَلِكَ خَيْرٌ ذَلِكَ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ﴾. سُورَةُ الْأَعْرَافِ: الآية/ ٢٦

مناسبة الآية لما قبلها:

لما بين الله تعالى في قصة آدم وحواء عليهما السلام أثر انكشاف العورة عليهما، ذكر الله تعالى هنا لبني آدم ما خلقه لهم من اللباس والريش ليستروا به عوراتهم.

﴿يَا بَنِي آدَمَ قَدْ أَنزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا يُوَارِي سَوْآتِكُمْ وَرِيشًا﴾.

يمتن الله تعالى على بني آدم بما خلقه تعالى لهم من الشعر والصوف والريش والنبات، وهداهم لصنع الثياب منها ليستروا بها عوراتهم ويتجملون بها، تكريمًا لهم عن البهائم العجماوات، ولا شك أنَّ ذلك من أجل نعم الله تعالى على بني آدم؛ فعَنْ مُعَاذِ بْنِ أَنَسٍ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «مَنْ لَبِسَ ثَوْبًا فَقَالَ: الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي كَسَانِي هَذَا الثَّوْبَ وَرَزَقَنِيهِ مِنْ غَيْرِ حَوْلٍ مِنِّي، وَلَا قُوَّةٍ غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ وَمَا تَأَخَّرَ».[1]

وَعَنْ أَبِي الْعَلاءِ الشَّامِيِّ، قَالَ: لَبِسَ أَبُو أُمَامَةَ ثَوْبًا جَدِيدًا، فَلَمَّا بَلَغَ تَرْقُوَتَهُ، قَالَ: الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي كَسَانِي مَا أُوَارِي بِهِ عَوْرَتِي، وَأَتَجَمَّلُ بِهِ فِي حَيَاتِي، ثُمَّ قَالَ: سَمِعْتُ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ يَقُولُ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَنِ اسْتَجَدَّ ثَوْبًا فَلَبِسَهُ، فَقَالَ حِينَ يَبْلُغُ تَرْقُوَتَهُ: الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي كَسَانِي مَا أُوَارِي بِهِ عَوْرَتِي، وَأَتَجَمَّلُ بِهِ فِي حَيَاتِي، ثُمَّ عَمَدَ إِلَى الثَّوْبِ

---

١ - رواه أحمد- حديث رقم: ٣٠٥، أبو داود- كِتَاب اللِّبَاسِ، حديث رقم: ٤٠٢٣، والحاكم في المستدرك- كِتَابُ الدُّعَاءِ، وَالتَّكْبِيرِ، وَالتَّهْلِيلِ، وَالتَّسْبِيحِ وَالذِّكْرِ، حديث رقم: ١٨٧٠، بسند حسن

www.alukah.net
شبكة الألوكة

الَّذِي أَخْلَقَ فَتَصَدَّقَ بِهِ، كَانَ فِي ذِمَّةِ اللهِ، وَفِي جِوَارِ اللهِ، وَفِي كَنَفِ اللهِ حَيًّا وَمَيِّتًا، حَيًّا وَمَيِّتًا، حَيًّا وَمَيِّتًا».[1]

وكني عن العورات بالسوآت، وتقدم أنها سميت بذلك لأنه يسوء صاحبها انكشافها.

وَاللِّبَاسُ ما يَلْبَسُهُ النَّاسُ من الثيابِ التي تقيهم الحرَّ والبردَ، وَالرِّيشُ: مَا يُتَجَمَّلُ بِهِ مِنْ لِبَاسِ الزِّينَةِ الزَّائِدِ عَلَى مَا يَسْتُرُ الْعَوْرَةَ، لأنَّ عَطْفَ الرِّيشِ عَلَى اللباس يَقْتَضِي الْمُغَايَرَةَ، وَالرِّيشُ مُسْتَعَارٌ مِنْ رِيشِ الطَّيْرِ لِأَنَّهُ زِينَتُهُ.

وفي الكلام تعريضٌ بمشركي العربِ الذين كانوا يطوفون بالبيت عراةً، ويقولون لا نطوف في ثياب عصينا الله فيها؛ قَالَ مُجَاهِدٌ فِي قَوْلِ اللَّهِ: ﴿لِبَاسًا يُوَارِي سَوْآتِكُمْ﴾: كَانَ نَاسٌ مِنَ الْعَرَبِ يَطُوفُونَ بِالْبَيْتِ عُرَاةً، وَلَا يَلْبَسُ أَحَدُهُمْ ثَوْبًا طَافَ فِيهِ.

قوله: ﴿وَلِبَاسُ التَّقْوَى ذَلِكَ خَيْرٌ﴾.

لما بين الله تعالى لبني آدم ما هداهم إليه من اللباس الذي يواري العورات، أرشدهم إلى ما يحفظهم من الآثام، ويقيهم شرور المعاصي والسيئات فقال: ﴿وَلِبَاسُ التَّقْوَى ذَلِكَ خَيْرٌ﴾.

واختلفت عبارات السلف في المراد بلباس التقوى؛ فقال ابْنُ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُما: الْعَمَلُ الصَّالِحُ، وَقَالَ أَيْضًا: الْعِفَّةُ.

وَقَالَ عُثْمَانُ بْنُ عَفَّانَ وَابْنُ عَبَّاسٍ أَيْضًا: السَّمْتُ الْحَسَنُ فِي الْوَجْهِ.

وَقَالَ زَيْدُ بْنُ عَلِيٍّ، والسُّدِّي، وَقَتَادَةُ، وَابْنُ جُرَيْج: الْإِيمَانُ.

---

١ - رواه أحمد- حديث رقم: ٣٠٥، والترمذي- أَبْوَابُ الدَّعَوَاتِ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، بَابٌ، حديث رقم: ٣٥٦٠، وابن ماجه- كِتَابُ اللِّبَاسِ، بَابُ مَا يَقُولُ الرَّجُلُ إِذَا لَبِسَ ثَوْبًا جَدِيدًا، حديث رقم: ٣٥٥٧، بسند فيه ضعف

www.alukah.net
شبكة الألوكة

وَقَالَ عُرْوَةُ بْنُ الزُّبَيْرِ: خَشْيَةُ اللَّهِ.

وَقَالَ الْحَسَنُ: الْوَرَعُ وَالسَّمْتُ الْحَسَنُ.

وَقَالَ مَعْبَدٌ الْجُهَنِيُّ: الْحَيَاءُ.

وَقَالَ يَحْيَى بْنُ يَحْيَى: الْخُشُوعُ.

وكلها معانٍ متقاربة وهو من اختلافِ التَّنُّوعِ، والمرادُ أن اتصافُكُم بتقوى الله تعالى، وملازمةُ خشيته، خَيْرٌ لَكُمْ مِنْ لِبَاسِ الثِّيَابِ الَّتِي تُوَارِي سَوْآتِكُمْ.

وَأُضِيفَ اللِّبَاسُ إِلَى التَّقْوَى للدلالةِ على وُجوبِ ملازمَةِ العبدِ لها كما تلازمُ الثيابُ بَدَنَهُ.

﴿ذَلِكَ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ﴾.

أي: ذلِكَ الإلهامُ لسترِ العوراتِ، وإنزالِ اللباسِ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ الدَّالَّةِ عَلَى فَضْلِ اللهِ على عبادِهِ، ورحمته بهم، ﴿لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ﴾ ذلك فيحمدون الله على تلك النِّعْمَةِ.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿يَا بَنِي آدَمَ لَا يَفْتِنَنَّكُمُ الشَّيْطَانُ كَمَا أَخْرَجَ أَبَوَيْكُمْ مِنَ الْجَنَّةِ يَنزِعُ عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوْآتِهِمَا إِنَّهُ يَرَاكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُ مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ إِنَّا جَعَلْنَا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاءَ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ﴾. سُورَةُ الْأَعْرَافِ: الآية/ ٢٧

لما قص الله تعالى قصة آدام وحواء عليهما السلام، وبين سبب خروجهما من الجنة، وسعي إبليس الحثيث في الكيد لهما، حتى أكلا من الشجرة، فانكشف لهما سواءتهما، ثم أهبطا إلى الأرض، حيث العناء والتعب والشقاء والنصب، وأخبر تعالى بني آدم بما امتن عليهم به اللباس الذي يواري سواءتهم، ذكر تبارك وتعالى هنا أن كيد الشيطان لبني آدم لا يقف عند حد، وأن عداوته لبني آدم لا تقل عن عداوته لآدم وزوجه عليهما السلام، وأنه يسعى جاهدًا لإغوائهم وفتنتهم كما أخرج أبويهم من الجنة، وأنه سينزع عنهما لباسهم كما نزع لباس أبويهم من قبل.

﴿يَا بَنِي آدَمَ لَا يَفْتِنَنَّكُمُ الشَّيْطَانُ كَمَا أَخْرَجَ أَبَوَيْكُمْ مِنَ الْجَنَّةِ يَنزِعُ عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوْآتِهِمَا﴾.

هذا تحذير من الله تعالى لبَنِي آدَمَ من فتنة الشيطان وكيده، أن يضلهم الشيطان ويغويهم كما أغوي أبويهم، نسأل الله العافية والسلامة، والعصمة من كيد الشيطان.

المراد بالفتنة هنا الإضلال.

قال ابن الجوزي: وَذكر بعض الْمُفَسّرين أَنَّ الْفِتْنَة فِي الْقُرْآن على خَمْسَة عشر وَجها: [1]

أَحدهَا: الشّرك. وَمِنْه قَوْله تَعَالَى: ﴿وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ﴾ [الْبَقَرَة: ١٩٣]، وَالثَّانِي: الْكفْر. وَمِنْه قَوْله تَعَالَى: ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ﴾ [آلِ عِمْرَانَ: ٧]، وَالثَّالِث: الِابْتِلَاء. وَمِنْه قَوْله تَعَالَى: ﴿وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾

١ – نزهة الأعين النواظر في علم الوجوه والنظائر (ص: ٤٧٨)

www.alukah.net
شبكة الألوكة

[الْعَنْكَبُوتِ: ٣]، وَالرَّابِع: الْعَذَاب. وَمِنْه قَوْله تَعَالَى: ﴿جَعَلَ فِتْنَةَ النَّاسِ كَعَذَابِ اللَّهِ﴾ [الْعَنْكَبُوتِ: ١٠]، وَالْخَامِس: الاحراق بالنَّار. وَمِنْه قَوْله تَعَالَى: ﴿يَوْمَ هُمْ عَلَى النَّارِ يُفْتَنُونَ﴾ [الذاريات: ١٣]، وَالسَّادِس: الْقَتْل. وَمِنْه قَوْله تَعَالَى: ﴿إِنْ خِفْتُمْ أَنْ يَفْتِنَكُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ [النساء: ١٠١]، وَالسَّابِع: الصد. وَمِنْه قَوْله تَعَالَى: ﴿وَاحْذَرْهُمْ أَنْ يَفْتِنُوكَ﴾ [الْمَائِدَة: ٤٩]، وَالثَّامِن: الضَّلَالَة. وَمِنْه قَوْله تَعَالَى فِي الْمَائِدَة: ﴿وَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ فِتْنَتَهُ﴾ [الْمَائِدَة:٤١]، وَالتَّاسِع: المعذرة. وَمِنْه قَوْله تَعَالَى: ﴿ثُمَّ لَمْ تَكُنْ فِتْنَتُهُمْ إِلا أَنْ قَالُوا وَاللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ﴾ [الْأَنْعَامِ: ٢٣]، والعاشر: الْعبْرَة. وَمِنْه قَوْله تَعَالَى: ﴿رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ [يُونُسَ: ٨٥]، وَالْحَادِي عَشَرَ: الْجُنُون. وَمِنْه قَوْله تَعَالَى: ﴿بِأَيِّكُمُ الْمَفْتُونُ﴾. [الْقَلَمِ: ٦]، وَالثَّانِي عَشَرَ: الأثم. وَمِنْه قَوْله تَعَالَى: ﴿أَلَا فِي الْفِتْنَةِ سَقَطُوا﴾. [بَرَاءَة: ٤٩]، وَالثَّالِث عَشَرَ: الْعقُوبَة. وَمِنْه قَوْله تَعَالَى: ﴿فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ﴾ [النور:٦٣]، وَالرَّابِع عَشَرَ: الْمَرَض. وَمِنْه قَوْله تَعَالَى: ﴿أَوَلا يَرَوْنَ أَنَّهُمْ يُفْتَنُونَ فِي كُلِّ عَامٍ مَرَّةً أَوْ مَرَّتَيْنِ﴾. [بَرَاءَة: ١٢٦]، وَالْخَامِس عَشَرَ: الْقَضَاء. وَمِنْه قَوْله تَعَالَى: ﴿إِنْ هِيَ إِلا فِتْنَتُكَ تُضِلُّ بِهَا مَنْ تَشَاءُ وَتَهْدِي مَنْ تَشَاءُ﴾.[1]

﴿إِنَّهُ يَرَاكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُ مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ﴾.

أي: إِنَّهُ يَرَاكُمْ هُوَ وجُنُودُهُ مِنَ الْجِنِّ وَالشَّيَاطِينِ وَأَنْتُمْ لَا تَرَوْنَهُم، وبيان لعلةِ تمكنهم من إغواءِ بني آدمَ، أنهم لا يستطعون التحرز منهم إلا بطاعة الرحمنِ، والاعتصام به تعالى، وفي الآية ردٌّ صريح على من يزعمُ أنه يرى الجنَّ سوى الأنبياء عليهم السلام.

١ - سورة الْأَعْرَاف: الآية/ ١٥٥

www.alukah.net
شبكة الألوكة

﴿إِنَّا جَعَلْنَا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاءَ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ﴾.

أي: إِنَّا حَكَمْنَا بِأَنَّ الشَّيْطَانَ وَلِيٌّ لِمَنْ لَا يُوَحِّدُ اللَّهَ وَلَا يُصَدِّقُ رُسُلَهُ؛ كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّا أَرْسَلْنَا الشَّيَاطِينَ عَلَى الْكَافِرِينَ تَؤُزُّهُمْ أَزًّا﴾.[1]

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿وَإِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً قَالُوا وَجَدْنَا عَلَيْهَا آبَاءَنَا وَاللَّهُ أَمَرَنَا بِهَا قُلْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ أَتَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾.[2]

يخبر الله تعالى عن شيء من ضلالات المشركين، وعن علةِ تمسكهم بتلك الضلالات التي يستقبحها كل ذي عقلٍ سليمٍ وفطرةٍ سويةٍ مستقيمةٍ، أنهم كانوا يفعلون الفعلةَ القبيحةَ المنكرةَ، وَالْفَاحِشَةَ المستقذرةَ، وهي كُلُّ فِعْلٍ قَبِيحٍ بَلَغَ النِّهَايَةَ فِي الْقُبْحِ.

ومن ذلك أنَّهم كانوا يَطُوفُونَ بِالْبَيْتِ عُرَاةً رجالًا ونساءً، ويقولون: لَا نَطُوفُ بِالْبَيْتِ فِي ثِيَابٍ عَصَينا اللَّهَ فِيهَا. فإذا عوتبوا عليها قالوا: ﴿وَجَدْنَا عَلَيْهَا آبَاءَنَا وَاللَّهُ أَمَرَنَا بِهَا﴾.

عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ: ﴿وَإِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً﴾، قَالَ: «طَوَافُهُمْ بِالْبَيْتِ عُرَاةً».

قَالَ مُجَاهِدٌ: كَانَ الْمُشْرِكُونَ يَطُوفُونَ بِالْبَيْتِ عُرَاةً، يَقُولُونَ: نَطُوفُ كَمَا وَلَدَتْنَا أُمَّهَاتُنَا. فَتَضَعُ الْمَرْأَةُ عَلَى فَرْجِهَا النِّسْعَةَ، أَوِ الشَّيْءَ وَتَقُولُ:

الْيَوْمَ يبدُو بعضُه أَوْ كُلُّهُ **** وَمَا بَدا مِنْهُ فَلَا أحلّهُ

وَقَالَ السُّدِّيُّ: كَانَ قَبِيلَةٌ مِنَ الْعَرَبِ مِنْ أَهْلِ الْيَمَنِ يَطُوفُونَ بِالْبَيْتِ عُرَاةً، فَإِذَا قِيلَ: لِمَ تَفْعَلُونَ ذَلِكَ؟ قَالُوا: وَجَدْنَا عَلَيْهَا آبَاءَنَا، وَاللَّهُ أَمَرَنَا بِهَا.

---

١ - سورةُ مَرْيَمَ: الآية/ ٨٣

٢ - سُورَةُ الْأَعْرَافِ: الآية/ ٢٨

www.alukah.net
شبكة الألوكة

وكان المشركون لجهلهم يجعلون ما كان عليه الآباء دينًا يتقلدونه، ولا يتورعون عن فعله مهما كان قبيحًا، كما أخبر الله تعالى عنهم أنهم كانوا يعارضون دعوة الرسل بقولهم: ﴿إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَى أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَى آثَارِهِمْ مُقْتَدُونَ﴾ [الزُّخْرُفِ: ٢٣]، ويرون أن الآباء لا يفعلون ذلك إلا عن ديانة تبعوها، وشريعة علموها؛ فقالوا: ﴿وَجَدْنَا عَلَيْهَا آبَاءَنَا وَاللَّهُ أَمَرَنَا بِهَا﴾.

﴿قُلْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ أَتَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾.

فقال الله تعالى لِنَبِيِّهِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: قُلْ يَا مُحَمَّدُ لهؤلاءِ المشركين: إِنَّ اللَّهَ لَا يَأْمُرُ عبادَهُ بِالقَبَائِحِ والفَواحِشِ، أَتَفترُونَ أَيُّهَا النَّاسُ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ أَنَّهُ أَمَرَكُمْ بِهِ مِنَ التَّجَرُّدِ مِنَ الثِّيَابِ وَالتَّعَرِّي لِلطَّوَافِ؟

وفي الكلام إيجاز بالحذف تقديره: وَإِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً فَنُهُوا عَنْهَا قَالُوا: ﴿وَجَدْنَا عَلَيْهَا آبَاءَنَا﴾. وإذا قِيلَ: وَمَنْ أَيْنَ أَخَذَ آبَاؤُكُمْ؟ قَالُوا: اللَّهُ أَمَرَنا بِها.

وقوله تعالى لهم: ﴿أَتَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾؛ للتقريع والتوبيخ.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿قُلْ أَمَرَ رَبِّي بِالْقِسْطِ وَأَقِيمُوا وُجُوهَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ﴾. سُورَةُ الْأَعْرَافِ: الآية/ ٢٩

يقول الله تعالى لِنَبِيِّهِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: قُلْ يَا مُحَمَّدُ لِهَؤُلَاءِ المشرِكِينَ الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّ اللَّهَ أَمَرَهُمْ بِالْفَحْشَاءِ كَذِبًا عَلَى اللَّهِ: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ﴾، بَلْ ﴿أَمَرَ رَبِّي بِالْقِسْطِ﴾.

قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: الْقِسْطُ هُنَا: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ.

وَقَالَ مُجَاهِدٌ وَعَطَاءٌ وَالسُّدِّيُّ: ﴿أَمَرَ رَبِّي بِالْقِسْطِ﴾: بِالْعَدْلِ.

وَالْقِسْطُ هُو الْعَدْلُ بالمعنى الأعم الأشمل وتوحيد الله تعالى هو أظهر صور القسط، كما أن الشرك أعظم الظلم، ومن القسط الأمر بالفضائل، وكل فضيلة وسط بين رذيلتين.

﴿وَأَقِيمُوا وُجُوهَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ﴾.

أي: وَقُلْ لَهُم: استقيموا على أمرِ اللهِ تعالى وعِبَادَتِهِ وحدَهُ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ بِمُتَابَعَةِ رُسُلِهِ عليهم السلام.

﴿وَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ﴾.

وأخلصوا الدِّينَ للهِ تعالى وحْدَهُ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شيئًا، فإنَّكم عائِدُون إليه كَمَا خَلَقَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ، ومجزيون على أعمالكم، فالذي أوجدكم من العدم قادر على إعادتكم بعد الموت.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: خَطَبَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ: «يَا أَيُّهَا النَّاسُ، إِنَّكُمْ مَحْشُورُونَ إِلَى اللَّهِ حُفَاةً عُرَاةً غُرْلًا»، ثُمَّ قَالَ: ﴿كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ، وَعْدًا عَلَيْنَا إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ﴾ [الأنبياء: ١٠٤] إِلَى آخِرِ الآيَةِ.[١]

١ - رواه البخاري-كِتَابُ التَّفْسِيرِ، سُورَةُ الْأَنْبِيَاءِ، باب ﴿كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ﴾، حديث رقم: ٤٧٤٠، ومسلم-كِتَابُ الْجَنَّةِ وَصِفَةِ نَعِيمِهَا وَأَهْلِهَا، بَابُ فَنَاءِ الدُّنْيَا وَبَيَانِ الْحَشْرِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، حديث رقم: ٢٨٦٠

www.alukah.net
شبكة الألوكة

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿فَرِيقًا هَدَى وَفَرِيقًا حَقَّ عَلَيْهِمُ الضَّلَالَةُ إِنَّهُمُ اتَّخَذُوا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ مُهْتَدُونَ﴾. سُورَةُ الْأَعْرَافِ: الآية/ ٣٠

لما أخبر الله تعالى أن مردَّ العباد إلى الله تعالى، وأنه تعالى سيبعثهم يوم القيامة كما خلقهم أول مرة للحساب والجزاء، أخبر تعالى عن حالهم وأنهم فريقان لا ثالث لهما، فريق هداه الله تعالى رحمةً من الله وفضلًا، وفريق حقَّ عليهم الضلالة حكمةً من الله وعدلًا، فإن الله تعالى يهدي من يشاء ويضل من يشاء.

ونُصِبَ لفظُ: (فَرِيقًا) عَلَى الْحَالِ، أي: تَعُودُونَ فَرِيقَيْنِ فَرِيقًا هَدَى، وَفَرِيقًا حَقَّ عَلَيْهِمُ الضَّلَالَةُ.

ويجوز أن يكون الأول مفعولًا بـ (هَدَى) والثاني بفعل مضمرٍ تقديره: وَأَضَلَّ فَرِيقًا.

وأسند الهدى إلى الله تعالى لأنه مقام امتنان، ولم يسند الإضلال إلى الله تعالى لأنَّ سياق الكلام في التحذير من موالاة الشيطان والترهيب من الوقوع في فتنته، وكلاهما من الله تعالى؛ كما قال تعالى: ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً، وَلَكِنْ يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ، وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ﴾ [النحل: ٩٣]، وقال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ اللَّهَ يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ أَنَابَ﴾.[1]

﴿إِنَّهُمُ اتَّخَذُوا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ مُهْتَدُونَ﴾.

ثم بين تعالى العلة التي من أجلها زلت أقدام من ذلَّ وضلَّ عن الهدى من ضلَّ فقال: ﴿إِنَّهُمُ اتَّخَذُوا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾، يطيعونهم في معصية الله تعالى، ويحبونهم كحب المؤمنين الله أو أشد، ويستعينون بهم على كفرهم وشركهم، وهم مع اتَّخَاذِهِم الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ اللَّهِ، يأتمرون بأمرهم، ويتقربون إليهم بكفرهم يَظنُونَ أَنَّهُمْ مُهْتَدُونَ، وتلك علة

١ - سورة الرعد: الآية/ ٢٧

www.alukah.net
شبكة الألوكة

معادتهم للرسالة، فهم في ضلال مبين وجهل مركب، لموالاتهم أعداء الله وأعدائهم، وظنوا أنهم على هدى مستقيم، وتلك أسوء حال؛ كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿أَفَمَنْ زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ فَرَآهُ حَسَنًا فَإِنَّ اللَّهَ يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ فَلا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسَرَاتٍ﴾.[1]

١ - سورة فَاطِرٍ: الآية/ ٨

www.alukah.net
شبكة الألوكة

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿يَا بَنِي آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ﴾. سُورَةُ الْأَعْرَافِ: الآية/ ٣١

مناسبة الآية لما قبلها:

لما بيَّنَ الله تعالى أن من مقاصد الشيطان كشف عورات بني آدم، وهتك أستارهم، وحذرهم الله تعالى من كيد الشيطان، وردَّ على مزاعمهم أن الله تعالى أمرهم أن يطوفوا بالبيت عراةً، بين الله تعالى لهم ما يجب عليهم لا سيما عند بيوت الله تعالى.

سبب نزول الآية:

سبب نزول هذه الآية ما رواه مسلم عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، قَالَ: "كَانَتِ الْمَرْأَةُ تَطُوفُ بِالْبَيْتِ وَهِيَ عُرْيَانَةٌ، فَتَقُولُ: مَنْ يُعِيرُنِي تِطْوَافًا؟ تَجْعَلُهُ عَلَى فَرْجِهَا، وَتَقُولُ:

الْيَوْمَ يبدُو بعضُه أَوْ كُلُّهُ **** فَمَا بَدَا مِنْهُ فَلَا أُحِلُّهُ

فَنَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ ﴿خُذُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ﴾.[1]

وعنْ عُرْوَةَ قَالَ: «كَانَ النَّاسُ يَطُوفُونَ فِي الجَاهِلِيَّةِ عُرَاةً إِلَّا الحُمْسَ، وَالحُمْسُ قُرَيْشٌ وَمَا وَلَدَتْ، وَكَانَتِ الحُمْسُ يَحْتَسِبُونَ عَلَى النَّاسِ، يُعْطِي الرَّجُلُ الرَّجُلَ الثِّيَابَ يَطُوفُ فِيهَا، وَتُعْطِي المَرْأَةُ المَرْأَةَ الثِّيَابَ تَطُوفُ فِيهَا، فَمَنْ لَمْ يُعْطِهِ الحُمْسُ طَافَ بِالْبَيْتِ عُرْيَانًا، وَكَانَ يُفِيضُ جَمَاعَةُ النَّاسِ مِنْ عَرَفَاتٍ، وَيُفِيضُ الحُمْسُ مِنْ جَمْعٍ».[2]

---

١ - رواه مسلم- كتاب التَّفْسِيرِ، بَابٌ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿خُذُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ﴾ [الأعراف: ٣١]، حديث رقم: ٣٠٢٨

٢ - رواه البخاري- كِتَابُ الحَجِّ، بَابُ الوُقُوفِ بِعَرَفَةَ، حديث رقم: ١٦٦٥، ومسلم- كِتَابُ الْحَجِّ، بَابٌ فِي الْوُقُوفِ وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿ثُمَّ أَفِيضُوا مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ النَّاسُ﴾ [البقرة: ١٩٩]، حديث رقم: ١٢١٩

www.alukah.net
شبكة الألوكة

﴿يَا بَنِي آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ﴾.

هذا خِطَابٌ للناسِ جَمِيعًا، بأخذِ الزِّينَةِ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ، وَإِنْ كَانَ نزلَ على سببٍ خاصٍ وهو طَوافُ بعضُ الْعَرَبِ بِالْبَيْتِ عُرَاةً؛ فإِنَّ الْعِبْرَةَ بعُمُومِ اللفظِ لَا بخصوصِ السَّبَبِ.

والأمر بأخذ الزينة أعم من مجردِ ستر العورة، فعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: كَانَ رِجَالٌ يَطُوفُونَ بِالْبَيْتِ عُرَاةً، فَأَمَرَهُمُ اللَّهُ بِالزِّينَةِ، وَالزِّينَةُ: اللِّبَاسُ، وَهُوَ مَا يُوَارِي السَّوْأَةَ، وَمَا سِوَى ذَلِكَ مِنْ جَيِّدِ الْبَزِّ وَالْمَتَاعِ، فَأُمِرُوا أَنْ يَأْخُذُوا زِينَتَهُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ.[1]

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، أَنَّ أَبَا بَكْرٍ الصِّدِّيقَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بَعَثَهُ، فِي الحَجَّةِ الَّتِي أَمَّرَهُ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَيْهَا قَبْلَ حَجَّةِ الوَدَاعِ، يَوْمَ النَّحْرِ فِي رَهْطٍ يُؤَذِّنُ فِي النَّاسِ «لاَ يَحُجُّ بَعْدَ العَامِ مُشْرِكٌ، وَلاَ يَطُوفُ بِالْبَيْتِ عُرْيَانٌ».[2]

قال ابن كثير: وَلِهَذِهِ الْآيَةِ، وَمَا وَرَدَ فِي مَعْنَاهَا مِنَ السُّنَّةِ، يُسْتَحَبُّ التَّجَمُّلُ عِنْدَ الصَّلَاةِ، وَلَا سِيَّمَا يَوْمَ الْجُمُعَةِ وَيَوْمَ الْعِيدِ، وَالطِّيبُ لِأَنَّهُ مِنَ الزِّينَةِ، وَالسِّوَاكُ لِأَنَّهُ مِنْ تَمَامِ ذَلِكَ، وَمِنْ أَفْضَلِ الثِّيَابِ الْبَيَاضُ.[3]

﴿وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلا تُسْرِفُوا﴾.

وأَمَرَهُمْ الله تعالى أَنْ يَأْكُلُوا وَيَشْرَبُوا مِمَّا رَزَقَهُمُ اللَّهُ ويتركوا مابتدعوه من تحريم الطيبات وَلا يُسْرِفُوا، فإن الإسراف قبيح مرذول؛ كما قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا﴾ [الْفُرْقَانِ: ٦٧]، والفضيلة وسطٌ بين الإِفْرَاطِ وَالتَّفْرِيط.

---

١ - تفسير الطبري- ط. دار التربية والتراث (١٢/ ٣٩١)

٢ - رواه البخاري- كِتَابُ الْحَجِّ، بَابٌ: لَا يَطُوفُ بِالْبَيْتِ عُرْيَانٌ وَلَا يَحُجُّ مُشْرِكٌ، حديث رقم: ١٦٢٢، ومسلم- كِتَابُ الْحَجِّ، بَابُ لَا يَحُجُّ الْبَيْتَ مُشْرِكٌ وَلَا يَطُوفُ بِالْبَيْتِ عُرْيَانٌ، وَبَيَانُ يَوْمِ الْحَجِّ الْأَكْبَرِ، حديث رقم: ١٣٤٧

٣ - تفسير ابن كثير (٣/ ٤٠٦)

www.alukah.net
شبكة الألوكة

قَالَ مُجَاهِدٌ: أَمَرَهُمْ أَنْ يَأْكُلُوا وَيَشْرَبُوا مِمَّا رَزَقَهُمُ اللَّهُ.

قَالَ بَعْضُ السَّلَفِ: جَمَعَ اللَّهُ الطِّبَّ كُلَّهُ فِي نِصْفِ آيَةٍ: ﴿وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلا تُسْرِفُوا﴾.

وَقَالَ الْبُخَارِيُّ: قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: كُلْ مَا شِئْتَ، وَالْبَسْ مَا شِئْتَ، مَا أَخْطَأَتْكَ خَصْلَتَانِ: سرَف ومَخِيلة.[1]

وعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، قَالَ: أَحَلَّ اللَّهُ الْأَكْلَ وَالشُّرْبَ مَا لَمْ يَكُنْ سَرَفًا أَوْ مَخِيلَةً.[2]

﴿إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ﴾.

أي: إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُتَعَدِّينَ، وَالْإِسْرَافُ الاعتداءُ ومجاوزةُ الْحَدِّ فِي.

١ - صحيح البخاري- ط. السلطانية «كِتَابُ اللِّبَاسِ» (٧/ ١٤٠)

٢ - «تفسير الطبري- ط. دار التربية والتراث (١٢/ ٣٩٤)

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾. سُورَةُ الْأَعْرَافِ: الآية/ ٣٢

يَقُولُ اللهُ تَعَالَى لِنَبِيِّهِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: قُلْ يَا مُحَمَّدُ لِهَؤُلَاءِ المشْرِكِينَ الَّذِينَ حرَّمُوا اللباس على أنفسهم حتى طافوا بالبيت عراةً، وحرَّمُوا ما أحله الله تعالى لعباده مِنَ الْبَحَائِرِ وَالسَّوَائِبِ، هذا اللباس أنزله الله تعالى سترًا وزينة لبني آدم وأحله لهم فمن الذي حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ؟

وهذه الأنعام جعلها الله تعالى رزقًا طيبًا لعباده فمَنْ الذي حَرَّمَ ما أحله الله لعباده من تلك الطَّيِّبَاتِ؟

عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ قال: كَانَتْ قُرَيْشٌ يَطُوفُونَ بِالْبَيْتِ وَهُمْ عُرَاةٌ، يُصَفِّرُونَ ويُصفِّقون. فَأَنْزَلَ اللَّهُ: ﴿قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ﴾ فَأُمِرُوا بِالثِّيَابِ.[1]

وقَالَ قَتَادَةَ في قوله: ﴿قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ﴾. هُوَ مَا حَرَّمَ أَهْلُ الْجَاهِلِيَّةِ عَلَيْهِمْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ: الْبَحِيرَةُ، وَالسَّائِبَةُ، وَالْوَصِيلَةُ، وَالْحَامُ.

﴿قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾.

أي: قُلْ يَا مُحَمَّدُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: زِينَةُ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتُ مِنَ الرِّزْقِ لِلَّذِينَ آمَنُوا مُشْتَرِكَةٌ فِي الدُّنْيَا مَعَ غَيْرِهِمْ منَ الْمُشْرِكِينَ، وَهِيَ لِلْمُؤْمِنِينَ خَالِصَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ لَيْسَ لِلْمُشْرِكِينَ فِيها نَصِيبٌ.

---

١ - رواه الطبراني- حديث رقم: ١٢٣٢٤

www.alukah.net
شبكة الألوكة

عَنْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ: ﴿قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾، قَالَ: يَنْتَفِعُونَ بِهَا فِي الدُّنْيَا، وَلَا يَتْبَعُهُمْ إِثْمُهَا.

﴿كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾.

أي: كَمَا بَيَّنَّا لَكُمُ ما يجبُ عَلَيْكُمْ فِي اللِّبَاسِ والْمَطَاعِمِ وما يحرم عليكم مِنْهَا، كَذَلِكَ أُبَيِّنُ معالم الحَلَالِ وَالحَرَامِ، وَأدلةَ الأَحْكَامِ لتفهموا عن الله تعالى مراده، ولتَفْقَهُوا أحكَامَ شَرعِهِ.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ﴾.

سُورَةُ الْأَعْرَافِ: الآية/ ٣٤

مناسبة الآية لما قبلها:

هذا تهديد للمشركين الذين حرموا ما أحله الله تعالى وكذبوا رسل الله وافتروا على الله الكذب، أنهم في قبضة الله تعالى وتحت قهره وسلطانه وأنهم لا يعجزونه.

﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ﴾.

يخبر الله تعالى هؤلاء المشركين المكذبين بسنته التي لا تتخلف في خلقه مذكرًا لهم بمصارع الغابرين، أَنَّ لِكُلِّ جَمَاعَةٍ اجْتَمَعَتْ عَلَى الشِّرْكِ بِاللَّهِ وتَكْذِيبِ رُسُلِ اللَّهِ أَجَلٌ مقدرٌ وَقْتٌ معلومٌ، ينزل عليهم فيه عقاب الله تعالى، ويحل عليهم بأسه الذي لا يرد عن القوم المجرمين.

﴿فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ﴾.

فَإِذَا اقْتَرَبَ حُضُورِ الْأَجَلِ وجَاءَ الْوَقْتُ الَّذِي وَقَّتَهُ اللَّهُ لِهَلَاكِهِمْ وَحُلُولِ الْعِقَابِ بِهِمْ لَا يَتَجَاوَزُونَهُ بِتَأْخِيرٍ وَلَا يَتَعَجَّلُونَهُ بِتَقْدِيمٍ، فلَا يَتَأَخَّرُونَ فِي الدُّنْيَا سَاعَةً مِنْ الزَّمَنِ، وَلَا يَتَقَدَّمُونَ عَنِ الْوَقْتِ الَّذِي قَدَّرَهُ اللَّهُ لِهَلَاكِهِم، والمرادُ بالأجلِ هنا أجل جموع الأمة المكذبة لا أجل أفرادها.

والمرادُ بالسَّاعَةِ هُنا أقلُّ مدةٍ زمنيةٍ، وذكر التقديم دلالة على أنهم لا يملكون من أمرهم شيئًا إنما يستسلمون لقدر الله تعالى؛ كما قالَ تَعَالَى: ﴿وَمَا أَهْلَكْنَا مِنْ قَرْيَةٍ إِلا وَلَهَا كِتَابٌ مَعْلُومٌ (٤) مَا تَسْبِقُ مِنْ أُمَّةٍ أَجَلَهَا وَمَا يَسْتَأْخِرُونَ﴾.[١]

١ - سُورَةُ الْحِجْرِ: الآية/ ٤، ٥

www.alukah.net
شبكة الألوكة

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿يَا بَنِي آدَمَ إِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ رُسُلٌ مِنْكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِي فَمَنِ اتَّقَى وَأَصْلَحَ فَلا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ (٣٥) وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَاسْتَكْبَرُوا عَنْهَا أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾. سُورَةُ الْأَعْرَافِ: الآية/ ٣٥، ٣٦

يَقُولُ اللهُ تَعَالَى مخاطبًا بَنِي آدَمَ بَعْدَ أَنْ حَذَّرَهُم كَيدَ الشيطانِ وَكَشَفَ لهم عن عَدَاوَتِهِ فهوَ خِطَابٌ لبَنِي آدَمَ مِنْ جَمِيعِ الْأُمَمِ، قَدِيمِهَا وَحَدِيثِهَا: ﴿يَا بَنِي آدَمَ إِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ رُسُلٌ مِنْكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِي﴾. (إِمَّا) هي: (إن) الشرطيةُ دخلَتْ عليها (ما) لتأكيدِ معنى الشرط، وجواب الشرط: ﴿فَمَنِ اتَّقَى.....﴾.

أَيْ: إِنْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِنْكُمْ تَعْرِفُونَ صِدْقَهُم وأَمَانَتِهِم، وتَعْرِفُونَ حَسَبِهِم ونَسَبِهِم، يَحْرِصُونَ على هِدَايتِكُم، ويَعِزُّ عليهم عَنَتُكُم، يَتلونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِي الدَّالَةِ على وَحَدَانِيتِي، ويُبَيِّنُونَ لكُم أَحْكَامِي، وَالْقَصَصُ إِتْبَاعُ الْحَدِيثِ بَعْضَهُ بَعْضًا.

﴿فَمَنِ اتَّقَى وَأَصْلَحَ﴾.

ثُمَّ قَسَّمَ اللهُ تَعَالَى بَنِي آدَمَ حال استقبالهم لدعوة الرسل إلى قسمين لا ثالث لهما:

الأول: مَنِ اتَّقى وَأَصْلَحَ، أي: مَنِ اتَّقى أسبابَ سخطِ اللهِ تَعَالَى باجتِنَابِ مَا نَهَى اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ وأخطرُهُ الشِّركُ باللهِ، وَأَصْلَحَ بامتثَالِ مَا أَمَرَ اللَّهُ تَعَالَى بِهِ وأعظم ذلك تحقيقُ توحيدِ اللهِ.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

﴿فَلا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾.

أي: فَلا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ فيما يستقبلهم من الموت وما بعده، وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ على ما فاتهم من الدنيا؛ كما قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾.[1]

والثاني: من كذب بآيات الله واستنكف عن اتباعها.

﴿وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَاسْتَكْبَرُوا عَنْهَا أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾.

أَيْ: كَذَّبَتْ قُلُوبُهُمْ بِآيَاتِنَا، وَجَحَدُوا تَوْحِيدِي، وَاسْتَكْبَرُوا عَنِ الانقيادِ لما دلت عليه وَكَذَّبوا رُسُلِي، فأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ يلازمونها ملازمةَ الصاحبِ لصاحِبِهِ، مَاكِثُونَ فِيهَا أبدًا.

١ - سورة الأحقاف: الآية/ ١٣

www.alukah.net
شبكة الألوكة

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ أُولَئِكَ يَنَالُهُمْ نَصِيبُهُمْ مِنَ الْكِتَابِ حَتَّى إِذَا جَاءَتْهُمْ رُسُلُنَا يَتَوَفَّوْنَهُمْ قَالُوا أَيْنَ مَا كُنْتُمْ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ قَالُوا ضَلُّوا عَنَّا وَشَهِدُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُوا كَافِرِينَ﴾. سُورَةُ الْأَعْرَافِ: الآية/ ٣٧

مناسبة الآية لما قبلها:

لما أخبرَ اللهُ تَعَالَى عن المشركين أنهم كانوا: ﴿إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً قَالُوا وَجَدْنَا عَلَيْهَا آبَاءَنَا وَاللَّهُ أَمَرَنَا بِهَا﴾. [الْأَعْرَافِ: ٢٨]، بين الله تعالى هنا شنيع جرمهم، وقبح معتقدهم، وحالهم عند احتضارهم.

أَيْ: لَا أَحَدَ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ، فَنَسَبَ له تَعَالَى ما لم يَشْرَعْهُ، أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِ اللَّهِ الْمُنَزَّلَةِ على رُسُلِهِ عَلَيهِمُ السَّلامُ.

﴿أُولَئِكَ يَنَالُهُمْ نَصِيبُهُمْ مِنَ الْكِتَابِ﴾.

أي: أُولَئِكَ المفترون يَصِلُ إِلَيْهِمْ حَظُّهُمْ الذي قدَّرَه اللهُ وكَتَبَه لَهُمْ فِي اللَّوْحِ الْمَحْفُوظِ؛ كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ* مَتَاعٌ فِي الدُّنْيَا ثُمَّ إِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ ثُمَّ نُذِيقُهُمُ الْعَذَابَ الشَّدِيدَ بِمَا كَانُوا يَكْفُرُونَ﴾.[1]

قَالَ ابْنُ عباسٍ: نَصِيبُهُمْ مِنَ الْأَعْمَالِ، مَنْ عَمِل خَيْرًا جُزِي به، وَمِنْ عَمِلَ شَرًّا جُزِي بِهِ.

وَقَالَ مُجَاهِدٌ: مَا وُعِدُوا فِيهِ مِنْ خَيْرٍ وَشَرٍّ.

١ - سورةُ يُونُسَ: الآية/ ٦٩، ٧٠

www.alukah.net
شبكة الألوكة

﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ أُولَئِكَ يَنَالُهُمْ نَصِيبُهُمْ مِنَ الْكِتَابِ حَتَّى إِذَا جَاءَتْهُمْ رُسُلُنَا يَتَوَفَّوْنَهُمْ قَالُوا أَيْنَ مَا كُنْتُمْ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾.

ثمَّ أخْبَرَ اللهُ تَعَالَى عَنْ حالِ الْمُشْرِكِينَ الذين افْتَرَوا عَلَى اللَّهِ الكَذِبَ وَكَذَّبُوا بِآيَاتِهِ عِنْدَ احتِضَارِهِم وقَبْض أَرْوَاحِهِمْ فقال: ﴿حَتَّى إِذَا جَاءَتْهُمْ رُسُلُنَا يَتَوَفَّوْنَهُمْ قَالُوا أَيْنَ مَا كُنْتُمْ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾. يقول لهم مَلَكُ الْمَوْتِ وَأعوانُهُ: أَيْنَ آلِهَتُكُمُ الَّذِينَ كُنْتُمْ تَعْبُدُونَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ، وَتَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ يَنْفَعُونَكُمْ عِنْدَ الشَّدَائِدِ؟

وَمَعْنَى ﴿تَدْعُونَ﴾: تَعْبُدُونَ، يقولون ذلك لهم تبكيتًا وتقريعًا؛ فقد كانوا يزعمون أنَّ أوثانهم تقربهم إلى الله تعالى؛ قَالَ تَعَالَى: ﴿وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى﴾.[1]

وزعموا أنهم يشفعون لهم عند الله تعالى؛ قَالَ تَعَالَى: ﴿وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلا يَنْفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هؤُلاءِ شُفَعاؤُنا عِنْدَ اللَّهِ﴾.[2]

﴿قَالُوا ضَلُّوا عَنَّا﴾.

أَيْ: ذَهَبُوا وغَابُوا عَنَّا وتَرَكُونا أَحوجَ ما نكونُ إليهم، فَلَا نَرْجُو اليومَ منهم نَفْعًا، وَلَا نأملُ عندهم خَيْرًا.

﴿وَشَهِدُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُوا كَافِرِينَ﴾.

شَهِدُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ بالكفرِ حِينَ أقرُّوا أَنَّهم كَانُوا يَعْبُدُونَهُم مِنْ دُونِ اللَّهِ، وحِينَ أَجَابُوا بِأَنَّهُمْ ضَلُّوا عَنْهُمْ، فحقَّ عليهم العذابُ.

---

١ - سورةُ الزُّمَرِ: الآية/ ٣

٢ - سورةُ يونُسَ: الآية/ ١٨

www.alukah.net
شبكة الألوكة

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿قَالَ ادْخُلُوا فِي أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِكُمْ مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ فِي النَّارِ كُلَّمَا دَخَلَتْ أُمَّةٌ لَعَنَتْ أُخْتَهَا حَتَّى إِذَا ادَّارَكُوا فِيهَا جَمِيعًا قَالَتْ أُخْرَاهُمْ لِأُولَاهُمْ رَبَّنَا هَؤُلَاءِ أَضَلُّونَا فَآتِهِمْ عَذَابًا ضِعْفًا مِنَ النَّارِ قَالَ لِكُلٍّ ضِعْفٌ وَلَكِنْ لَا تَعْلَمُونَ﴾. سُورَةُ الْأَعْرَافِ: الآية/ ٣٨

يخبرُ اللهُ تَعَالَى عَمَّا يَقُولُهُ ردًّا على هَؤُلَاءِ الْمُشْرِكِينَ الذين كذَّبُوا بِآيَاتِهِ وافتَرَوا عليه الكَذبَ: ﴿قَالَ ادْخُلُوا فِي أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِكُمْ مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ فِي النَّارِ﴾؛ أي: ادخلوا في زمرتهم، وتميزوا عمن آمن بالله تعالى وصدق المرسلين؛ كما قال تعالى: ﴿وَامْتَازُوا الْيَوْمَ أَيُّهَا الْمُجْرِمُونَ﴾ [يس: ٦٤]، ثم يأمر الله تعالى بهم جميعًا إلى النار.

﴿كُلَّمَا دَخَلَتْ أُمَّةٌ لَعَنَتْ أُخْتَهَا﴾.

أَيْ: كُلَّمَا دَخَلَتِ جَمَاعَةٌ النَّارَ لَعَنَتْ الجَمَاعَةَ السَّابقةَ عليها في الزمنِ لأنها سَنَّتْ لها الكفرَ، وزينت لها الضلالَ، فيَلْعَنُ الْمُشْرِكُونَ الْمُشْرِكِينَ، وَالْيَهُودُ الْيَهُودَ، وَالنَّصَارَى النَّصَارَى، وَالصَّابِئُونَ الصَّابِئِينَ، وَالْمَجُوسُ الْمَجُوسَ؛ كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿الأخِلاءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلا الْمُتَّقِينَ﴾ [الزُّخْرُفِ: ٦٧]، وقَالَ تَعَالَى: ﴿ثُمَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُ بَعْضُكُمْ بِبَعْضٍ وَيَلْعَنُ بَعْضُكُمْ بَعْضًا﴾.[1]

وقال: ﴿لَعَنَتْ أُخْتَهَا﴾ بالتأنيث؛ لِأَنَّ سياقَ الكلام عن الأُمَّةِ وَالجَمَاعَةِ.

﴿حَتَّى إِذَا ادَّارَكُوا فِيهَا جَمِيعًا قَالَتْ أُخْرَاهُمْ لِأُولَاهُمْ رَبَّنَا هَؤُلَاءِ أَضَلُّونَا﴾.

﴿حَتَّى إِذَا ادَّارَكُوا﴾. أصْلُها تَدَارَكُوا، وَهي قَراءةُ الْأَعْمَشِ، والتدارك هو السقوط المتتابع، والمعنى: حتى إذا سقطوا متتابعين في النار واجتمعوا فيها جميعًا، ﴿قَالَتْ أُخْرَاهُمْ لِأُولَاهُمْ رَبَّنَا هَؤُلَاءِ أَضَلُّونَا﴾، أي: قَالَتْ أُخْرَاهُمْ عنْ أُولَاهُمْ رَبَّنَا هَؤُلَاءِ أَضَلُّونَا؛ لِأَنَّهُمْ لَمْ يُخَاطِبُوهم وإنما قالوا للهِ عنهم، وقالوا ذلك لأنهم سَنُّوا لهم الكفرَ، وزيَّنُوا لهم الضلالَ.

---

١ - سُورَةُ الْعَنْكَبُوتِ: الآية/ ٢٥

www.alukah.net
شبكة الألوكة

قوله: ﴿فَآتِهِمْ عَذَابًا ضِعْفًا مِنَ النَّارِ﴾.

يعني: لكونهم ضلوا في أنفسهم، وأضلوا غيرهم؛ كَمَا قَالَ تَعَالَى: وَقَالَ ﴿وَمِنْ أَوْزَارِ الَّذِينَ يُضِلُّونَهُمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ أَلا سَاءَ مَا يَزِرُونَ﴾ [النَّحْلِ: ٢٥]، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَيَحْمِلُنَّ أَثْقَالَهُمْ وَأَثْقَالا مَعَ أَثْقَالِهِمْ﴾.[١]

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: «مَنْ دَعَا إِلَى هُدًى، كَانَ لَهُ مِنَ الْأَجْرِ مِثْلُ أُجُورِ مَنْ تَبِعَهُ، لَا يَنْقُصُ ذَلِكَ مِنْ أُجُورِهِمْ شَيْئًا، وَمَنْ دَعَا إِلَى ضَلَالَةٍ، كَانَ عَلَيْهِ مِنَ الْإِثْمِ مِثْلُ آثَامِ مَنْ تَبِعَهُ، لَا يَنْقُصُ ذَلِكَ مِنْ آثَامِهِمْ شَيْئًا».[٢]

وكما وقع التلاعن بين السابقة واللاحقة وسؤال اللاحقة مضاعفة العذاب على السابقة، يقع التلاعن كذلك بين الضعفاء الأتباع والكبراء المتبوعين؛ كما قال تعالى: ﴿وَقَالُوا رَبَّنَا إِنَّا أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَاءَنَا فَأَضَلُّونَا السَّبِيلا * رَبَّنَا آتِهِمْ ضِعْفَيْنِ مِنَ الْعَذَابِ وَالْعَنْهُمْ لَعْنًا كَبِيرًا﴾.[٣]

﴿قَالَ لِكُلٍّ ضِعْفٌ وَلَكِنْ لَا تَعْلَمُونَ﴾.

أي: قَالَ اللهُ تعالى لؤلئك الذين يتلاعنون في النار ويدعو بعضهم على بعض بمضاعفة العذاب: لِكُلٍّ أُمَّةٍ ضِعْفٌ وَلَكِنَّكُمْ لَا تَعْلَمُونَ مَا أَعَدَّ اللَّهُ لَكُمْ مِنَ الْعَذَابِ فِي النارِ.

وَسَوَّى اللهُ تعالى بَيْنَ الطَّائِفَتَيْنِ فِي مُضَاعَفَةِ الْعَذَابِ لإفسادهم في الأرض، وصدهم عن سبيل الله تعالى؛ كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ زِدْنَاهُمْ عَذَابًا فَوْقَ الْعَذَابِ بِمَا كَانُوا يُفْسِدُونَ﴾.[٤]

---

١ – سورةُ الْعَنْكَبُوتِ: الآية/ ١٣

٢ – رواه مسلم– كتاب الْعِلْمِ، بَابُ مَنْ سَنَّ سُنَّةً حَسَنَةً أَوْ سَيِّئَةً وَمَنْ دَعَا إِلَى هُدًى أَوْ ضَلَالَةٍ، حديث رقم: ٢٦٧٤

٣ – سورة الْأَحْزَابِ: الآية/ ٦٧، ٦٨

٤ – سورة النَّحْلِ: الآية/ ٨٨

www.alukah.net
شبكة الألوكة

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿وَقَالَتْ أُولَاهُمْ لِأُخْرَاهُمْ فَمَا كَانَ لَكُمْ عَلَيْنَا مِنْ فَضْلٍ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْسِبُونَ﴾. سُورَةُ الْأَعْرَافِ: الآية/ ٣٩

أي: وَقَالَتْ أُولَاهُمْ لِأُخْرَاهُمْ أَنتُم كَفَرْتُمُ اخْتِيَارًا وليس كما تزعمون أَنَّا حَمَلْنَاكُمْ عَلَى الكُفْرِ إِجْبَارًا، فليس لَكُمْ عَلَيْنَا مِنْ فَضْلٍ، ليخف عذابكم ويضاعف علينا العذاب، فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْسِبُونَ مِنَ الْكُفْرِ وَالْمَعَاصِي مِثْلَنَا.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَاسْتَكْبَرُوا عَنْهَا لَا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَابُ السَّمَاءِ وَلَا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّى يَلِجَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُجْرِمِينَ (٤٠) لَهُمْ مِنْ جَهَنَّمَ مِهَادٌ وَمِنْ فَوْقِهِمْ غَوَاشٍ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ﴾. سُورَةُ الْأَعْرَافِ: الآية/ ٤٠، ٤١

مناسبة الآيات لما قبلها:

لما ذكر الله تعالى حال المشركين في النار بين هنا حكم كل من كفر بالله تعالى وكذب بآياته المنزلة على رسله عليهم السلام، واستكبر عن قبولها، بأنهم لا حظ لهم ولا نصيب في قبول الأعمال، ولا أمل لهم في دخول الجنان.

﴿إِنَّ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَاسْتَكْبَرُوا عَنْهَا لَا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَابُ السَّمَاءِ﴾.

يَقُولُ الله تَعَالَى: إِنَّ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا البيناتِ وَأَدِلَّتِنَا الواضحاتِ على توحيد الله تعالى وإفراده بالعبادة، وَاسْتَكْبَرُوا عَنِ الإيمانِ بِهَا وَاستنكفوا عَن اتِّبَاعِهَا وَالِانْقِيَادِ لَهَا، لَا تُفَتَّحُ لِأَرْوَاحِهِمْ إِذَا خَرَجَتْ مِنْ أَجْسَادِهِمْ أَبْوَابُ السَّمَاءِ، وَلَا يُرْفَعُ لَهُمْ مِنْهَا إِلَى اللَّهِ قَوْلٌ وَلَا عَمَلٌ صَالِحٌ وَلَا دُعَاءٌ.

عَنِ الْبَرَاءِ بْنِ عَازِبٍ قَالَ: خَرَجْنَا مَعَ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي جَنَازَةِ رَجُلٍ مِنَ الْأَنْصَارِ فَانْتَهَيْنَا إِلَى الْقَبْرِ، وَلَمَّا يُلْحَدْ قَالَ: فَجَلَسَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَجَلَسْنَا حَوْلَهُ كَأَنَّ عَلَى رُؤُسِنَا الطَّيْرَ. وفيه: ثُمَّ يَأْتِيهِ مَلَكُ الْمَوْتِ فَيَجْلِسُ عِنْدَ رَأْسِهِ فَيَقُولُ: أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْخَبِيثَةُ اخْرُجِي إِلَى سَخَطِ اللهِ وَغَضَبِهِ". قَالَ: "فَتَفَرَّقُ فِي جَسَدِهِ فَيَنْتَزِعُهَا، وَمَعَهَا الْعَصْبُ وَالْعُرُوقُ كَمَا يُنْتَزَعُ السَّفُّودُ مِنَ الصُّوفِ الْمَبْلُولِ فَيَأْخُذُونَهَا فَيَجْعَلُوهَا فِي تِلْكَ الْمُسُوحِ". قَالَ: "وَيَخْرُجُ مِنْهَا أَنْتَنُ مِنْ جِيفَةٍ وُجِدَتْ عَلَى وَجْهِ الْأَرْضِ فَلَا يَمُرُّونَ بِهَا عَلَى مَلَأٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ إِلَّا قَالُوا: مَا هَذِهِ الرُّوحُ الْخَبِيثَةُ؟ فَيَقُولُونَ: فُلَانُ بْنُ فُلَانٍ بِأَقْبَحِ أَسْمَائِهِ الَّتِي كَانَ

www.alukah.net
شبكة الألوكة

يُسَمَّى بِهَا فِي الدُّنْيَا حَتَّى يَنْتَهِيَ بِهَا إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا فَيُسْتَفْتَحُ لَهُ فَلَا يُفْتَحُ لَهُ، ثُمَّ قَرَأَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ﴿لَا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَابُ السَّمَاءِ﴾ [الأعراف: ٤٠] إِلَى آخِرِ الْآيَةِ.[١]

﴿وَلَا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّى يَلِجَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُجْرِمِينَ﴾.

الْوُلُوجُ: الدُّخُولُ يُقَالُ: وَلَجَ فُلَانٌ الدَّارَ إِذَا: دَخَلَ، وَالسَّمُّ الثَّقْبِ، وَجَمْعُهُ سُمُومٌ وَسِمَامٌ، وَكُلُّ ثُقْبٍ لَطِيفٍ فِي الْبَدَنِ يُسَمَّى سَمًّا، وَالْخِيَاطُ الْمِخْيَطُ وَهِيَ الْإِبْرَةُ، يقَالُ لَهَا: خِيَاطٌ وَمِخْيَطٌ.

قَالَ ابْنُ مَسْعُودٍ: هُوَ الْجَمَلُ ابْنُ النَّاقَةِ.

وَقَالَ الْحَسَنُ الْبَصْرِيُّ: حَتَّى يُدْخَلَ الْبَعِيرُ فِي خُرْقِ الْإِبْرَةِ.

وَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ أَنَّهُ قَرَأَ: (الْجُمَّلُ) مُثَقَّلَةً، وَقَالَ: هُوَ حَبْلُ السَّفِينَةِ.

أي: وَلَا يَدْخُلُ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَاسْتَكْبَرُوا عَنْهَا الْجَنَّةَ أَبَدًا، حَتَّى يَدخلَ الْجَمَلُ فِي ثَقْبِ الْإِبْرَةِ وَذَلِكَ مُحَالٌ، لِيقطَعَ رَجَاءَهُم فِيها.

وَخُصَّ الْجَمَلُ مِنْ بَيْنِ سَائِرِ الْحَيَوَانَاتِ بالذكرِ لِأَنَّهُ أَكْبَرُ الْحَيَوَانَاتِ جِسْمًا عِنْدَ الْعَرَبِ.

﴿وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُجْرِمِينَ﴾.

أي: وبمثل هذا الحكم نجزي كل كافرٍ معاندٍ مكذبٍ بآيات الله تعالى، وذكر الْمُجْرِمِينَ لأنَّ كفرهم كفر عنادٍ واستكبارٍ، ومن كانت هذه صفَتُهُ فهو مجرمٌ.

---

١ - رواه أحمد- حديث رقم: ١٨٥٣٤، والحاكم- كِتَابُ الْإِيمَانِ، حديث رقم: ١٠٧، والبيهقي في شعب الإيمان- فصل في عذاب القبر، حديث رقم: ٣٩٥،

www.alukah.net
شبكة الألوكة

﴿لَهُمْ مِنْ جَهَنَّمَ مِهَادٌ وَمِنْ فَوْقِهِمْ غَوَاشٍ﴾.

الْمِهَادُ مَا يُمَهَّدُ أَي: مَا يُفرَشُ ليُضجعَ عليه، والغَوَاش جَمْعُ غَاشِيَةٍ وَهِيَ مَا يَغْشَى الْإِنْسَانَ، أَيْ يُغَطِّيهِ كَالِلْحَافِ.

أي: لِهَؤُلَاءِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَاسْتَكْبَرُوا عَنْهَا فِرَاشٌ مِنَ النَّارِ يُفْرَشُ لهم، وَمِنْ فَوْقِهِمْ غطاءٌ يُغَطِّيهِمْ، زيادةً في النكالِ ومبالغةً في العذابِ؛ كما قال تعالى: ﴿يَوْمَ يَغْشَاهُمُ الْعَذَابُ مِنْ فَوْقِهِمْ وَمِنْ تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ وَيَقُولُ ذُوقُوا مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [الْعَنْكَبُوتِ: ٥٥]، وَقَالَ تعالى: ﴿لَهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ ظُلَلٌ مِنَ النَّارِ وَمِنْ تَحْتِهِمْ ظُلَلٌ﴾.[1]

﴿وَكَذَلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ﴾.

وبمثل هذا العذاب نَجْزِي الظَّالِمِينَ؛ أي المشركين؛ فإن الشرك ظلمٌ عظيم كما أخبر الله تعالى.

قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: يُرِيدُ الَّذِينَ أَشْرَكُوا بِاللَّهِ وَاتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ إِلَهًا.

١ - سورة الزُّمَر: الآية/ ١٦

www.alukah.net
شبكة الألوكة

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾. سُورَةُ الْأَعْرَافِ: الآية/ ٤٢

لما ذكر الله تعالى حال المشركين المكذبين، وما توعدهم به من العذاب المقيم، ذكر حال المؤمنين الموحدين، وما أعده لهم من جنات النعيم وما لهم فيها من النعيم المقيم.

﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾.

أي: وَالَّذِينَ صَدَقُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ ثم لم يرتابوا، وَأَقَرُّوا بتوحيد الله تعالى، واذعنوا لِمَا جَاءَهُمْ بِهِ مِنْ الوَحْيِ عنِ اللَّهِ تعالى، وَامتثلوا مَا أَمَرَهُمُ اللَّهُ بِهِ وَتَجَنَّبُوا مَا نَهَاهُمْ عَنْهُ.

﴿لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾.

أي: لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا مِنَ الْأَعْمَالِ إِلَّا مَا يَسَعُهَا، وما جَعلَ اللهُ على العبادِ فيما شرعه لهم من حرجٍ، وهي جُمْلَةٌ مُعْتَرِضَةٌ بَيْنَ الْمُبْتَدَأِ وَالْخَبَرِ، وَفَائِدَةُ الاعتراضِ بيانُ أَنَّ التكاليفَ الشرعيةَ ومنها الإيمان وهو التصديقُ الجازمُ المصاحبُ للإقرارِ بأنَّ اللهَ واحدٌ لا شريك له ولا شيء يعجزه ولا إله غيره، والأعمال الصَّالِحة تحت قُدْرَةِ العبَادِ، وفي وسعهم.

﴿أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾.

أي: أُولَئِكَ هم الملازمون لْلجَنَّةِ ملازمة الصاحب لصاحبه، خَالِدُونَ فِيهَا لا يفارقون النعيم ولا يفارقهم.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِنْ غِلٍّ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلَا أَنْ هَدَانَا اللَّهُ لَقَدْ جَاءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِالْحَقِّ وَنُودُوا أَنْ تِلْكُمُ الْجَنَّةُ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾. سُورَةُ الْأَعْرَافِ: الآية/ ٤٣

ثم أَخْبَرَ اللهُ تَعَالَى أَنَّ مِنْ تَمَامِ نَعِيمِ أَهلِ الْجَنَّةِ، نَزْعُ مَا فِي صُدُورِهِمْ مِنْ حِقْدٍ وَغِلٍّ وَعَدَاوَةٍ وبُغْضٍ كَانَ مِنْ بَعْضِهِمْ عَلَى بَعْضٍ فِي الدُّنْيَا، وَالْغِلُّ: الْحِقْدُ وَالعَدَاوَةُ الَّتِي تَحْصُلُ فِي النَّفْسِ بسببِ إساءة الغيرِ؛ عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الخُدْرِيَّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «يَخْلُصُ المُؤْمِنُونَ مِنَ النَّارِ، فَيُحْبَسُونَ عَلَى قَنْطَرَةٍ بَيْنَ الجَنَّةِ وَالنَّارِ، فَيُقَصُّ لِبَعْضِهِمْ مِنْ بَعْضٍ مَظَالِمُ كَانَتْ بَيْنَهُمْ فِي الدُّنْيَا، حَتَّى إِذَا هُذِّبُوا وَنُقُّوا أُذِنَ لَهُمْ فِي دُخُولِ الجَنَّةِ، فَوَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ، لَأَحَدُهُمْ أَهْدَى بِمَنْزِلِهِ فِي الجَنَّةِ مِنْهُ بِمَنْزِلِهِ كَانَ فِي الدُّنْيَا».[1]

وَقَالَ السُّدِّيّ: إِنَّ أَهْلَ الْجَنَّةِ إِذَا سِيقُوا إِلَى الْجَنَّةِ، فَبَلَغُوا، وَجَدُوا عِنْدَ بَابِهَا شَجَرَةً فِي أَصْلِ سَاقِهَا عَيْنَانِ، فَشَرِبُوا مِنْ إِحْدَاهِمَا، فَيُنْزَعُ مَا فِي صُدُورِهِمْ مِنْ غِلٍّ، فَهُوَ الشَّرَابُ الطَّهُورُ. وَاغْتَسَلُوا مِنَ الْأُخْرَى، فَجَرَتْ عَلَيْهِمْ نَضْرَةُ النَّعِيمِ، فَلَمْ يَشْعَثُوا وَلَمْ يَتَّسِخُوا بَعْدَهَا أَبَدًا.[2]

﴿تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ﴾.

ومن صورِ نعيمِ أهلِ الجنَّةِ أنَّ الْأَنْهَارَ تَجْرِي مِنْ تَحْتِ قُصُورهم العَالِيَةِ.

﴿وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلَا أَنْ هَدَانَا اللَّهُ﴾.

أي: وَقَالَ أَهْلُ الْجَنَّةِ: الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي وَفَّقَنَا للإيمانِ والعَمَلِ الصالحِ الَّذِي كانَ سَبَبًا فِي هَذَا الَّذِي نَحْنُ فِيهِ مِنَ النَّعيمِ المقِيمِ، وما كان لنَا أن نَهْتَدِيَ لَوْلَا أَنْ وَفَّقَنَا اللَّهُ للإيمانِ، وهَدَانَا إلى صراطِهِ المستقيمِ.

---

١ – رواه البخاري– كتابُ الرِّقَاقِ، بَابُ الْقِصَاصِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، حديث رقم: ٦٥٣٥

٢ – تفسير الطبري– ط. دار التربية والتراث (١٢/ ٤٣٩)

www.alukah.net
شبكة الألوكة

﴿لَقَدْ جَاءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِالْحَقِّ﴾.

اللَّامُ لَامُ الْقَسَمِ، قالوا ذلك لما عاينوا مَا وَعَدَهُم اللهُ تعالى به من الجزاء العظيم على ألسنةِ الرسلِ عليهم السلام، أي: فَهَذَا مِصْدَاقُ مَا وَعَدَنَا الله مِنَ الْجَزَاءِ عَلَى الإيمانِ وَالعَمَلِ الصَّالِحِ.

﴿وَنُودُوا أَنْ تِلْكُمُ الْجَنَّةُ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾.

أَيْ: وَنُودُوا مِنْ قِبَلِ اللهِ تبارك تَعَالَى بِأَنْ قِيلَ لَهُمْ: ﴿تِلْكُمُ الْجَنَّةُ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾، والتعبير بـ (تلك) لارتفاع مكانتها، وعلو شأنها؛ وعَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ، وَأَبِي هُرَيْرَةَ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: "يُنَادِي مُنَادٍ: إِنَّ لَكُمْ أَنْ تَصِحُّوا فَلَا تَسْقَمُوا أَبَدًا، وَإِنَّ لَكُمْ أَنْ تَحْيَوْا فَلَا تَمُوتُوا أَبَدًا، وَإِنَّ لَكُمْ أَنْ تَشِبُّوا فَلَا تَهْرَمُوا أَبَدًا، وَإِنَّ لَكُمْ أَنْ تَنْعَمُوا فَلَا تَبْأَسُوا أَبَدًا" فَذَلِكَ قَوْلُهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَنُودُوا أَنْ تِلْكُمُ الْجَنَّةُ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾.[1]

وقوله تعالى: ﴿بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾. أَيْ: بِسَبَبِ أَعْمَالِكُمْ؛ فالباء باء السببية وليست باء العوض؛ لما ثبت عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «لَنْ يُدْخِلَ أَحَدًا عَمَلُهُ الجَنَّةَ» قَالُوا: وَلاَ أَنْتَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: «لاَ، وَلاَ أَنَا، إِلَّا أَنْ يَتَغَمَّدَنِي اللَّهُ بِفَضْلٍ وَرَحْمَةٍ».[2]

---

١ – رواه مسلم– كِتَابُ الْجَنَّةِ وَصِفَةِ نَعِيمِهَا وَأَهْلِهَا، بَابٌ فِي دَوَامِ نَعِيمِ أَهْلِ الْجَنَّةِ وَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَنُودُوا أَنْ تِلْكُمُ الْجَنَّةُ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾، حديث رقم: ٢٨٣٧

٢ – رواه البخاري– كِتَابُ الطِّبِّ، بَابُ تَمَنِّي الْمَرِيضِ الْمَوْتَ، حديث رقم: ٥٦٧٣، ومسلم– كِتَابُ صِفَةِ الْقِيَامَةِ وَالْجَنَّةِ وَالنَّارِ، بَابُ: لَنْ يَدْخُلَ أَحَدٌ الْجَنَّةَ بِعَمَلِهِ بَلْ بِرَحْمَةِ اللهِ تَعَالَى، حديث رقم: ٢٨١٦

www.alukah.net
شبكة الألوكة

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿وَنَادَى أَصْحَابُ الْجَنَّةِ أَصْحَابَ النَّارِ أَنْ قَدْ وَجَدْنَا مَا وَعَدَنَا رَبُّنَا حَقًّا فَهَلْ وَجَدْتُمْ مَا وَعَدَ رَبُّكُمْ حَقًّا قَالُوا نَعَمْ فَأَذَّنَ مُؤَذِّنٌ بَيْنَهُمْ أَنْ لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ (٤٤) الَّذِينَ يَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا وَهُمْ بِالْآخِرَةِ كَافِرُونَ﴾. سُورَةُ الْأَعْرَافِ: الآية/ ٤٤، ٤٥

لَمَّا دَخَلَ أَهْلُ الْجَنَّةِ الْجَنَّةَ وعاينوا ما فيها من النَّعيمِ، ودَخَلَ أَهْلُ النَّارِ النَّارَوذاقوا ما فيهما من العذاب الأليم، خاطب أَهْلُ الْجَنَّةِ أَهْلَ النَّارِ عَلَى وَجْهِ التَّقْرِيعِ وَالتَّوْبِيخِ، بما كان منهم من الإيمان والتصديقِ لرسلِ اللهِ عليهم السلام، وما كان من أهل النار من السخرية والاستهزاء برسل الله، والتكذيب بآياتِ اللهِ تعالى.

﴿وَنَادَى أَصْحَابُ الْجَنَّةِ أَصْحَابَ النَّارِ أَنْ قَدْ وَجَدْنَا مَا وَعَدَنَا رَبُّنَا حَقًّا فَهَلْ وَجَدْتُمْ مَا وَعَدَ رَبُّكُمْ حَقًّا﴾.

نَادَى أَصْحَابُ الْجَنَّةِ أَصْحَابَ النَّارِ لبُعْدِ ما بينهما و (أَنْ) هُنَا هي المفسِّرةُ وَ (قَدْ) لِلتَّحْقِيقِ، ﴿أَنْ قَدْ وَجَدْنَا مَا وَعَدَنَا رَبُّنَا حَقًّا﴾. أي: إِنَّا قَدْ وَجَدْنَا مَا وَعَدَنَا رَبُّنَا مِنَ النَّعِيمِ المقيمِ وَالفَوزِ والفَلاحِ على الطاعة والإيمان حَقًّا. ﴿فَهَلْ وَجَدْتُمْ مَا وَعَدَ رَبُّكُمْ﴾. من العذاب والنكال والخزي والخذلان على الكفرِ والعصيانِ حَقًّا؟

كَمَا أَخْبَرَ تَعَالَى عَمَّنْ كَانَ لَهُ قَرِينٌ مِنَ الْكُفَّارِ: ﴿فَاطَّلَعَ فَرَآهُ فِي سَوَاءِ الْجَحِيمِ (٥٥) قَالَ تَاللَّهِ إِنْ كِدْتَ لَتُرْدِينِ (٥٦) وَلَوْلا نِعْمَةُ رَبِّي لَكُنْتُ مِنَ الْمُحْضَرِينَ (٥٧) أَفَمَا نَحْنُ بِمَيِّتِينَ (٥٨) إِلا مَوْتَتَنَا الأولَى وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ﴾.[1]

﴿قَالُوا نَعَمْ فَأَذَّنَ مُؤَذِّنٌ بَيْنَهُمْ أَنْ لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ﴾.

فأقروا بما هم فيه من العذاب والخزي والنكال، فَنَادَى مُنَادٍ بَيْنَهُمْ، (أَنْ) تفسيرية لذلك الأذان، ﴿لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ﴾، أَيْ: لَعْنَةُ اللَّهِ وَسَخَطُهُ وَعَذابهُ عَلَى الْمُشْرِكِينَ المكذبينَ.

---

١ - سورة الصَّافَّاتِ: الآيات/ ٥٥- ٥٩

www.alukah.net
شبكة الألوكة

﴿الَّذِينَ يَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا﴾.

الَّذِينَ كانوا يَصُدُّونَ عَنْ دِينِ اللَّهِ مَنْ آمنَ باللهِ، ويحولون بينهم وبين الاستقامة على أمر الله تعالى، ويريدون أن تظهرَ هَذِهِ السَّبِيلِ عَوْجَاءَ، باختلاق الأكاذيب عليها، ورميها بالنَقَائِصِ تَنْفِيرًا للنَّاسِ عنها، وتشويهًا لصورة الْإِسْلَامِ.

﴿وَهُمْ بِالْآخِرَةِ كَافِرُونَ﴾.

أي: ولا يفعلون ذلك إلا لتمكن الكفر من قلوبهم، وثباتهم عليه، وعدم إيمانهم بالبعث والنشور والجزاء والحساب.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿وَبَيْنَهُمَا حِجَابٌ وَعَلَى الْأَعْرَافِ رِجَالٌ يَعْرِفُونَ كُلًّا بِسِيمَاهُمْ وَنَادَوْا أَصْحَابَ الْجَنَّةِ أَنْ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ لَمْ يَدْخُلُوهَا وَهُمْ يَطْمَعُونَ (٤٦) وَإِذَا صُرِفَتْ أَبْصَارُهُمْ تِلْقَاءَ أَصْحَابِ النَّارِ قَالُوا رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾. سُورَةُ الْأَعْرَافِ: الآية/ ٤٦، ٤٧

مناسبة الآيات لما قبلها:

لَمَّا ذَكَرَ تَعَالَى خِطَابَ أَهْلِ الْجَنَّةِ لأَهْلِ النَّارِ، بين تعالى ما يجري يومئذٍ من الأحداث الجسام عند دخول أهل الجنة الجنة، وعند دخول أهل النَّارِ النَّارَ، ومنها خطابُ أَصْحَابِ الْأَعْرَافِ لأَصْحَابِ الْجَنَّةِ وأَصْحَابِ النَّارِ، ومنها خطابُ أَصْحَابِ النَّارِ لأهلِ الْجَنَّةِ، وأن ذلك كائنٌ مع وجودِ حِجَابٍ بَيْنَ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ يحجزُ أَهْلَ النَّارِ عنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ صيانةً لأَهْلِ الْجَنَّةِ، وإهانةً لأَهْلِ النَّارِ.

﴿وَبَيْنَهُمَا حِجَابٌ وَعَلَى الْأَعْرَافِ رِجَالٌ يَعْرِفُونَ كُلًّا بِسِيمَاهُمْ﴾.

أي: وضُرِبَ بين أَهْلِ الْجَنَّةِ، وأَهْلِ النَّارِ حِجَابٌ، قيل: هُوَ السُّورُ المذكور في قول الله تعالى: ﴿فَضُرِبَ بَيْنَهُمْ بِسُورٍ لَهُ بَابٌ بَاطِنُهُ فِيهِ الرَّحْمَةُ وَظَاهِرُهُ مِنْ قِبَلِهِ الْعَذَابُ﴾.[1]

وَالْأَعْرَافُ جَمْعُ عُرْفٍ وَهُوَ كُلُّ مَكَانٍ مُرْتَفِعٍ مِنَ الْأَرْضِ، وَمِنْهُ عُرْفُ الْفَرَسِ، وَعُرْفُ الدِّيكِ قِيلَ لَهُ عُرْفًا لِارْتِفَاعِهِ.

وَقَالَ مُجَاهِدٌ: الْأَعْرَافُ: حِجَابٌ بَيْنَ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ، سُورٌ لَهُ بَابٌ.

وقيل: الْمُرَادَ مِنَ الْأَعْرَافِ أَعَالِي ذَلِكَ السُّورِ الْمَضْرُوبِ بَيْنَ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ؛ قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: الْأَعْرَافُ شَرَفُ الصِّرَاطِ.

واختلف العلماء في المراد بأصحاب الأعراف على أقوال منها أنهم قَوْمٌ صَالِحُونَ فُقَهَاءُ عُلَمَاءُ. وهو قَوْلُ مُجَاهِدٍ.

---

١ - سُورَةُ الْحَدِيدِ: الآية/ ١٣

www.alukah.net
شبكة الألوكة

روى سعيد بن منصور عَنْ عَمْرِو بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ الْمُزَنِيِّ، عَنْ أَبِيهِ، قَالَ: سُئِلَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنْ أَصْحَابِ الْأَعْرَافِ، فَقَالَ: "هُمْ قَوْمٌ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ بِمَعْصِيَةِ آبَائِهِمْ، فَمَنَعَهُمْ دُخُولَ الْجَنَّةِ مَعْصِيَةُ آبَائِهِمْ، وَمَنَعَهُمْ دُخُولُ النَّارِ قَتْلُهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ".[1]

وقيل: هُمْ قَوْمٌ اسْتَوَتْ حَسَنَاتُهُمْ وَسَيِّئَاتُهُمْ، فَجُعِلُوا هُنَالِكَ إِلَى أَنْ يَقْضِيَ اللَّهُ فِيهِمْ مَا يَشَاءُ، ثُمَّ يُدْخِلُهُمُ الْجَنَّةَ بِفَضْلِ رَحْمَتِهِ إِيَّاهُمْ.

قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: أَصْحَابُ الْأَعْرَافِ: قَوْمٌ اسْتَوَتْ حَسَنَاتُهُمْ وَسَيِّئَاتُهُمْ، فَلَمْ تَزِدْ حَسَنَاتُهُمْ عَلَى سَيِّئَاتِهِمْ، وَلَا سَيِّئَاتُهُمْ عَلَى حَسَنَاتِهِمْ.

وعَنْ حُذَيْفَةَ، أَنَّهُ سُئِلَ عَنْ أَصْحَابِ الْأَعْرَافِ، قَالَ: فَقَالَ: هُمْ قَوْمٌ اسْتَوَتْ حَسَنَاتُهُمْ وَسَيِّئَاتُهُمْ، فَقَصُرَتْ بِهِمْ سَيِّئَاتُهُمْ عَنِ الْجَنَّةِ، وَخَلَّفَتْ بِهِمْ حَسَنَاتُهُمْ عَنِ النَّارِ. قَالَ: فَوَقَفُوا هُنَالِكَ عَلَى السُّورِ حَتَّى يَقْضِيَ اللَّهُ فِيهِمْ.[2]

يخبر اللهُ تعالى أَنَّ أَصْحَابَ الْأَعْرَافِ يشاهدون أَصْحَابَ الْجَنَّةِ، وَأَصْحَابَ النَّارِ وَيَعْرِفُونَ كُلًّا من الفَرِيقَيْنِ بِعَلَامَاتٍ تميزُ كلَ فريقٍ، وَالسِّيمَا بِالْقَصْرِ الْعَلَامَةُ، أَيْ مَيَّزَ اللَّهُ أَهْلَ الْجَنَّةِ وَأَهْلَ النَّارِ بِعَلَامَاتٍ يُعْرِفُونَ بها، فيُعْرِفُ أَهْلُ الْجَنَّةِ بِبَيَاضِ وُجُوهِهم، ويُعْرِفُ أَهْلُ النَّارِ بِسَوَادِ وُجُوهِهم؛ كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ﴾ [آلِ عِمْرَانَ: ١٠٦]، وَكَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ مُسْفِرَةٌ (٣٨) ضَاحِكَةٌ مُسْتَبْشِرَةٌ (٣٩) وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ عَلَيْهَا غَبَرَةٌ (٤٠) تَرْهَقُهَا قَتَرَةٌ (٤١) أُولَئِكَ هُمُ الْكَفَرَةُ الْفَجَرَةُ﴾.[3]

عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، قَوْلُهُ: ﴿وَعَلَى الْأَعْرَافِ رِجَالٌ يَعْرِفُونَ كُلًّا﴾، قَالَ: «يَعْرِفُونَ أَهْلَ النَّارِ بِسَوَادِ الْوُجُوهِ، وَأَهْلَ الْجَنَّةِ بِبَيَاضِ الْوُجُوهِ».

---

١ - رواه سعيد بن منصور في التفسير، حديث رقم: ٩٥٤

٢ - تفسير الطبري- ط. دار التربية والتراث (١٢/ ٤٥٣)

٣ - سورةُ عَبَسَ: الآيات/ ٣٨- ٤٢

www.alukah.net
شبكة الألوكة

﴿وَنَادَوْا أَصْحَابَ الْجَنَّةِ أَنْ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ لَمْ يَدْخُلُوهَا وَهُمْ يَطْمَعُونَ﴾.

أي: وَنَادَى أَصْحَابُ الْأَعْرَافِ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ لتعلقِ قلوبِهِم بالجنَّةِ، و (أَنْ) تفسيرية أي: قائلين لهم: سَلَامٌ عَلَيْكُمْ، لَمْ يَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَهُمْ يَطْمَعُونَ أن يمنَّ الله عليهم بدخولها مع الداخلين.

﴿وَإِذَا صُرِفَتْ أَبْصَارُهُمْ تِلْقَاءَ أَصْحَابِ النَّارِ قَالُوا رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾.

قَالَ الْوَاحِدِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: التِّلْقَاءُ جِهَةُ اللِّقَاءِ وَهِيَ جِهَةُ الْمُقَابَلَةِ؛ أي: وَإِذَا حُوِّلَتْ أَبْصَارُهُمْ إِلَى الْجِهَةِ الَّتِي تَلْقَى أَصْحَابَ النَّارِ وَتُبْصِرُهُمْ فِيهَا تَضَرَّعُوا إِلَى اللَّهِ تَعَالَى أَلَّا يَجْعَلَهُمْ معهم، وألَّا يُدخِلَهُم في زُمْرَتِهِمْ.

والتعبير بـ ﴿صُرِفَتْ أَبْصَارُهُمْ﴾، المبني للمفعولِ يدلُّ على شدةِ تعلقِ أبصارِهِم بأصحابِ الجنَّةِ، وكراهيةِ رُؤْيَةِ أَصْحَابِ النَّارِ، ولكنهم يسترقون النظرَ لأهلِ النَّارِ بين الفينةِ والفينةِ خوفًا من أن يصيبهم ما أصابهم.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿وَنَادَى أَصْحَابُ الْأَعْرَافِ رِجَالًا يَعْرِفُونَهُمْ بِسِيمَاهُمْ قَالُوا مَا أَغْنَى عَنْكُمْ جَمْعُكُمْ وَمَا كُنْتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ (٤٨) أَهَؤُلَاءِ الَّذِينَ أَقْسَمْتُمْ لَا يَنَالُهُمُ اللَّهُ بِرَحْمَةٍ ادْخُلُوا الْجَنَّةَ لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمْ وَلَا أَنْتُمْ تَحْزَنُونَ﴾. سُورَةُ الْأَعْرَافِ: الآية/ ٤٨، ٤٩

يخبرُ اللَّهُ تَعَالَى عَن خِطَابِ أَصْحَابِ الْأَعْرَافِ لِرِجَالٍ مِنْ قَادَةِ الْمُشْرِكِينَ، ورُؤسائِهم الذين اشتهروا بين الناس في الدنيا بمعاداة دين الله تعالى ومحاربةِ أوليائه والاستكبار عن الانقياد للحق، فقالوا لهم على سبيل التقريع والتوبيخ والتبكيت: ﴿مَا أَغْنَى عَنْكُمْ جَمْعُكُمْ وَمَا كُنْتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ﴾، أي: أين جموعكم الذين كنتم تتعززون بهم في الدنيا؟

أين أموالكم التي كنتم تدفعون بها الحق، وتعتدون بها على الخلق؟

وأين جندكم الذين كنتم تحتمون بهم حال محاربتكم للحق، ونصرة الباطل والشرّ؟

لم يغنوا عنكم من بطش الله شيئًا حين نزل بساحتكم.

﴿أَهَؤُلَاءِ الَّذِينَ أَقْسَمْتُمْ لَا يَنَالُهُمُ اللَّهُ بِرَحْمَةٍ﴾.

اختلف المفسرون في قوله تعالى: ﴿أَهَؤُلَاءِ الَّذِينَ أَقْسَمْتُمْ.....﴾، هل هو من كلام الله تعالى يخاطب به أهل النار، أو هو خطاب أصحاب الأعراف لأهل النار؟

وكان المشركون يقسمون بالله جهد أيمانهم على ضلالِ المستضعفين من المؤمنين، وأنهم أبعد الناس عن رحمة الله تعالى؛ كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ أَجْرَمُوا كَانُوا مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا يَضْحَكُونَ (٢٩) وَإِذَا مَرُّوا بِهِمْ يَتَغَامَزُونَ (٣٠) وَإِذَا انْقَلَبُوا إِلَى أَهْلِهِمُ انْقَلَبُوا فَكِهِينَ (٣١) وَإِذَا رَأَوْهُمْ قَالُوا إِنَّ هَؤُلَاءِ لَضَالُّونَ﴾ [الْمُطَفِّفِينَ: ٢٩- ٣٢]، وقَالَ تَعَالَى: ﴿وَكَذَلِكَ فَتَنَّا بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لِيَقُولُوا أَهَؤُلَاءِ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنْ بَيْنِنَا أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَعْلَمَ بِالشَّاكِرِينَ﴾ [الْأَنْعَامِ: ٥٣]، ويتكرر ذلك في كل عصر ومصر، فيوصف من يتمسكون بدينهم ويلتزمون شرع الله

www.alukah.net
شبكة الألوكة

تعالى بأنهم فئة ضالة، وأنهم ظلاميون، ورجعيون، وغير ذلك من الصفات التي تنفر الناس عنهم وعن دين الله الذين يعتنقونه؛ كما قال قوم نوح له: ﴿أَنُؤْمِنُ لَكَ وَاتَّبَعَكَ الأَرْذَلُونَ﴾.[1]

﴿ادْخُلُوا الْجَنَّةَ لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمْ وَلَا أَنْتُمْ تَحْزَنُونَ﴾.

على القول بأنه خطابٌ من الله لأهل الأعراف، فهو دليلٌ على أن أصحاب الأعراف من أهل الجنة؛ قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: إِنَّ اللَّهَ أَدْخَلَ أَصْحَابَ الْأَعْرَافِ الْجَنَّةَ لِقَوْلِهِ: ﴿ادْخُلُوا الْجَنَّةَ لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمْ وَلَا أَنْتُمْ تَحْزَنُونَ﴾.

وعلى القول بأنه خطابُ أصحابِ الأعراف لأهل النار، فيحمل على أنهم رأوا أولئك المستضعفين من المؤمنين وهم يدخلون الجنة، ويكون قولهم: ﴿لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمْ وَلَا أَنْتُمْ تَحْزَنُونَ﴾، بما علموه من نصوص الشرع ومن ذلك ما ثبت عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " يُؤْتَى بِأَنْعَمِ أَهْلِ الدُّنْيَا مِنْ أَهْلِ النَّارِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَيُصْبَغُ فِي النَّارِ صَبْغَةً، ثُمَّ يُقَالُ: يَا ابْنَ آدَمَ هَلْ رَأَيْتَ خَيْرًا قَطُّ؟ هَلْ مَرَّ بِكَ نَعِيمٌ قَطُّ؟ فَيَقُولُ: لَا، وَاللهِ يَا رَبِّ وَيُؤْتَى بِأَشَدِّ النَّاسِ بُؤْسًا فِي الدُّنْيَا، مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ، فَيُصْبَغُ صَبْغَةً فِي الْجَنَّةِ، فَيُقَالُ لَهُ: يَا ابْنَ آدَمَ هَلْ رَأَيْتَ بُؤْسًا قَطُّ؟ هَلْ مَرَّ بِكَ شِدَّةٌ قَطُّ؟ فَيَقُولُ: لَا، وَاللهِ يَا رَبِّ مَا مَرَّ بِي بُؤْسٌ قَطُّ، وَلَا رَأَيْتُ شِدَّةً قَطُّ".[2]

وَعَنْ أَبِي مِجْلَزٍ، قَالَ: نَادَتِ الْمَلَائِكَةُ رِجَالًا فِي النَّارِ يَعْرِفُونَهُمْ بِسِيمَاهُمْ: مَا أَغْنَى عَنْكُمْ جَمْعُكُمْ وَمَا كُنْتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ، أَهَؤُلَاءِ الَّذِينَ أَقْسَمْتُمْ لَا يَنَالُهُمُ اللَّهُ بِرَحْمَةٍ؟ قَالَ: فَهَذَا حِينَ يَدْخُلُ أَهْلُ الْجَنَّةِ الْجَنَّةَ، ادْخُلُوا الْجَنَّةَ لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمْ وَلَا أَنْتُمْ تَحْزَنُونَ.

---

١ – سورة الشُّعَرَاءِ: الآية/ ١١١

٢ – رواه مسلم– كِتَابُ صِفَةِ الْقِيَامَةِ وَالْجَنَّةِ وَالنَّارِ، بَابُ صَبْغِ أَنْعَمِ أَهْلِ الدُّنْيَا فِي النَّارِ وَصَبْغِ أَشَدِّهِمْ بُؤْسًا فِي الْجَنَّةِ، حديث رقم: ٢٨٠٧

www.alukah.net
شبكة الألوكة

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿وَنَادَى أَصْحَابُ النَّارِ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ أَنْ أَفِيضُوا عَلَيْنَا مِنَ الْمَاءِ أَوْ مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ حَرَّمَهُمَا عَلَى الْكَافِرِينَ (٥٠) الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَهُمْ لَهْوًا وَلَعِبًا وَغَرَّتْهُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا فَالْيَوْمَ نَنْسَاهُمْ كَمَا نَسُوا لِقَاءَ يَوْمِهِمْ هَذَا وَمَا كَانُوا بِآيَاتِنَا يَجْحَدُونَ﴾. سُورَةُ الْأَعْرَافِ: الآية/ ٥٠، ٥١

ثُمَّ أَخْبَرَ اللهُ تَعَالَى عن حَالِ أهلِ النَّارِ وعَنِ اسْتِغَاثَتِهِم بِأَهْلِ الْجَنَّةِ عِنْدَ نُزُولِ الْبَلَاءِ بِهِمْ مِنِ احتِراقِ أجسَادِهِم وشِدَّةِ الْجُوعِ وَالْعَطَشِ، فقال: ﴿وَنَادَى أَصْحَابُ النَّارِ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ﴾. بَعْدَمَا دَخَلَ أهلُ النَّارِ النَّارَ، وَدَخَلَ أهلُ الْجَنَّةِ الْجَنَّةَ، نَادَوا أَصْحَابَ الْجَنَّةِ وهم يَرَونَهم يَتَنَعَّمُونَ فِيهَا: ﴿أَنْ أَفِيضُوا عَلَيْنَا مِنَ الْمَاءِ أَوْ مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ﴾، (أَنْ) تفسيرية، أي: بأنْ قالوا لهم: ﴿أَفِيضُوا عَلَيْنَا مِنَ الْمَاءِ﴾، الْإِفَاضَةُ: التَّوْسِعَةُ، يُقَالُ: أَفَاضَ عَلَيْهِ نِعَمَهُ، إذا وسَّعَ عليه، ﴿أَوْ مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ﴾، الْمُرَادُ بِالرِّزْقِ الطَّعَامُ، قَالَ السُّدِّي: ﴿وَنَادَى أَصْحَابُ النَّارِ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ أَنْ أَفِيضُوا عَلَيْنَا مِنَ الْمَاءِ أَوْ مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ﴾، يَعْنِي: الطَّعَامَ. وَقَالَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ زَيْدِ بْنِ أَسْلَمَ: يَسْتَطْعِمُونَهُمْ وَيَسْتَسْقُونَهُمْ.

عَنْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ فِي هَذِهِ الْآيَةِ قَالَ: يُنَادِي الرَّجُلُ أَبَاهُ أَوْ أَخَاهُ فَيَقُولُ: قَدِ احْتَرَقْتُ، أَفِضْ عَلَيَّ مِنَ الْمَاءِ. فَيُقَالُ لَهُمْ: أَجِيبُوهُمْ. فَيَقُولُونَ: ﴿إِنَّ اللَّهَ حَرَّمَهُمَا عَلَى الْكَافِرِينَ﴾.

وقَدَّمُوا الماءَ لأنَّ حَاجَتَهُم إليهِ أَشَدُّ؛ لِاحْتِرَاقِ بَوَاطِنِهِمْ مِنْ شِدَّةِ حَرِّ جَهَنَّمَ.

﴿قَالُوا إِنَّ اللَّهَ حَرَّمَهُمَا عَلَى الْكَافِرِينَ﴾.

فقال أهل الجنة لأهل النارِ إِنَّ اللَّهَ حَرَّمَ طَعَامَ الْجَنَّةِ وَشَرَابَهَا على أهلِ النَّارِ، ومنعهما عنهم لكفرِهِم باللهِ تعالى، وتكذِيبِهِم لرُسُلِهِ عليهِمُ السَّلامُ، والْحَرَامُ لُغَةً: الْمَمْنُوعُ.

قَالَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ زَيْدِ بْنِ أَسْلَمَ: طَعَامُ أَهْلِ الْجَنَّةِ وَشَرَابُهَا.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

﴿الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَهُمْ لَهْوًا وَلَعِبًا﴾.

ثُمَّ وَصَفَ اللهُ تَعَالَى هَؤُلَاءِ الْكُفَّارَ بِأَنَّهُمُ اتَّخَذُوا دِينَهُمْ لَهْوًا وَلَعِبًا؛ أي: اتَّخَذُوا اللَّهْوَ وَاللَّعِبَ دِينًا؛ كما قالَ تَعَالَى: ﴿وَمَا كَانَ صَلَاتُهُمْ عِنْدَ الْبَيْتِ إِلَّا مُكَاءً وَتَصْدِيَةً﴾.[1]

﴿وَغَرَّتْهُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا﴾.

أي: وَغَرَّتْهُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا بِشَهَوَاتِهَا وَلِذَّاتِهَا فَكَانَ كُلُّ هَمِّهِمُ التَّمَتُّعَ بِمَا فيها مِنَ الملذَاتِ والشَّهواتِ.

﴿فَالْيَوْمَ نَنْسَاهُمْ كَمَا نَسُوا لِقَاءَ يَوْمِهِمْ هَذَا﴾.

النِّسْيَانَ لُغةً: التَّرْكُ؛ أي: فَالْيَوْمَ نَتْرُكُهُمْ فِي عَذَابِهِمْ كَمَا تَرَكُوا الْعَمَلَ لِلِقَاءِ يَوْمِهِمْ هَذَا، والجزاءُ من جِنْسِ العملِ، وَفِي الصَّحِيحِ أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى يَقُولُ لِلْعَبْدِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ: "أَيْ فُلْ أَلَمْ أُكْرِمْكَ، وَأُسَوِّدْكَ، وَأُزَوِّجْكَ، وَأُسَخِّرْ لَكَ الْخَيْلَ وَالْإِبِلَ، وَأَذَرْكَ تَرْأَسُ وَتَرْبَعُ؟ فَيَقُولُ: بَلَى، قَالَ: فَيَقُولُ: أَفَظَنَنْتَ أَنَّكَ مُلَاقِيَّ؟ فَيَقُولُ: لَا، فَيَقُولُ: فَإِنِّي أَنْسَاكَ كَمَا نَسِيتَنِي".[2]

قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: نَتْرُكُهُمْ، كَمَا تَرَكُوا لِقَاءَ يَوْمِهِمْ هَذَا. وَقَالَ مُجَاهِدٌ: نَتْرُكُهُمْ فِي النَّارِ.

وَقَالَ السُّدِّي: نَتْرُكُهُمْ مِنَ الرَّحْمَةِ، كَمَا تَرَكُوا أَنْ يَعْمَلُوا لِلِقَاءِ يَوْمِهِمْ هَذَا.

وقيلَ: ﴿فَالْيَوْمَ نَنْسَاهُمْ﴾ أَيْ: نُعَامِلُهُمْ مُعَامَلَةَ مَنْ نَسيهم.

﴿وَمَا كَانُوا بِآيَاتِنَا يَجْحَدُونَ﴾.

أي: نَتْرُكُهُمْ فِي العَذَابِ كَمَا كَانُوا يُكَذِّبُونَ بِآيَاتِ اللهِ وَلَا يُصَدِّقُونَ بِشَيْءٍ مِنْها.

---

١ - سُورةُ الأنفالِ: الآية/ ٣٥

٢ - رواه مسلم- كِتَابُ الزُّهْدِ وَالرَّقَائِقِ، حديث رقم: ٢٩٦٨

www.alukah.net
شبكة الألوكة

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿وَلَقَدْ جِئْنَاهُمْ بِكِتَابٍ فَصَّلْنَاهُ عَلَى عِلْمٍ هُدًى وَرَحْمَةً لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾. سُورَةُ الْأَعْرَافِ: الآية/ ٥٢

مناسبة الآيات لما قبلها:

لما قص الله تبارك وتعالى ما كان بين أَهْلِ الْجَنَّةِ وَأَهْلِ النَّارِ وَأَهْلِ الْأَعْرَافِ بيَّنَ تبارك وتعالى هنا العلة التي من أجلها حقَّتْ كلمة العذاب على أهل النار، وهي كفرهم بالله تعالى وتكذيبهم لرسله عليهم السلام ومنهم رسول الله محمد صلى الله عليه وسلم، وأعراضهم عن كتاب الله تعالى، الذي جعله الله تعالى هدى ورحمة للمؤمنين.

﴿وَلَقَدْ جِئْنَاهُمْ بِكِتَابٍ فَصَّلْنَاهُ عَلَى عِلْمٍ هُدًى وَرَحْمَةً لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾.

اللام في قوله: ﴿وَلَقَدْ﴾، هي لام القسم؛ وَتَنْكِيرُ (كِتَابٍ) للتَعْظِيمُ؛ أي: أُقْسِمُ لَقَدْ جِئْنَا هَؤُلَاءِ الْكُفَّارَ بِكِتَابٍ عظيمٍ هُو الْقُرْآنَ أَنْزَلْنَاه إِلَيْهِمْ مُفَصَّلًا؛ أي: مُبَيَّنًا، بَيَّنَّا فِيهِ الْحَقُّ مِنَ الْبَاطِلِ؛ كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿وَهُوَ الَّذِي أَنزلَ إِلَيْكُمُ الْكِتَابَ مُفَصَّلا﴾ [الأنعام: ١١٤]، ﴿عَلَى عِلْمٍ﴾؛ أي: عَلَى عِلْمٍ مِنَّا بِمَا فَصَّلْنَاهُ فِيهِ؛ كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿لَكِنِ اللَّهُ يَشْهَدُ بِمَا أَنزلَ إِلَيْكَ أَنزلَهُ بِعِلْمِهِ﴾.[1]

﴿هُدًى وَرَحْمَةً لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾.

أَيْ: جِئْنَاهُمْ بِهِ حالَ كونه هَادِيًا وَذَا رَحْمَةٍ لِلْمُؤْمِنِينَ؛ وَخَصَّ الْمُؤْمِنِينَ بالذكرِ لأنهم هم الذين ينتفعون به؛ كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿وَنُنزلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الْإِسْرَاءِ: ٨٢]، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ آمَنُوا هُدًى وَشِفَاءٌ﴾.[2]

١ - سُورَةُ النِّسَاءِ: الآية/ ١٦٦

٢ - سُورَةُ فُصِّلَتْ: الآية/ ٤٤

www.alukah.net
شبكة الألوكة

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا تَأْوِيلَهُ يَوْمَ يَأْتِي تَأْوِيلُهُ يَقُولُ الَّذِينَ نَسُوهُ مِنْ قَبْلُ قَدْ جَاءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِالْحَقِّ فَهَلْ لَنَا مِنْ شُفَعَاءَ فَيَشْفَعُوا لَنَا أَوْ نُرَدُّ فَنَعْمَلَ غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ قَدْ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ﴾. سُورَةُ الْأَعْرَافِ: الآية/ ٥٣

قَدَّمنَا أَنَّ التَّأْوِيلَ يُطْلَقُ عَلَى معانٍ ثلاثةٍ، عند تَفْسِيرِ قَولِهِ تَعَالَى: ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ﴾ [آلِ عِمْرَانَ: ٧]، وَالْمُرَادُ بِهِ هُنا مَا يَصِيرُ إِلَيْهِ الْأَمْرُ حقيقةً؛ و (يَنْظُرُونَ) أَيْ: يَنْتَظِرُونَ، فيكون المعنى: هَلْ يَنْتَظِرُ هَؤُلَاءِ الْمُشْرِكُونَ الَّذِينَ جَحَدُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وكَذَّبُوا رَسُولَهُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، إِلَّا مَا يَئُولُ إِلَيْهِ أَمْرُهُمْ مِنْ وُرُودِهِمْ عَلَى اللَّهِ مع كفرهم به وتَكْذِيبِهِمْ لرَسُولِهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

عَنْ قَتَادَةُ: ﴿هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا تَأْوِيلَهُ يَوْمَ يَأْتِي تَأْوِيلُهُ﴾ قَالَ: تَأْوِيلُهُ: عَاقِبَتُهُ، وجَزَاءُ تَكْذِيبِهِمْ بِالْكِتَابِ.

﴿يَوْمَ يَأْتِي تَأْوِيلُهُ يَقُولُ الَّذِينَ نَسُوهُ مِنْ قَبْلُ قَدْ جَاءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِالْحَقِّ فَهَلْ لَنَا مِنْ شُفَعَاءَ فَيَشْفَعُوا لَنَا أَوْ نُرَدُّ فَنَعْمَلَ غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ﴾.

يَوْمَ يتحققُ ما تَوَعَدَهُم اللهُ تعالى به والمرادُ به يَوْم الْقِيَامَةِ، يَقُولُ الَّذِينَ أَعْرَضُوا عَنِ الإيمانِ باللهِ تعالى، وتَرَكُوا الْعَمَلَ بِمَا أُمِرُوا بِهِ، وَتَنَاسَوْا لقاءَ اللهِ تعالى فِي الدُّنْيَا: ﴿قَدْ جَاءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِالْحَقِّ﴾، أقروا بصدقِ الرسلِ، وندموا على تكذيبهم ولات حين مندم.

﴿فَهَلْ لَنَا مِنْ شُفَعَاءَ فَيَشْفَعُوا لَنَا أَوْ نُرَدُّ فَنَعْمَلَ غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ﴾.

استفهامٌ فيهِ معنى التمنّي، أي: فهل يشفع لنا اليوم بين الله تعالى شُفَعَاءَ؟ أو هل من سبيل للرجوع إلى الدنيا فَنَعْمَلَ صالحًا غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ؟ وهذه الآية كقَولِ الله تعالى عَنْ أَهْلِ النَّارِ: ﴿فَمَا لَنَا مِنْ شَافِعِينَ (١٠٠) وَلَا صَدِيقٍ حَمِيمٍ (١٠١) فَلَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾.[١]

١ - سُورَةُ الشُّعَرَاءِ: الآية/ ١٠٠- ١٠٢

www.alukah.net
شبكة الألوكة

﴿قَدْ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ﴾.

قَدْ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ بما أوجبوا لها من الهلاك وأسبابِ العَذَابِ، وغابَ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ فَلَا يَشْفَعُونَ لَهُمْ وَلَا يُنْقِذُونَهُمْ مِمَّا هُمْ فِيهِ من العَذَابِ.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَثِيثًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٍ بِأَمْرِهِ أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾. سُورَةُ الْأَعْرَافِ: الآية/ ٥٤

مناسبة الآية لما قبلها:

لما بين الله تعالى حال المشركين في أرض المحشر، ووصف سبحانه وتعالى مع يعتريهم من الندم، وما يغشاهم الذلِّ، وما أصابهم من الحيرة حين ضلت عنهم معبوداتهم، بقوله: ﴿وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ﴾. [الْأَعْرَافِ: ٥٣]، ذكر الله تعالى هنا أنه الرب الجليل الأكبر، وأن من دلائل توحيده تعالى أنه الخالقُ البارئُ المصورُ، وأن من براهين ربوبيته، وآيات أُلُوهِيَّتِهِ أنه هو الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ.

﴿إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ﴾.

يخبر الله تعالى العباد جميعًا بأنه المستحق للعبادة وحده دون سواه لأنه هو الذي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وهذا أظهر دليل على استحقاقه تعالى وحده للعبادة؛ كما قال تعالى: ﴿أَفَمَنْ يَخْلُقُ كَمَنْ لَا يَخْلُقُ أَفَلا تَذَكَّرُونَ﴾ [النَّحْلِ: ١٧]، وقال تعالى عن معبوداتهم الباطلة: ﴿أَيُشْرِكُونَ مَا لَا يَخْلُقُ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ﴾ [الأعراف: ١٩١]، فمن دلائل التوحيد دليل الخلق والتكوين، وأنه تعالى خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ، وَلَوْ أَرَادَ خَلْقَهَا فِي لَحْظَةٍ لَفَعَلَ، واختلف في تلك الأيام فقيل: ﴿فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ﴾ مِنْ أَيَّامِ الْآخِرَةِ، كُلَّ يَوْمٍ أَلْفَ سَنَةٍ، لِتَفْخِيمِ خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ، وَقِيلَ: ﴿فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ﴾ مِنْ أَيَّامِ الدُّنْيَا.

وَتلك الْأَيَّامُ هِيَ: الْأَحَدُ، وَالِاثْنَيْنُ، وَالثُّلَاثَاءُ، وَالْأَرْبِعَاءُ، وَالْخَمِيسُ، وَالْجُمُعَةُ، وَفِيهِ اجْتَمَعَ الْخَلْقُ كُلُّهُ، وَفِيهِ خُلِقَ آدَمُ، عَلَيْهِ السَّلَامُ.

وَقِيلَ: خَلَقَ اللهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ لِيُعَلِّمَ الْعِبَادَ الرِّفْقَ وَالتَّثَبُّتَ فِي الْأُمُورِ.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

قوله تعالى: ﴿ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ﴾،

ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ استِوَاءً يليقُ بذاتِهِ تَعَالَى مِنْ غَيْرِ تَكْيِيفٍ ولا تَحْرِيفٍ وَلَا تَشْبِيهٍ وَلَا تَعْطِيلٍ، وهَذَا هُو اعتقادُ سَلَفِ هذِهِ الأُمَّةِ.

وَقَالَ الْإِمَامُ مَالِكٌ رَحِمَهُ اللَّهُ، لَمَّا سُئِلَ عَنْ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ﴾، كَيْفَ اسْتَوَى؟ فَقَالَ: الِاسْتِوَاءُ مَعْلُومٌ وَالْكَيْفُ مَجْهُولٌ.

وَقَالَ نُعَيْمُ بْنُ حَمَّادٍ الْخُزَاعِيُّ شَيْخُ الْبُخَارِيِّ: مَنْ شَبَّهَ اللَّهَ بِخَلْقِهِ فَقَدْ كَفَرَ، وَمَنْ جَحَدَ مَا وَصَفَ اللَّهُ بِهِ نَفْسَهُ فَقَدْ كَفَرَ، وَلَيْسَ مَا وَصَفَ اللَّهُ بِهِ نَفْسَهُ وَلَا مَا وَصَفَهُ بِهِ رَسُولُهُ تَشْبِيهًا.

﴿يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَثِيثًا﴾.

وَالتَّغْشِيَةُ وَالْإِغْشَاءُ: إِلْبَاسُ الشَّيْءِ الشَّيْءَ، وَالغِشَاءُ: الغِطاءُ يقالُ: غَشَّيْت الشيءَ تَغْشِيَةً إذا غَطَّيْته، وغِشَاءُ كلِّ شيءٍ: مَا تَغَشَّاه؛ وَالْغَشْيُ مُسْتَعَارٌ للإِخفَاءِ، فيُذْهِبُ ظَلَامُ اللَّيْلِ ضِيَاءَ النَّهَارِ، وَيُذْهِبُ ضِيَاءُ النَّهَارِ ظَلَامَ اللَّيْلِ، وَكُلٌّ مِنْهُمَا يَطْلُبُ الْآخَرَ طَلَبًا حَثِيثًا، أَيْ: طَلَبًا سَرِيعًا دَائِمًا مِنْ غَيْرِ فُتُورٍ، فإِذَا ذَهَبَ هَذَا جَاءَ هَذَا، وَإِذَا جَاءَ هَذَا ذَهَبَ هَذَا، وَالْحَثُّ: الْإِعْجَالُ وَالسُّرْعَةُ.

﴿وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٍ بِأَمْرِهِ﴾.

أي: وَخَلَقَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ، وكُلُّهَا مُسَخَّرَاتٍ بِأَمْرِهِ، وتَجْرِي بمَشِيئَتِهِ، وَتَحْتَ قَهْرِهِ وَسُلطَانِهِ.

﴿أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ﴾.

أي: لهُ سائرُ الْمَخْلُوقَاتِ لا خالقَ لها سواهُ، وَلهُ الْأَمْرُ وهُو كَلَامُهُ أَزَلِيٌّ الَّذِي هُوَ غَيْرُ مَخْلُوقٍ، فلَهُ الْمُلْكُ وَالتَّصَرُّفُ، واستدل العلماء بهذه الآية عَلَى فَسَادِ قَوْلِ مَنْ قَالَ بِخَلْقِ الْقُرْآنِ؛ قَالَ ابْنُ عُيَيْنَةَ: فَرَّقَ بَيْنَ الْخَلْقِ وَالْأَمْرِ، فمَنْ جَمَعَ بينهما فقد كَفَرَ.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

والتنبيه بـ (ألا) وَتقديم لَامِ الْجَارِ لبيانِ قَصْرِ جِنْسِ الْخَلْقِ وَجِنْسِ الْأَمْرِ عَلَى اللَّهِ تَعَالَى، فَلَيْسَ لِغَيْرِهِ مِنَ الْخَلْقِ وَلَا مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ.

﴿تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾.

تَبَارَكَ: تفاعل من البركةِ؛ أَيْ: ظَهَرَتْ وكثرتْ بَرَكَتُهُ تعالى، وَاتْبَاعُ اسْمِ الْجَلَالَةِ بِوَصْفِ رَبِّ الْعالَمِينَ؛ لِأَنَّهُ مُدَبِّرُ أَحْوَالِ الْعَالَمِينَ، والمنعمُ عليهم بالخلقِ والرزقِ والتدبيرِ.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ﴾. سُورَةُ الْأَعْرَافِ: الآية/ ٥٥

مناسبة الآية لما قبلها:

لَمَّا ذَكَرَ اللهُ تَعَالَى أَنَّه هُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ وأَنَّهُ تَعَالَى لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ، وذَكَرَ تَعَالَى الدَّلَائِلَ الدَّالَّةَ عَلَى كَمَالِ قُدْرَتِهِ، وهَذَا دليلُ رُبُوبِيَّتِهِ، أَمَرَ تَعَالَى العِبَادَ بدُعَائِهِ وحْدَهَ ليُحَقِّقُوا توحيدَ الأُلوهيةِ، فيكون الأمر بالدعاء كالنتيجة لدليلِ الخَلْقِ والإيجَادِ؛ كما قالَ تَعَالَى: ﴿اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ قَرَارًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ وَرَزَقَكُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ فَتَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ هُوَ الْحَيُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾. سُورَةُ غَافِرٍ: الآية/ ٦٥

﴿ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً﴾.

لما كان الدُّعَاءُ أظهرَ صُورِ العِبَادَةِ؛ لأَنَّهُ تَوَجُّهِ الْقَلْبِ بالطَّلَبِ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى، والرَّغبةِ فيما عنده؛ كما ثَبَتَ عَنِ النُّعْمَانِ بْنِ بَشِيرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: سَمِعْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: الدُّعَاءُ هُوَ العِبَادَةُ ثُمَّ قَرَأَ: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾.[1]

أَمَرَ اللهُ تَعَالَى العِبَادَ بِهِ، وَأَمَرَهُم اللهُ تَعَالَى بالتَّضَرُّعِ وهُوَ تَفَعُّلٌ مِنَ الضَّرَاعَةِ لِإِظْهَارِ التَّذَلُّلِ والمُبَالَغَةِ فِيه، وَأَمَرَهُم بِإِخْفَائِهِ وَإِسْرَارِهِ؛ ليكونَ أقربَ للإخلاصِ وأدعى لتحقيق العبودية له تعالى؛ لأَنَّهُ دُعَاءُ مَسْأَلَةٍ، وهُوَ مُتَضَمِّنٌ لدُعَاءِ الْعِبَادَةِ؛ وذكرُ الربِّ هنا للتنبيه على ما أنعم به على العبادِ من النعم؛ أَيِ: ادْعُوا رَبَّكُمْ وَمُدَبِّرَ أُمُورِكُمْ مُتَذَلِّلِينَ إِلَيْهِ وَمُسْتَخْفِينَ بدُعَائِكُم؛ كما ثبت عَنْ أَبِي مُوسَى الأَشْعَرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: كُنَّا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ

---

١ – رواه أحمد– حديث رقم: ١٨٣٥٢، وأبو داود– كِتَاب الصَّلَاةِ، بَابُ تَفْرِيعِ أَبْوَابِ الْوِتْرِ، بَابُ الدُّعَاءِ، حديث رقم: ١٤٧٩، والترمذي– أَبْوَابُ تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، بَابٌ: وَمِنْ سُورَةِ البَقَرَةِ، حديث رقم: ٢٩٦٩، وابن ماجه– كِتَابُ الدُّعَاءِ، بَابُ فَضْلِ الدُّعَاءِ، حديث رقم: ٣٨٢٨، بسند صحيح

www.alukah.net
شبكة الألوكة

وَسَلَّمَ، فَكُنَّا إِذَا أَشْرَفْنَا عَلَى وَادٍ، هَلَّلْنَا وَكَبَّرْنَا ارْتَفَعَتْ أَصْوَاتُنَا، فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «يَا أَيُّهَا النَّاسُ ارْبَعُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ، فَإِنَّكُمْ لاَ تَدْعُونَ أَصَمَّ وَلاَ غَائِبًا، إِنَّهُ مَعَكُمْ إِنَّهُ سَمِيعٌ قَرِيبٌ، تَبَارَكَ اسْمُهُ وَتَعَالَى جَدُّهُ».[1]

قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ فِي قَوْلِهِ: ﴿تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً﴾. قَالَ: السِّرُّ.

﴿إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ﴾.

أي: لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ فِي الدُّعَاءِ، وَالِاعْتِدَاءُ فِي الدُّعَاءِ مُجَاوَزَةُ الْحَدِّ فِيهِ؛ عَنْ أَبِي نَعَامَةَ، أَنَّ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ مُغَفَّلٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، سَمِعَ ابْنَهُ يَقُولُ: اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ الْقَصْرَ الْأَبْيَضَ، عَنْ يَمِينِ الْجَنَّةِ إِذَا دَخَلْتُهَا، فَقَالَ: أَيْ بُنَيَّ، سَلِ اللَّهَ الْجَنَّةَ، وَتَعَوَّذْ بِهِ مِنَ النَّارِ، فَإِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «إِنَّهُ سَيَكُونُ فِي هَذِهِ الْأُمَّةِ قَوْمٌ يَعْتَدُونَ فِي الطَّهُورِ وَالدُّعَاءِ».[2]

ومن الاعتداء أَنْ يَتَكَلَّفَ السَّجْعَ فِي الدُّعَاءِ؛ فإن حال الداعي ينبغي أن يكون حال استكانة وتضرع والتكلف ينافي الاستكانة والتضرع.

---

١ - رواه البخاري- كِتَابُ الْجِهَادِ وَالسِّيَرِ، بَابُ مَا يُكْرَهُ مِنْ رَفْعِ الصَّوْتِ فِي التَّكْبِيرِ، حديث رقم: ٢٩٩٢، ومسلم- كِتَابُ الذِّكْرِ، وَالدُّعَاءِ، وَالتَّوْبَةِ، وَالِاسْتِغْفَارِ، بَابُ اسْتِحْبَابِ خَفْضِ الصَّوْتِ بِالذِّكْرِ، حديث رقم: ٢٧٠٤

٢ - رواه أحمد- حديث رقم: ١٦٨٠١، وأبو داود- كِتَاب الطَّهَارَةِ، بَابُ الْإِسْرَافِ فِي الْمَاءِ، حديث رقم: ٩٦، وابن ماجه- كِتَابُ الدُّعَاءِ، بَابُ كَرَاهِيَةِ الِاعْتِدَاءِ فِي الدُّعَاءِ، حديث رقم: ٣٨٦٤، والحاكم- حديث رقم: ٥٧٩، بسند صحيح

www.alukah.net
شبكة الألوكة

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا وَادْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِنَ الْمُحْسِنِينَ﴾. سُورَةُ الْأَعْرَافِ: الآية/ ٥٦

مناسبة الآية لما قبلها:

لَمَّا نَهَى اللهُ تَعَالَى عباده عن الاعتداء وحذرهم من مغبة الاتصاف به بقوله: ﴿إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ﴾، ذكر الله تعالى أن من جملةِ الاعتداءِ الْإِفْسَادُ فِي الْأَرْضِ.

﴿وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا﴾.

يَنْهَى اللهُ تَعَالَى العبادَ عَنِ الْإِفْسَادِ فِي الْأَرْضِ نهيًا عامًّا، فيدخل فيه كلُّ إِفْسَادٍ قَلَّ أَوْ كَثُرَ، وأعظمُ إِفْسَادٍ هو الشِّركُ باللهِ تَعَالَى، ومن الْإِفْسَادِ سَفْكُ الدِّمَاءِ المعصومةِ، وأكلِ الْأَمْوَالِ بِالْغَصْبِ وَالسَّرِقَةِ ونَحوِهِمَا، وقتلُ الدوابِّ بغير مصلحةٍ شرعية، وقطعُ الشَّجرِ لغير حاجةٍ، ﴿بَعْدَ إِصْلَاحِهَا﴾، أي: بعد أن جَعَلَهَا اللهُ تعالى طيبةً صالحةً للعيشِ، وبثَّ فِيهَا من كلِ دابةٍ، وَأَنْشَأَ فِيهَا جَنَّاتٍ مَعْرُوشَاتٍ وَغَيْرَ مَعْرُوشَاتٍ، وَأَخْرَجَ فِيهَا مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا للعبادِ؛ كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿وَجَعَلَ فِيها رَواسِيَ مِنْ فَوْقِها وَبارَكَ فِيها وَقَدَّرَ فِيها أَقْواتَها﴾.[1]

وفي قوله تعالى: ﴿بَعْدَ إِصْلَاحِهَا﴾، تشنيعٌ على المفسدين، وقطعٌ لأعذارهم، وأنَّه لا مسوغ لما يفعلونه من الإفسادِ.

﴿وَادْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا﴾.

أَيْ: ادْعُوا رَبَّكُمْ وَجِلِينَ مُشْفِقِينَ وَرَاجِينَ مُؤَمِّلِينَ؛ وَكَرَّرَ الله تعالى الأمرَ بالدعاءِ فَقَالَ فِي الآيةِ السابقةِ: ﴿ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً﴾، وقال هنا: ﴿وَادْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا﴾؛ ليجمعَ العبادُ بين أَفْعَالِ الْجَوَارِحِ وَأَفْعَالِ الْقُلُوبِ؛ فإنَّ التَّضَرُّعَ وَإِخْفَاءَ الصَّوْتِ مِنْ أَفْعَالِ الْجَوَارِحِ، والخوفَ والطَّمعَ مِنْ أَفْعَالِ الْقُلُوبِ.

---

١ - سورة فصلت: الآية/ ١٠

www.alukah.net
شبكة الألوكة

وفي الآية إرشادٌ للعبادِ أَنْ الْخَوْفَ وَالرَّجَاءَ يجبُ أنْ يَكُونَا مُتَسَاوِيَيْنِ على درجةٍ واحدةٍ كَالْجَنَاحَيْنِ لِلطَّائِرِ، فإذا غلب أحدهما هلك العبدُ.

قَالَ مكحولٌ: مَنْ عَبَدَ اللَّهُ بِالْحُبِّ وَحْدَهُ فَهُوَ زِنْدِيقٌ، وَمَنْ عَبَدَهُ بِالْخَوْفِ وَحْدَهُ فَهُوَ حَرُورِيٌّ، وَمَنْ عَبَدَهُ بِالرَّجَاءِ وَحْدَهُ فَهُوَ مُرْجِئٌ، وَمَنْ عَبَدَهُ بِالْحُبِّ وَالرَّجَاءِ وَالْخَوْفِ فَهُوَ مُؤْمِنٌ مُوَحِّدٌ.

﴿إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِنَ الْمُحْسِنِينَ﴾.

أي: إِنَّ ثَوَابَ اللَّهِ الَّذِي وَعَدَ الْمُحْسِنِينَ عَلَى إِحْسَانِهِمْ فِي الدُّنْيَا قَرِيبٌ مِنْهُمْ، فإنَّ الثواب سببٌ لحصول الرحمة.

وقال تعالى: ﴿إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ﴾، وَلَمْ يَقُلْ قَرِيبَةٌ؛ لأنَّ الرَّحْمَةَ مَصْدَرٌ، وَحَقُّ الْمَصْدَرِ التَّذْكِيرُ، وَقِيلَ: التَّذْكِيرُ عَلَى طَرِيقِ النَّسَبِ أَيْ ذَاتُ قُرْبٍ.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿وَهُوَ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَاحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ حَتَّى إِذَا أَقَلَّتْ سَحَابًا ثِقَالًا سُقْنَاهُ لِبَلَدٍ مَيِّتٍ فَأَنْزَلْنَا بِهِ الْمَاءَ فَأَخْرَجْنَا بِهِ مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ كَذَلِكَ نُخْرِجُ الْمَوْتَى لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾. سُورَةُ الْأَعْرَافِ: الآية/ ٥٧

مناسبة الآية لما قبلها:

لَمَّا أمر الله تعالى العبادَ بدُعَائِهِ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً، وَخَوْفًا وَطَمَعًا، ونهاهم عن الإفساد قي الأرض، نَبَّهَهُم عَلَى أَنَّهُ الرَّزَّاقُ، وأنَّ الخير كله بيديه؛ لأنَّ الإفسادَ في الأرض قد يكون بدافع طلب الرزق.

﴿وَهُوَ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَاحَ بُشْرًا﴾.

تقديم الضمير لتخصيص الحكم؛ و﴿بُشْرًا﴾ جَمْعُ بَشِيرٍ: قراءة عاصم، أي: وَهُوَ وحْدَهُ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَاحَ مبشرةً بِالْمَطَرِ؛ كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ يُرْسِلَ الرِّيَاحَ مُبَشِّرَاتٍ﴾.[1]

وقرأ: نافع، وابن كثير، وأبو عمرو، وأبو جعفر، ويعقوب: ﴿نُشُرًا﴾ بضم النون والشين، على أنه جمع نشور بمعنى ناشر وناشر معناه: محيي، مثل: طهور بمعنى طاهر.

وقرأ: ابن عامر ﴿نُشْرًا﴾ بضم النون، وإسكان الشين، وهي بمعنى قراءة نافع ومن معه.

وقرأ: حمزة، والكسائي، وخلف العاشر: ﴿نَشْرًا﴾ بالنون المفتوحة وإسكان الشين، على أنه مصدر؛ فيكون المعنى: وهو الذي نَشَرَ الرياح نَشْرًا، مِنْ قَوْلِهِمْ أَنْشَرَ اللَّهُ الْمَوْتَى فَنَشَرُوا أَيْ حَيَوْا؛ فيكون المعنى: وهو الذي يرسل الرياح محيية للأرض.

قَالَ أَبُو عُبَيْدَةَ: ﴿نُشُرًا﴾ أي: مُتَفَرِّقَةً فِي الْوُجُوهِ.

---

١ - سُورَةُ الرُّومِ: الآية/ ٤٦

www.alukah.net
شبكة الألوكة

﴿بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ﴾.

أَيْ: بَيْنَ يَدَيِ الْمَطَرِ يعني: أَمَامَهُ، وهي كِنَايةٌ عن القُرْبِ مِنْهُ؛ وهذه الآية كَقَولِهِ تَعَالَى: ﴿وَهُوَ الَّذِي يُنزلُ الْغَيْثَ مِنْ بَعْدِ مَا قَنَطُوا وَيَنْشُرُ رَحْمَتَهُ وَهُوَ الْوَلِيُّ الْحَمِيدُ﴾.[1]

﴿حَتَّى إِذَا أَقَلَّتْ سَحَابًا ثِقَالًا﴾.

أَيْ: حَتَّى إِذَا حَمَلَتِ الرِّيَاحُ سَحَابًا مُثَقَّالًا بالْمَاءِ، يقال: أَقَلَّ فُلَانٌ الشَّيْءَ أي: حَمَلَهُ.

﴿سُقْنَاهُ لِبَلَدٍ مَيِّتٍ﴾.

أَيْ: سُقْنَا هذا السَّحَابُ المُثَقَّلُ بالْمَاءِ لِبَلَدٍ مَيِّتٍ؛ أَيْ: لِأَجْلِ بَلَدٍ مَيِّتٍ، أَيْ: أَرْضٍ مَيِّتَةٍ مُجْدِبَةٍ لَيْسَ فِيهَا نَبَاتٌ، واللَامُ هنا لَامُ الْعِلَّةِ، أَيْ لِأَجْلِ بَلَدٍ مَيِّتٍ؛ كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿وَآيَةٌ لَهُمُ الأَرْضُ الْمَيْتَةُ أَحْيَيْنَاهَا وَأَخْرَجْنَا مِنْهَا حَبًّا فَمِنْهُ يَأْكُلُونَ﴾.[2]

﴿فَأَنْزَلْنَا بِهِ الْمَاءَ﴾.

اخْتَلَفَ العلماءُ فِي الذي يَعُودُ عليه الضَّمِيرُ فِي قَوْلِهِ: ﴿فَأَنْزَلْنَا بِهِ الْمَاءَ﴾. فقِيلَ: يحتملُ أَنْ يَكُونَ: البلدُ فيكون المرادُ: فَأَنْزَلْنَا بِالْبَلَدِ الْمَاءَ، أَيْ: فِيهِ، فَتَكُونُ الْبَاءُ لِلظَّرْفِيَّةِ، وَيحتملُ أَنْ يَكُونَ: السَّحَابُ فيَكُونُ المعنى: فَأَنْزَلْنَا بِالسَّحَابِ الْمَاءَ الْبَاءِ لِلسَّبَبِيَّةِ، لِأَنَّ السَّحَابَ سببُ إِنْزَالِ الْمَاءِ.

﴿فَأَخْرَجْنَا بِهِ مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ﴾.

أي: فَأَخْرَجْنا بِالْمَاءِ مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ؛ لِأَنَّ اللهَ تَعَالَى جعله سببَ الحياةِ، و (مِنْ) هنا بيانيةٌ وَالْمُرَادُ بِ ﴿كُلِّ الثَّمَرَاتِ﴾: جَمِيعُ أَنْوَاعِهَا عَلَى اخْتِلَافِ طُعُومِهَا وَأَلْوَانِهَا وَرَوَائِحِهَا، وهذا باعتبارِ الأَرْضِ كُلِّهَا.

---

١ - سُورةُ الشُّورَى: الآية/ ٢٨

٢ - سورة يس: الآية/ ٣٣

www.alukah.net
شبكة الألوكة

﴿كَذَلِكَ نُخْرِجُ الْمَوْتَى﴾.

أَيْ: مِثْلِ هَذَا الإِحْيَاءِ لِلْأَرْضِ الْمَيْتَةِ، وإِخْرَاجِ أَنْوَاعِ النَّبَاتِ مِنْهَا بِالْمَاءِ نُخْرِجُ الْمَوْتَى من الأجدَاثِ مِنَ الْبَشَرِ وَغَيْرِهِمْ، وهذا أظهر دليل على البعثِ والنشورِ؛ لذلك تكررَ في القرآنِ؛ كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿فَانْظُرْ إِلَى آثَارِ رَحْمَةِ اللَّهِ كَيْفَ يُحْيِي الأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا إِنَّ ذَلِكَ لَمُحْيِي الْمَوْتَى وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾.[1]

﴿لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾.

أَيْ: لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ أنَّ القادرَ على إحياءِ الأرضِ بعد موتها قادرٌ على إحياءِ العبادِ بعد موتهم، وإعادة الأجسادِ بعد فَنَائِها.

١ - سورة الرُّوم: الآية/ ٥٠

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿وَالْبَلَدُ الطَّيِّبُ يَخْرُجُ نَبَاتُهُ بِإِذْنِ رَبِّهِ وَالَّذِي خَبُثَ لَا يَخْرُجُ إِلَّا نَكِدًا كَذَلِكَ نُصَرِّفُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَشْكُرُونَ﴾. سُورَةُ الْأَعْرَافِ: الآية/ ٥٨

هَذَا مَثَلٌ ضَرَبَهُ اللَّهُ لِلْمُؤْمِنِ وَالْكَافِرِ، فَالْبَلَدُ الطَّيِّبُ الَّذِي يَخْرُجُ نَبَاتُهُ بِإِذْنِ رَبِّهِ مَثَلٌ لِلْمُؤْمِنِ، وَالَّذِي خَبُثَ فَلَا يَخْرُجُ نَبَاتُهُ إِلَّا نَكِدًا مَثَلٌ لِلْكَافِرِ، وَلَيْسَ الْمَقْصُودُ مُجَرَّدَ تَفْصِيلِ أَحْوَالِ الْأَرْضِ بَعْدَ نُزُولِ الْمَطَرِ، وَمَعْنَاهُ: الْبَلَدُ الطَّيِّبُ تُرْبَةً الْعَذْبُ ماءً يُخْرِجُ نَبَاتَهُ حَسَنًا وَيُخْرِجُ ثَمَرُهُ طَيِّبًا فِي حِينِهِ، ﴿بِإِذْنِ رَبِّهِ﴾؛ أي: بِتَوْفِيقِهِ تَعَالَى، وَالْبَلَدُ الَّذِي خَبُثَ تُرْبَةً وَمَلِحَ مَاؤُهُ، لَا يَخْرُجُ إِلَّا عَسِرًا، وَالنَّكِدُ: الْعَسِرُ الْمُمْتَنِعُ خَيْرُهُ، قَالَ الرَّاغِبُ: النَّكِدُ كُلُّ شَيْءٍ خَرَجَ إِلَى طَالِبِهِ بِتَعَسُّرٍ.

قَالَ قَتَادَةُ: هَذَا مَثَلٌ ضَرَبَهُ اللَّهُ فِي الْكَافِرِ وَالْمُؤْمِنِ.

عَنْ أَبِي مُوسَى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «مَثَلُ مَا بَعَثَنِي اللَّهُ بِهِ مِنَ الهُدَى وَالعِلْمِ، كَمَثَلِ الغَيْثِ الكَثِيرِ أَصَابَ أَرْضًا، فَكَانَ مِنْهَا نَقِيَّةٌ، قَبِلَتِ المَاءَ، فَأَنْبَتَتِ الكَلَأَ وَالعُشْبَ الكَثِيرَ، وَكَانَتْ مِنْهَا أَجَادِبُ، أَمْسَكَتِ المَاءَ، فَنَفَعَ اللَّهُ بِهَا النَّاسَ، فَشَرِبُوا وَسَقَوْا وَزَرَعُوا، وَأَصَابَتْ مِنْهَا طَائِفَةً أُخْرَى، إِنَّمَا هِيَ قِيعَانٌ لاَ تُمْسِكُ مَاءً وَلاَ تُنْبِتُ كَلَأً، فَذَلِكَ مَثَلُ مَنْ فَقُهَ فِي دِينِ اللَّهِ، وَنَفَعَهُ مَا بَعَثَنِي اللَّهُ بِهِ فَعَلِمَ وَعَلَّمَ، وَمَثَلُ مَنْ لَمْ يَرْفَعْ بِذَلِكَ رَأْسًا، وَلَمْ يَقْبَلْ هُدَى اللَّهِ الَّذِي أُرْسِلْتُ بِهِ».[1]

﴿كَذَلِكَ نُصَرِّفُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَشْكُرُونَ﴾.

أَيْ: مِثْلُ هَذَا التَّصْرِيفِ وَالتَّنْوِيعِ الْبَدِيعِ نُنَوِّعُ الْآيَاتِ وَهِيَ الْحُجَجُ والبَرَاهِينُ الدَّالَّةُ عَلَى وَحْدَانِيَّةِ اللهِ تَعَالَى وَقُدْرَتِهِ الْبَاهِرَةِ، وَحِكْمَتِهِ البَالِغَةِ، لِقَوْمٍ يَشْكُرُونَ نعمَ اللهِ تعالى ويُثْنُونَ بِهَا عليهِ.

---

١ - رواه البخاري- كِتَابُ العِلْمِ، بَابُ فَضْلِ مَنْ عَلِمَ وَعَلَّمَ، حديث رقم: ٧٩، ومسلم- كتاب الْفَضَائِلِ، بَابُ بَيَانِ مَثَلِ مَا بُعِثَ بِهِ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنَ الْهُدَى وَالْعِلْمِ، حديث رقم: ٢٢٨٢

www.alukah.net
شبكة الألوكة

ومن الأساليب البلاغية فِي الآية: الاحْتِبَاكُ فقد ذكرَ الْبَلَدُ الطَّيِّبُ ولَمْ يُذْكَرْ وَصْفُ الطَّيِّبِ بَعْدَ نَبَاتِهِ، وَذُكِرَ فِي مُقَابِلِهِ النَّبَاتُ الْخَبِيثُ وَلَمْ تُذْكَرِ أَرْضُهُ الْخَبِيثَةُ، لِدَلَالَةِ كِلَا الضِّدَّيْنِ عَلَى الْآخَرِ. وَالتَّقْدِيرُ: وَالْبَلَدُ الطَّيِّبُ يَخْرُجُ نَبَاتُهُ طَيِّبًا بِإِذْنِ رَبِّهِ، وَالنَّبَاتُ الَّذِي خَبُثَ يَخْرُجُ نَكِدًا لِخُبْثِ أرضِهِ وفسادِ تُربتِهِ.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ فَقَالَ يَاقَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾. سُورَةُ الْأَعْرَافِ: الآية/ ٥٩

مناسبة الآيات لما قبلها:

قال ابن كثير رحمه الله: لَمَّا ذَكَرَ تَعَالَى قِصَّةَ آدَمَ فِي أَوَّلِ السُّورَةِ، وَمَا يَتَعَلَّقُ بِذَلِكَ وَمَا يَتَّصِلُ بِهِ، وَفَرَغَ مِنْهُ، شَرَعَ تَعَالَى فِي ذِكْرِ قِصَصِ الْأَنْبِيَاءِ، عَلَيْهِمُ السَّلَامُ، الْأَوَّلِ فالأولَ، فَابْتَدَأَ بِذِكْرِ نُوحٍ، عَلَيْهِ السَّلَامُ، فَإِنَّهُ أَوَّلُ رَسُولٍ إِلَى أَهْلِ الْأَرْضِ بَعْدَ آدَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ.

﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ﴾.

قَالَ صَاحِبُ «الْكَشَّافِ»: قَوْلُهُ: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا﴾. جَوَابُ قَسَمٍ مَحْذُوفٍ. أَقْسَمَ اللهُ تَعَالَى أَنَّهُ أَرْسَلَ نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ لِيُنْذِرَهُمْ بَأْسَهُ، وَيُخَوِّفَهُمْ عَذَابَهُ، إذا عَبَدُوا غَيْرَهُ، وَكَانَ بَيْنَ آدَمَ وَنُوحٍ عليهما السلامُ عَشَرَةُ قُرُونٍ كُلُّهُمْ عَلَى التَّوحِيدِ؛ عَنْ أَبِي أُمَامَةَ، أَنَّ رَجُلًا، قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَنَبِيٌّ كَانَ آدَمُ؟ قَالَ: «نَعَمْ، مُكَلَّمٌ»، قَالَ: فَكَمْ كَانَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ نُوحٍ؟ قَالَ: «عَشَرَةُ قُرُونٍ».[1]

عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: «كَانَ بَيْنَ نُوحٍ وَآدَمَ عَشَرَةُ قُرُونٍ كُلُّهُمْ عَلَى شَرِيعَةٍ مِنَ الْحَقِّ، فَاخْتَلَفُوا فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ».[2]

فلما وقع الشركُ وعَبَدَ النَّاسُ الأوثانَ أرسلَ اللهُ تعالى نوحًا عليه السلام، يدعو الناس إلى توحيد الله تعالى ونهاهم عن الشرك بالله؛ وكان سبب شركهم الغلو في الصالحين حتى عبدوهم من دون الله تعالى؛ كما قَالَ تَعَالَى: ﴿وَقَالُوا لَا تَذَرُنَّ آلِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا﴾.[3]

---

١ – رواه ابن حبان– كِتَابُ التَّارِيخِ، بَابُ بَدْءِ الْخَلْقِ، ذِكْرُ الْإِخْبَارِ عَمَّا كَانَ بَيْنَ آدَمَ وَنُوحٍ صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِمَا مِنَ الْقُرُونِ، حديث رقم: ٦١٩٠، بسند صحيح

٢ – رواه الحاكم– كِتَابُ تَوَارِيخِ الْمُتَقَدِّمِينَ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ وَالْمُرْسَلِينَ، ذِكْرُ نُوحٍ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ اخْتَلَفُوا فِي نُوحٍ وَإِدْرِيسَ فَقِيلَ: إِنَّ إِدْرِيسَ قَبْلَهُ، وَأَكْثَرُ الصَّحَابَةِ عَلَى أَنَّ نُوحًا قَبْلَ إِدْرِيسَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِمَا، حديث رقم: ٤٠٠٩، بسند صحيح

٣ – سُورَةُ نوحٍ: الآية/ ٢٣

www.alukah.net
شبكة الألوكة

وَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، «صَارَتِ الأَوْثَانُ الَّتِي كَانَتْ فِي قَوْمِ نُوحٍ فِي العَرَبِ بَعْدُ أَمَّا وَدٌّ كَانَتْ لِكَلْبٍ بِدَوْمَةِ الجَنْدَلِ، وَأَمَّا سُوَاعٌ كَانَتْ لِهُذَيْلٍ، وَأَمَّا يَغُوثُ فَكَانَتْ لِمُرَادٍ، ثُمَّ لِبَنِي غُطَيْفٍ بِالجَوْفِ، عِنْدَ سَبَإٍ، وَأَمَّا يَعُوقُ فَكَانَتْ لِهَمْدَانَ، وَأَمَّا نَسْرٌ فَكَانَتْ لِحِمْيَرَ لِآلِ ذِي الكَلاَعِ، أَسْمَاءُ رِجَالٍ صَالِحِينَ مِنْ قَوْمِ نُوحٍ، فَلَمَّا هَلَكُوا أَوْحَى الشَّيْطَانُ إِلَى قَوْمِهِمْ، أَنِ انْصِبُوا إِلَى مَجَالِسِهِمُ الَّتِي كَانُوا يَجْلِسُونَ أَنْصَابًا وَسَمُّوهَا بِأَسْمَائِهِمْ، فَفَعَلُوا، فَلَمْ تُعْبَدْ، حَتَّى إِذَا هَلَكَ أُولَئِكَ وَتَنَسَّخَ العِلْمُ عُبِدَتْ».[1]

واختلف المفسرون في نسبه عليه السلام وسنه وقت مبعثه، ولا سبيل إلى معرفة ذلك إلا بنصٍ عن المعصوم صلى الله عليه وسلم ولا نص عنه في ذلك، وما أبهمه القرآن فلا فائدة في تعيينه.

﴿فَقَالَ يَاقَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ﴾.

فَقَالَ لهم: يَاقَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ بكمالِ طاعَتِهِ، وكمالِ الذُّلِّ والحُبِّ له، فَلَيْسَ لَكُمْ مَعْبُودٌ يَسْتَوْجِبُ ذلك غَيْرُهُ.

﴿إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾.

أَيْ: إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمِ الْقِيَامَةِ إِذَا لَقِيتُمُ اللَّهَ وَأَنْتُمْ مُشْرِكُونَ بِهِ.

---

١ - رواه البخاري- بَابُ ﴿وَدًّا وَلاَ سُواعًا، وَلاَ يَغُوثَ وَيَعُوقَ﴾ [نوح: ٢٣]، حديث رقم: ٤٩٢٠

www.alukah.net
شبكة الألوكة

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿قَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِهِ إِنَّا لَنَرَاكَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ (٦٠) قَالَ يَاقَوْمِ لَيْسَ بِي ضَلَالَةٌ وَلَكِنِّي رَسُولٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ (٦١) أُبَلِّغُكُمْ رِسَالَاتِ رَبِّي وَأَنْصَحُ لَكُمْ وَأَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾. سُورَةُ الْأَعْرَافِ: الآية/ ٦٠- ٦٢

الْمَلَأُ: هُمُ الْجَمَاعَةُ مِنَ الرِّجَالِ لَا امْرَأَةَ فِيهِمْ، وقيلَ لهم: (الْمَلَأُ)؛ لأنّهم يمالِىء بَعْضُهُمْ بَعْضًا،

أَيْ: يُعَاوِنُ بَعْضُهُمْ بَعْضًا وَيُوَافِقُهُ، وقيل: لأنّهم يَمْلَؤونَ صُدُورَ الْمَجَالِسِ وَتَمْتَلِئُ الْقُلُوبُ مِنْ هَيْبَتِهِمْ، وَتَمْتَلِئُ الْأَبْصَارُ مِنْ رُؤْيَتِهِمْ، وَتَتَوَجَّهُ الْعُيُونُ فِي الْمَحَافِلِ إِلَيْهِمْ.

أَيِ: قَالَ الْكُبَرَاءُ وَالسَّادَةُ مِنْهُمْ: ﴿إِنَّا لَنَرَاكَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾، الرُّؤْيَةُ هنا مَعْنَاها الِاعْتِقَادُ وَالْعِلْمُ لأنها الرُّؤْيَةُ القَلْبِيَّةُ؛ أَيْ: إِنَّا لَنُوقِنُ أَنَّكَ فِي فِي خَطَأٍ ظَاهِرٍ وَضَلَالٍ بَيِّنٍ واضحٍ.

وقولهم: ﴿فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾، مبالغةٌ في القَدْحِ والذَّمِّ والتَّكذِيبِ، حيثُ جَعَلُوه مُنْغَمِسًا فِي الضَّلَالِ.

﴿قَالَ يَاقَوْمِ لَيْسَ بِي ضَلَالَةٌ وَلَكِنِّي رَسُولٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾.

ولَمَّا بَالَغَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِهِ فِي ذمه وتكذيبه بالغَ نوح عليه السلام في نفي التهمةِ عن نفسه، فَقَالَ: ﴿يَاقَوْمِ لَيْسَ بِي ضَلَالَةٌ﴾. أَيْ: لَيْسَ بِي أيُّ نَوْعٍ مِنْ أَنْوَاعِ الضَّلَالِ الْبَتَّةَ، وهَذَا أَبْلَغُ فِي عُمُومِ السَّلْبِ، من قول: لست في ضلالٍ.

﴿وَلَكِنِّي رَسُولٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾.

ثُمَّ وَصَفَ نَفْسَهُ بِأَشْرَفِ الصِّفَاتِ وَأَجَلِّهَا، وَهُوَ أَنَّهُ رَسُولٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ، اصْطَفَاهُ اللهُ تعالى على العِبَادِ واخْتَصَّهُ بالرِّسَالةِ.

﴿أُبَلِّغُكُمْ رِسَالَاتِ رَبِّي وَأَنْصَحُ لَكُمْ﴾.

ولما وَصَفَ لهم نَفْسَهُ بينَ لهم الغاية من بعثته إليهم، فقال: ﴿أُبَلِّغُكُمْ رِسَالَاتِ رَبِّي﴾، أي: أُبَلِّغُكُمْ أوامرَ اللهِ تعالى ونَواهِيهِ، وأبين لكم ما يحبه ويرضاه وما يسخطه ويأباه.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

وَالْفَرْقُ بَيْنَ تَبْلِيغِ الرِّسَالَةِ وَالنَّصِيحَةِ أَنَّ تَبْلِيغَ الرِّسَالَةِ مَعْنَاهُ: أَنْ يُعَرِّفَهُمْ أَنْوَاعَ تَكَالِيفِ وَأَقْسَامَ أَوَامِرِ اللَّهِ وَنَوَاهِيهِ، وَالنَّصِيحَةُ: أَنْ يُرَغِّبَهُم فِي الطَّاعَةِ وَيُحَذِّرَهُ مِنَ العِصْيَانِ.

﴿وَأَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾.

أَيْ: وَأَعْلَمُ مِنْ أسماءِ اللَّهِ تعالى وَنُعُوتِ جَلَالِهِ، ومن أحكامِ شَرِيعَتِهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿أَوَعَجِبْتُمْ أَنْ جَاءَكُمْ ذِكْرٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَلَى رَجُلٍ مِنْكُمْ لِيُنْذِرَكُمْ وَلِتَتَّقُوا وَلَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ (٦٣) فَكَذَّبُوهُ فَأَنْجَيْنَاهُ وَالَّذِينَ مَعَهُ فِي الْفُلْكِ وَأَغْرَقْنَا الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا عَمِينَ﴾. سُورَةُ الْأَعْرَافِ: الآية/ ٦٣- ٦٤

في الكلام حذف مقدرٌ دلَّ عليه قوله تعالى على لسانِ نوحٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿أَوَعَجِبْتُمْ....﴾، تقديره: فعجبوا أن يرسل الله تعالى بشرًا رسولًا؛ كما قال تعالى عنهم: ﴿مَا هَذَا إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُرِيدُ أَنْ يَتَفَضَّلَ عَلَيْكُمْ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَأَنْزَلَ مَلَائِكَةً مَا سَمِعْنَا بِهَذَا فِي آبَائِنَا الْأَوَّلِينَ﴾ [الْمُؤْمِنُونَ: ٢٤]، وهي شبهة الملأ في كل زمان؛ كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَا مَنَعَ النَّاسَ أَنْ يُؤْمِنُوا إِذْ جَاءَهُمُ الْهُدَى إِلا أَنْ قَالُوا أَبَعَثَ اللَّهُ بَشَرًا رَسُولا﴾.[1]

ومنشأ العجب عندهم أنهم ظنوا أن الرسول يجب أن يكون ملكًا من الملائكة، ولا يصلح أن يكون من جنس البشر؛ كما صرحوا بذلك مرارًا؛ كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿وَقَالُوا لَوْلا أُنزِلَ عَلَيْهِ مَلَكٌ﴾ [الأنعام: ٨]، فأجابهم نوحٌ عَلَيْهِ السَّلَامُ، منكرًا عليهم تعجبهم مما ليس بعجيب؛ فَقَالَ: ﴿أَوَعَجِبْتُمْ أَنْ جَاءَكُمْ ذِكْرٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَلَى رَجُلٍ مِنْكُمْ..﴾، فَالْهَمْزَةُ لِلْإِنْكَارِ وَالْوَاوُ لِلْعَطْفِ وَالْمَعْطُوفُ عَلَيْهِ مَحْذُوفٌ تقديرُهُ: أَكَذَّبْتُمْ وَعَجِبْتُمْ أَنْ جَاءَكُمْ ذِكْرٌ مِنْ رَبِّكُمْ..؟

ثم بين لهم العلةَ التي من أجلها أرسلَ اللهُ تعالى الرسلَ من جنسِ البشرِ، فقال: ﴿عَلَى رَجُلٍ مِنْكُمْ لِيُنْذِرَكُمْ وَلِتَتَّقُوا وَلَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾، أَيْ: عَلَى رَجُلٍ مِنْ جِنْسِكُمْ، تَعرِفُون صِدْقَهُ وأَمَانَتَهُ، لِيُنْذِرَكُمْ عذابَ اللهِ وَلِتَتَّقُوا أسبابَ سخطه، وليرحمكم الله تعالى إذا آمنتم وأطعتم، وَلَوْ كَانَ مَلَكًا لتَنَافَرَتْ طِبَاعُكُم عَنه لاخْتِلَافِ جِنْسِهِ، وسقط التكليف لتباين قدرته بالنسبة لهم.

وعدي الفعلُ: (جاء) بـ (على) في قوله: ﴿جَاءَكُمْ ذِكْرٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَلَى رَجُلٍ﴾. لأَنَّهُ ضُمِّنَ مَعْنَى نَزَلَ؛ أي: أَوَعَجِبْتُمْ أَنْ جَاءَكُمْ ذِكْرٌ مِنْ رَبِّكُمْ مُنَزَّلٌ عَلَى رَجُلٍ مِنْكُمْ.

---

١ - سُورَةُ الْإِسْرَاءِ: الآية/ ٩٤

www.alukah.net
شبكة الألوكة

﴿فَكَذَّبُوهُ فَأَنْجَيْنَاهُ وَالَّذِينَ مَعَهُ فِي الْفُلْكِ وَأَغْرَقْنَا الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا﴾.

فَكَذَّبَهُ قَوْمُهُ، وأصرَّوا على كُفْرِهِم، وَلَجُّوا فِي طُغْيَانِهِمْ، فَأَنْجَيْنَاهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ فِي الْفُلْكِ، وَكَانُوا ثَلَاثَ عَشْرَةَ؛ كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَنْ آمَنَ وَمَا آمَنَ مَعَهُ إِلَّا قَلِيلٌ﴾ [هود: ٤٠]، وَأَغْرَقَ اللَّهُ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِهِ البيناتِ، وبراهينِهِ السَّاطِعَاتِ، وَلَمْ يَقْبَلُوا نَصِيحَةَ رَسُولِهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ.

﴿إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا عَمِينَ﴾.

أي: إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا عَمِينَ عَنِ الْحَقِّ، فلم يُبْصِرُوهُ وَلَمْ يَهْتَدُوا لَهُ.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿وَإِلَى عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا قَالَ يَاقَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ أَفَلَا تَتَّقُونَ (٦٥) قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ إِنَّا لَنَرَاكَ فِي سَفَاهَةٍ وَإِنَّا لَنَظُنُّكَ مِنَ الْكَاذِبِينَ (٦٦) قَالَ يَا قَوْمِ لَيْسَ بِي سَفَاهَةٌ وَلَكِنِّي رَسُولٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ (٦٧) أُبَلِّغُكُمْ رِسَالَاتِ رَبِّي وَأَنَا لَكُمْ نَاصِحٌ أَمِينٌ﴾. سُورَةُ الْأَعْرَافِ: الآية/ ٦٥- ٦٨

الواو عاطفة؛ أَيْ: وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَى عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا، وعَادٌ هُمْ عَادٌ الْأُولَى نسبةً إلى عَادِ بْنِ إِرَمَ، وَهُمُ الَّذِينَ ذكرهم اللهُ تَعَالَى فِي قَولِهِ: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ * إِرَمَ ذَاتِ الْعِمَادِ * الَّتِي لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِي الْبِلادِ﴾ [الْفَجْرِ:٦- ٨]، وَكَانَتْ مَسَاكِنُهُمْ بِحَضْرَمَوْتَ بِالْيَمَنِ بالأحقافِ، وهي جبال الرمل بمنطقة الربع الخالي.

وهم أَوَّلُ الأُمَمِ الَّذين عَبَدُوا الْأَصْنَامَ بَعْدَ الطُّوفَانِ، وَكَانُوا أَهْلَ بَسَاتِينَ وَزُرُوعٍ وَعِمَارَةٍ.

﴿قَالَ يَاقَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ أَفَلَا تَتَّقُونَ﴾.

قَالَ لهم هودٌ عليه السلام: يَاقَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشرِكُوا به شَيئًا، فَإِنَّهُ لَيْسَ لَكُمْ إِلَهٌ غَيْرُهُ، ولا ينبغي أن يكون لكم معبودٌ سواهُ، أَفَلَا تَتَّقُونَ سخطه إذا عبدتم غيره وهو الذي خلقكم؟

﴿قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ إِنَّا لَنَرَاكَ فِي سَفَاهَةٍ﴾.

أي: فَقَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ جَحَدُوا تَوْحِيدَ اللَّهِ، وأصروا على الشِّرْكِ باللهِ، وَأَنْكَرُوا رِسَالَةَ هُودٍ عليه السلام: ﴿إِنَّا لَنَرَاكَ فِي سَفَاهَةٍ﴾. السَّفَاهَةُ: خِفَّةُ الْعَقْلِ وَسَخَافَتُهُ، قالوا له ذلك لَمَّا دعاهم إلى توحيدِ الله تعالى.

﴿وَإِنَّا لَنَظُنُّكَ مِنَ الْكَاذِبِينَ﴾.

أَطْلَقُوا الظَّنَّ وأَرَادُوا به الْيَقِينَ، أي: مِنَ الْكَاذِبِينَ فِي قَولِكَ: إِنِّي رَسُولٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ.

وقيل: الظنُّ هنا على بابه، وأنهم كفروا به ظانِّين لا مستيقنين، وهذا بلا شك أقبحُ.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

﴿قَالَ يَا قَوْمِ لَيْسَ بِي سَفَاهَةٌ وَلَكِنِّي رَسُولٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾.

أي: قَالَ يَا قَوْمِ لَيْسَ بِي سَفَاهَةٌ كَمَا تَزْعُمُونَ، ثم استدرك فقال: وَلَكِنِّي رَسُولٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ.

﴿أُبَلِّغُكُمْ رِسَالَاتِ رَبِّي وَأَنَا لَكُمْ نَاصِحٌ أَمِينٌ﴾.

أي: أرسلني إليكم لأدعوكم إلى عبادته وحده لا شريك له، وأبيّن لكم شرائعَ دينِهِ، وأنا لَكُمْ نَاصِحٌ، وعليكم مشفقٌ، وأَمِينٌ على وحي الله تعالى، وتبليغ دينه. وَهَذِهِ صِفَاتٌ لازمَةٌ لجميعِ الرُّسُلِ، الْبَلَاغُ وَالنُّصْحُ وَالْأَمَانَةُ.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿أَوَعَجِبْتُمْ أَنْ جَاءَكُمْ ذِكْرٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَلَى رَجُلٍ مِنْكُمْ لِيُنْذِرَكُمْ وَاذْكُرُوا إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاءَ مِنْ بَعْدِ قَوْمِ نُوحٍ وَزَادَكُمْ فِي الْخَلْقِ بَسْطَةً فَاذْكُرُوا آلَاءَ اللَّهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ (٦٩) قَالُوا أَجِئْتَنَا لِنَعْبُدَ اللَّهَ وَحْدَهُ وَنَذَرَ مَا كَانَ يَعْبُدُ آبَاؤُنَا فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾. سُورَةُ الْأَعْرَافِ: الآية/ ٦٩- ٧٠

أَيْ: لَا تَعْجَبُوا أَنْ بَعَثَ اللَّهُ إِلَيْكُمْ رَسُولًا مِنْ أَنْفُسِكُمْ لِيُحذرَكُمْ عذابَ اللهِ تعالى، ثم عدد عليهم نعم الله تعالى فقال: ﴿وَاذْكُرُوا إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاءَ مِنْ بَعْدِ قَوْمِ نُوحٍ﴾؛ و(خُلَفاءَ): جَمْعُ خَلِيفَةٍ أَيْ: جَعَلَكُمْ سُكَّانَ الْأَرْضِ بَعْدَ قَوْمِ نُوحٍ، فَاذْكُرُوا مَا حَلَّ بِهِم مِنَ الْعَذَابِ حينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ، وَعَصَوْا رَسُولَهُمْ، وأحذَرُوا أن يصيبَكُم ما أصَابَهُم.

﴿وَزَادَكُمْ فِي الْخَلْقِ بَسْطَةً﴾.

أَيْ: زَادَكُم طُولًا فِي الْخَلْقِ، فجَعَلَكُمْ أَطْوَلَ مِنْ أَبْنَاءِ جِنْسِكُمْ، وَزَادَكُم قوةً فِي أجسَامِكُم.

﴿فَاذْكُرُوا آلَاءَ اللَّهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾.

(الآلَاءُ): النعم، جمع ألى، وإلى؛ أَيْ: فَاذْكُرُوا نِعَمَ اللهِ عَلَيْكُمْ واشكروه عليها لتفلحوا في الدنيا والآخرة.

﴿قَالُوا أَجِئْتَنَا لِنَعْبُدَ اللَّهَ وَحْدَهُ وَنَذَرَ مَا كَانَ يَعْبُدُ آبَاؤُنَا﴾.

كَانُوا يَعْبُدُونَ أَصْنَامًا عدةً ورثوا عبادتها عن آبائهم فاستنكفوا عن توحيد الله تعالى وتخطئة آبائهم.

﴿فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾.

استعجلوا عذاب الله تعالى؛ كَمَا قَالَ كُفَّارُ قُرَيْشٍ: ﴿وَإِذْ قَالُوا اللَّهُمَّ إِنْ كَانَ هَذَا هُوَ الْحَقَّ مِنْ عِنْدِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِنَ السَّمَاءِ أَوِ ائْتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾.[1]

١ - سورةُ الْأَنْفَالِ: الآية/ ٣٢

www.alukah.net
شبكة الألوكة

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿قَالَ قَدْ وَقَعَ عَلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ رِجْسٌ وَغَضَبٌ أَتُجَادِلُونَنِي فِي أَسْمَاءٍ سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ مَا نَزَّلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ فَانْتَظِرُوا إِنِّي مَعَكُمْ مِنَ الْمُنْتَظِرِينَ (٧١) فَأَنْجَيْنَاهُ وَالَّذِينَ مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِنَّا وَقَطَعْنَا دَابِرَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَمَا كَانُوا مُؤْمِنِينَ﴾. سُورَةُ الْأَعْرَافِ: الآية/ ٧١- ٧٢

أَيْ: قَالَ قَدْ وَجَبَ عَلَيْكُمْ عَذَابٌ وَغَضَبٌ مِنْ رَبِّكُمْ، بِإِصْرَارِكُم على الكُفرِ، واستعجالكم العذاب، وَجُمْهُورُ المفَسِّرِين على أنَّ المرادَ بالرِّجْسِ هُنَا الْعَذَابُ.

وَرُوِي عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ أَنَّهُ كَانَ يَقُولُ: الرِّجْزُ: السَّخَطُ، وَعَنهُ: أَنَّهُ فَسَّرَهُ بِاللَّعْنَةِ.

وَكَانَ أَبُو عَمْرِو بْنُ الْعَلَاءِ يقولُ: الرِّجْزُ وَالرِّجْسُ بِمَعْنًى وَاحِدٍ.

﴿أَتُجَادِلُونَنِي فِي أَسْمَاءٍ سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ مَا نَزَّلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ﴾.

أَيْ: أَتُحَاجُّونِي فِي أَصْنَامٍ سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ، لَا تَضُرُّ وَلَا تَنْفَعُ، ومَا لَكُمْ عَلَى عِبَادَتِهَا مِنْ حُجَّةٍ تَحْتَجُّونَ بِهَا وَلَا دَلِيلٍ تستَدِلُّون بِهِ.

﴿فَانْتَظِرُوا إِنِّي مَعَكُمْ مِنَ الْمُنْتَظِرِينَ﴾.

تَهْدِيدٌ وَوَعِيدٌ لَهُم بأنْ يترقبُوا عذابَ اللهِ تعالى، ﴿إِنِّي مَعَكُمْ مِنَ الْمُنْتَظِرِينَ﴾ حُكْمَهُ وَفَصْلَ قَضَائِهِ فِينَا وَفِيكُمْ.

﴿فَأَنْجَيْنَاهُ وَالَّذِينَ مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِنَّا وَقَطَعْنَا دَابِرَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا﴾.

أَيْ: فَأَنْجَيْنَا هُودًا وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِنَّا، وَأَهْلَكْنَا الَّذِينَ كَذَّبُوا مِنْ قَوْمِهِ عَنْ آخِرِهِمْ، واسْتَأْصَلْنَاهُمْ فَلَمْ نُبْقِ مِنْهُمْ أَحَدًا، وسيأتي بيانُ صفةِ هَلاَكِهِم في مَوضِعِهِ إن شَاء اللهُ.

﴿وَمَا كَانُوا مُؤْمِنِينَ﴾.

معطوفٌ عَلَى ﴿الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا﴾. لبيانِ أنَّ علةَ قَطْعِ دَابِرِهِمْ، هِي تَّكْذِيبُهم، وَعدمُ إيمانِهم بالله تعالى.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿وَإِلَى ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ قَدْ جَاءَتْكُمْ بَيِّنَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ هَذِهِ نَاقَةُ اللَّهِ لَكُمْ آيَةً فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِي أَرْضِ اللَّهِ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾. سُورَةُ الْأَعْرَافِ: الآية/ ٧٣

أَيْ: وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَى ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا، وثَمُودُ أُمَّةٌ عَظِيمَةٌ مِنَ الْعَرَبِ الْبَائِدَةِ نسبةً إِلى أَبِيهِمُ الْأَكْبَرِ ثَمُودَ مِنْ وَلَدِ سَامَ بْنِ نُوحٍ، وكَانَتْ ثَمُودُ بَعْدَ عَادٍ، وَمَسَاكِنُهُمُ الْحِجْرَ بَيْنَ الْحِجَازِ وَالشَّامِ، وَتُسَمَّى الْآنَ مَدَائِنُ صَالِحٍ، وَقَدْ مَرَّ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَيها في طَرِيقِهِ إِلَى تَبُوكَ سَنَةَ تِسْعٍ.

﴿قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ﴾.

لَمَّا هْلَكَتْ عَادٌ وجاءت ثمود بعدهم عَبَدُوا الْأَصْنَامَ وأشركوا بالله تعالى، فَبَعَثَ اللَّهُ إِلَيْهِمْ صَالِحًا، فدعاهم إلى توحيد الله تعالى ونبذِ الشركِ، وهي دعوةُ جَمِيعِ الرُّسُلِ لأقوامهم.

﴿قَدْ جَاءَتْكُمْ بَيِّنَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ هَذِهِ نَاقَةُ اللَّهِ لَكُمْ آيَةً﴾.

لما بَعَثَ اللَّهُ إِلَيْهِمْ صَالِحًا سَأَلُوهُ أَنْ يُخْرِجَ لَهُمْ نَاقَةً مِنْ صَخْرَةٍ مُعَيَّنَةٍ فَأَخَذَ صَالِحٌ عليهِمُ العُهُودَ والمَوَاثِيقَ أَنَّهُ إِنْ فَعَلَ ذَلِكَ آمَنُوا فَقَبِلُوا، فَدَعَا اللَّهَ فانْفَرَجَتْ تِلْكَ الصَّخْرَةُ وَخَرَجَتِ منها نَاقَةٌ عظيمةٌ، فكانت حجةً وبرهانًا على صِدْقِ صَالِحٍ عليهِ السلام، وَأُضِيفَتِ النَّاقَةُ إِلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ لتعظيمِ شَأْنِها.

﴿فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِي أَرْضِ اللَّهِ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾.

أي: دعوها وشأنها فليس عليكم مؤنتها، ﴿وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوءٍ﴾، نهاهم عن المسّ الذي هو مقدمة الإصابة بالسوءِ مبالغةً في الأمر برعايتها، وقوله: ﴿بِسُوءٍ﴾ بنكرة في سياق النفي يدخل فيه كل أنوع الأذى، قطعًا لأعذارهم، ثم توعدهم بالعَذَابِ الأَلِيمِ مبالغةً في النهي فقال: ﴿فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾؛ أي: لِئَلا يَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ مؤلِمٌ.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿وَاذْكُرُوا إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاءَ مِنْ بَعْدِ عَادٍ وَبَوَّأَكُمْ فِي الْأَرْضِ تَتَّخِذُونَ مِنْ سُهُولِهَا قُصُورًا وَتَنْحِتُونَ الْجِبَالَ بُيُوتًا فَاذْكُرُوا آلَاءَ اللَّهِ وَلَا تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ﴾. سُورَةُ الْأَعْرَافِ: الآية/ ٧٣

أي: وَاذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ، إِذْ جَعَلَكُمْ تَخْلُفُونَ عَادًا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ هَلَاكِهَا، وقوله: ﴿خُلَفَاءَ مِنْ بَعْدِ عَادٍ﴾، إشارةٌ إلى طولِ المدةِ التي كانت بينهما.

﴿وَبَوَّأَكُمْ فِي الْأَرْضِ﴾.

في الكلامِ إيجازٌ بالحذفِ تقديرُهُ: وَبَوَّأَكُمْ فِي الْأَرْضِ مَنَازِلَ، وَمَعْنَى بَوَّأَكُمْ: أَنْزَلَكُمْ، ومنه قوله تعالى: ﴿تُبَوِّئُ الْمُؤْمِنِينَ مَقَاعِدَ لِلْقِتَالِ﴾ [آلِ عِمْرَانَ: ١٢١]، وَالْمَبَاءَةُ: الْمَنْزِلُ مِنَ الْأَرْضِ، وَأَصْلُها مِنْ بَاءَ أَيْ: رَجَعَ؛ لِأَنَّ الْمَرْءَ يَرْجِعُ إِلَى مَنْزِلِهِ، والمرادُ بالْأَرْضِ أَرْضُ الْحِجْرِ الَّتِي بَيْنَ الْحِجَازِ وَالشَّامِ.

﴿تَتَّخِذُونَ مِنْ سُهُولِهَا قُصُورًا﴾.

السّهول: جَمْعُ سَهْلٍ، وَهُوَ الْمُسْتَوِي مِنَ الْأَرْضِ، وهُو ضِدُّ الحَزَنِ. والقَصْرُ: ما شُيِّد وعَلا من الْمَنَازِلِ. أي: تَبنُونَ فِي سُهُولِهَا قُصُورًا فَارِهَةً، وقِيلَ: المرَادُ تَبنُونَ مِنْ سُهُولِهَا بما تَعْمَلُونَ مِنَ اللَّبِنِ والآجُرِّ قُصُورًا.

﴿وَتَنْحِتُونَ الْجِبَالَ بُيُوتًا﴾.

أي: وَتَنْقُبُونَ فِي الْجِبَالِ بُيُوتًا تَسْكُنُونَ فِيهَا، وَانْتِصَابُ بُيُوتًا عَلَى أَنَّهَا حَالٌ مُقَدَّرَةٌ، أو على أنها مفعول ثان لـ (تَنْحِتُونَ) بتضمين (نحت) معنى (اتخذ).

قِيلَ: كَانُوا يَسْكُنُونَ الْجِبَالَ فِي الشِّتَاءِ لِتَقِيَهُم مِنَ الْأَمْطَارِ وَالْعَوَاصِفِ، وَيَسْكُنُونَ السُّهُولَ فِي سَائِرِ الْفُصُولِ لِأَجْلِ الزِّرَاعَةِ وَالْعَمَلِ.

قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: الْقُصُورُ لِمَصِيفِهِمْ وَالْبُيُوتُ فِي الْجِبَالِ لِمَشْتَاهُمْ.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

﴿فَاذْكُرُوا آلَاءَ اللَّهِ وَلَا تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ﴾.

أَيْ: فَتَذَكَّرُوا تلك النِّعَمَ التي أَنْعَمَ اللهُ بِهَا عَلَيْكُمْ وَاشْكُرُوا اللهَ تعالى عليها لَهُ بِإِفْرَادِهِ بِالْعِبَادَةِ، وَلاتسْتِعْمِلُوهَا فِيمَا يسخِطُ اللهَ عليكم، ولا تجعلوها سببًا للإِفسَادِ في الأرضِ، والعثو أَشَدُّ الْفسَادِ.

وفائدة ذكر: ﴿مُفْسِدِينَ﴾ بعد قوله: ﴿وَلَا تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ﴾؛ أن العثو كالاعتداء، وقد يوجد في الاعتداء ما ليس بفساد، وهو مقابلة المعتدي بفعله نحو: ﴿فَمَنِ اعْتَدى عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدى عَلَيْكُمْ﴾ [البقرة: ١٩٤]، وهذا الاعتداء ليس بإفساد، بل هو بالإضافة إلى ما قوبل به عدل، ولولا كونه جزاءً لكن إفسادًا، فبين تعالى أن العثو المنهي عنه، هو المقصود به الإفساد.[1]

١ - محاسن التأويل (١/ ٣١٣)

www.alukah.net
شبكة الألوكة

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا مِنْ قَوْمِهِ لِلَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا لِمَنْ آمَنَ مِنْهُمْ أَتَعْلَمُونَ أَنَّ صَالِحًا مُرْسَلٌ مِنْ رَبِّهِ قَالُوا إِنَّا بِمَا أُرْسِلَ بِهِ مُؤْمِنُونَ (٧٥) قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا بِالَّذِي آمَنْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ (٧٦) فَعَقَرُوا النَّاقَةَ وَعَتَوْا عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ وَقَالُوا يَاصَالِحُ ائْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾. سُورَةُ الْأَعْرَافِ: الآية/ ٧٥– ٧٧

وَصَفَ اللهُ تَعَالَى أُولَئِكَ الْمَلَأَ بِكَوْنِهِمْ مُسْتَكْبِرِينَ لبيانِ علةِ كفرِهِم باللهِ، وتكذيبِ نبيهم صالح عليه السلام، لأنهم اسْتَكْبَرُوا عَنِ امْتِثَالِ أَمْرِ رَبِّهِمْ الَّذِي جاءهم على لِسَانِ صَالِحٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ، وشأن المستكبرين السخرية والاستهزاء لا سيما بالمستضعفين، لذلك قالوا للمستضعفين الذين آمنوا بالله واتبعوا صالحًا عليه السلام: ﴿أَتَعْلَمُونَ أَنَّ صَالِحًا مُرْسَلٌ مِنْ رَبِّهِ﴾؟ ومقصودهم المبالغة في السخرية والاستهزاء بهم.

فأجابهم المؤمنون بما يعتقدونه فقالوا: ﴿إِنَّا بِمَا أُرْسِلَ بِهِ مُؤْمِنُونَ﴾.

﴿قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا بِالَّذِي آمَنْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ﴾.

قَولُ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا يبين أنَّ كفرهم كفر إباءٍ واستكبارٍ، وهو شرُّ أنواع الكفرِ، ودل عليه أيضًا قولهم: ﴿إِنَّا بِالَّذِي آمَنْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ﴾؛ أي: مهما كان الذي آمنتم به فإِنَّا بِهِ كَافِرُونَ، ووضع الظاهر موضع المضمر هنا لتسجيل صفة الكبر عليهم، لبيان أنها هي التي حملتهم على الكفرِ.

﴿فَعَقَرُوا النَّاقَةَ وَعَتَوْا عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ﴾.

أي: فَعَقَرُوا النَّاقَةَ الَّتِي جَعَلَهَا اللَّهُ لَهُمْ آيَةً؛ لِئَلَّا تكون سببًا في زيادةِ أَعْدَادِ الْمُؤْمِنِينَ، واسْتَكْبَرُوا عَنِ امتثالِ أَمْرِ اللَّهِ، وَاسْتَعْلَوْا عَنِ اتباعِ الْحَقِّ الذي جاءهم به صالح عليه السلام، يقال: عَتَا يَعْتُو عُتُوًّا. أَيِ: اسْتَكْبَرَ. والْعُقْرُ: الْجَرْحُ الْبَلِيغُ، وَقِيلَ: قَطْعُ عُضْوٍ يُؤَثِّرُ فِي النَّفْسِ.

وأُسْنِدَ الْعُقْرُ إِلَيْهِمْ وَإِنْ كَانَ فَاعِلُهُ وَاحِدًا، كما قَالَ تَعَالَى: ﴿فَنَادَوْا صَاحِبَهُمْ فَتَعَاطَى فَعَقَرَ﴾ [القَمَرِ: ٢٩]، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿إِذِ انْبَعَثَ أَشْقَاهَا﴾ [الشَّمْسِ:١٢]؛ لِأَنَّهُ كَانَ عَنْ رِضًى مِنْهم جَمِيعًا.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ زَمْعَةَ، أَنَّهُ سَمِعَ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَخْطُبُ، وَذَكَرَ النَّاقَةَ وَالَّذِي عَقَرَ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «﴿إِذِ انْبَعَثَ أَشْقَاهَا﴾، انْبَعَثَ لَهَا رَجُلٌ عَزِيزٌ عَارِمٌ، مَنِيعٌ فِي رَهْطِهِ، مِثْلُ أَبِي زَمْعَةَ».[1]

وَقِيلَ اسْمُهُ: قُدَارُ بْنُ سَالِفٍ.

﴿وَقَالُوا يَا صَالِحُ ائْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾.

أي: وقَالُوا: جِئْنَا يَا صَالِحُ ائْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا مِنْ عَذَابِ اللَّهِ وَنِقْمَتِهِ، إِنْ كُنْتَ حقًّا مِنَ الْمُرْسَلِينَ.

١ - رواه البخاري- كِتَابُ التَّفْسِيرِ، باب سورة: ﴿وَالشَّمْسِ وَضُحَاهَا﴾، حديث رقم: ٤٩٤٢

www.alukah.net
شبكة الألوكة

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿فَأَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ جَاثِمِينَ (٧٨) فَتَوَلَّى عَنْهُمْ وَقَالَ يَاقَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَالَةَ رَبِّي وَنَصَحْتُ لَكُمْ وَلَكِنْ لَا تُحِبُّونَ النَّاصِحِينَ﴾. سُورَةُ الْأَعْرَافِ: الآية/ ٧٨، ٧٩

الرَّجْفَةُ: هِي الزَّلْزَلَةُ الشَّدِيدَةُ، أي: فَأَخَذَتْ ثمودَ الزَّلْزَلَةُ الشَّدِيدَةُ فَأَصْبَحُوا فِي مَسَاكِنِهِمْ صَرْعَى، أَجسَادًا لَا أَرْوَاحَ فِيهَا.

لما عَقَرُوا النَّاقَةَ الَّتِي جَعَلَهَا اللهُ لَهُمْ آيَةً، وعَدَهُم نبيُّهُم ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ وينزلُ عليهم العذابُ؛ كما قَالَ تَعَالَى: ﴿فَعَقَرُوهَا فَقَالَ تَمَتَّعُوا فِي دَارِكُمْ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ ذَلِكَ وَعْدٌ غَيْرُ مَكْذُوبٍ﴾ [هُودٍ:٦٥]، فلما قال لهم صَالِحٌ عَلَيْهِ السَّلَامُ عَزَمُوا عَلَى قَتْلِهِ وَأَهْلِهِ، فاجتمعَ تِسْعَةُ رَهْطٍ، هم أشدهم كفرًا، وأعظمهم إفسادًا، فتَقَاسَمُوا بِاللهِ عَلَى قَتْلِهِ وَأَهْلِهِ ليلًا؛ قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿وَكَانَ فِي الْمَدِينَةِ تِسْعَةُ رَهْطٍ يُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ (٤٨) قَالُوا تَقَاسَمُوا بِاللَّهِ لَنُبَيِّتَنَّهُ وَأَهْلَهُ ثُمَّ لَنَقُولَنَّ لِوَلِيِّهِ مَا شَهِدْنَا مَهْلِكَ أَهْلِهِ وَإِنَّا لَصَادِقُونَ﴾ [النَّمْلِ:٤٨، ٤٩]، فدَمَّرَهُمْ اللهُ تدميرًا، وأهلكهم قبل قومهم، وَأَنْجَى اللهُ صَالِحًا عَلَيْهِ السَّلَامُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ؛ قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿وَمَكَرُوا مَكْرًا وَمَكَرْنَا مَكْرًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ (٥٠) فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ مَكْرِهِمْ أَنَّا دَمَّرْنَاهُمْ وَقَوْمَهُمْ أَجْمَعِينَ (٥١) فَتِلْكَ بُيُوتُهُمْ خَاوِيَةً بِمَا ظَلَمُوا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ (٥٢) وَأَنْجَيْنَا الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ﴾.[1]

فائدة: قَالَ تَعَالَى هُنا: ﴿فَأَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ﴾. وَقَالَ تَعَالَى فِي سُورَةِ الْقَمَرِ: ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ صَيْحَةً وَاحِدَةً فَكَانُوا كَهَشِيمِ الْمُحْتَظِرِ﴾. وقَالَ تَعَالَى فِي سُورَةِ الْحَاقَّةِ: ﴿فَأَمَّا ثَمُودُ فَأُهْلِكُوا بِالطَّاغِيَةِ﴾. [الْحَاقَّةِ: ٥]، ووجه الجمع بينها أنَّ الله تعالى أَرْسَلَ عَلَيْهِمْ صَيْحَةً وَاحِدَةً فَاقَتْ فِي قُوتِها كل شَيءٍ وطغتْ على كلِ شيءٍ، حتى أحدثتْ زَلْزَلَةً شَدِيدَةً فاجتمع عليهم من أَسْبَابِ الهلاكِ الصَيْحَةُ الطَّاغِيَةُ والرَّجْفَةُ الشَّدِيدَةُ العَاتِيَةُ.

---

١ - سُورَةُ النَّمْلِ: الآية/ ٥٠- ٥٣

www.alukah.net
شبكة الألوكة

﴿فَتَوَلَّى عَنْهُمْ وَقَالَ يَاقَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَالَةَ رَبِّي وَنَصَحْتُ لَكُمْ وَلَكِنْ لَا تُحِبُّونَ النَّاصِحِينَ﴾.

فَأعرضَ صَالِحٌ عَنْهُمْ بأمرِ اللهِ تعالى، وَقَالَ لَهُم: لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَالَةَ رَبِّي، وَأَدَّيْتُ إِلَيْكُمْ مَا أَمَرَنِي بِأَدَائِهِ إِلَيْكُمْ وَنَصَحْتُ لَكُمْ فِي تَحْذِيرِكُمْ بَأْسَ اللهِ في الدنيا وعقابه في الآخرة بإذا أَقَمْتُم عَلَى كُفْرِكُمْ بِهِ، ﴿وَلَكِنْ لَا تُحِبُّونَ النَّاصِحِينَ﴾، لَكُمْ فِي اللَّهِ، الرَّاغِبِينَ لَكُمْ في الخَيرِ، النَّاهِينَ لَكُمْ عَنِ الفَسَادِ والشَّرِ.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ مَا سَبَقَكُمْ بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِنَ الْعَالَمِينَ (٨٠) إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ شَهْوَةً مِنْ دُونِ النِّسَاءِ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ مُسْرِفُونَ﴾. سُورَةُ الْأَعْرَافِ: الآية/ ٨٠، ٨١

في الكلام حذف إيجازٍ تقديره: وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا لُوطًا. ويحتمل أنْ يكون تقديره: وَاذْكُرْ لُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ.

وَلُوطٌ هُوَ ابْنُ أَخِي إِبْرَاهِيمَ الْخَلِيلِ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ، وَكَانَ قَدْ آمَنَ مَعَ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَاتَّبَعَهُ، وَهَاجَرَ مَعَهُ إِلَى أَرْضِ الشَّامِ، كمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿فَآمَنَ لَهُ لُوطٌ وَقَالَ إِنِّي مُهَاجِرٌ إِلَى رَبِّي﴾ [الْعَنْكَبُوتِ:٢٦]، فَآتَاهُ اللهُ حُكْمًا وَعِلْمًا، وَجَعَلَهُ نَبِيًّا، وَبَعَثَهُ إِلَى سَدُومَ وَأَعْمَالِهَا.

﴿إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ مَا سَبَقَكُمْ بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِنَ الْعَالَمِينَ﴾.

لَمْ يُوصَفْ بِأَنَّهُ أَخُوهُمْ لأنَّه لَمْ يَكُنْ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَهُ قُرَابَةٌ، وَإِنما هَاجَرَ إِلَى أَرْضِ الشَّامِ مَعَ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ كما تقدمَ.

قَالَ لِقَوْمِهِ مُنْكِرًا عليهم وموبخًا لهم: ﴿أَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ.....﴾ فَالِاسْتِفْهَامُ إِنْكَارِيٌّ تَوْبِيخِيٌّ، وَالْإِتْيَانُ كنايةٌ عن الفعلِ القبيحِ الذي اشتُهِرُوا به، وَالْفَاحِشَةُ: هِي الْفِعْلُ القَبِيحُ الذَّمِيمُ.

وَكَانَتْ فَاحِشَتُهُمُ الَّتِي كَانُوا يَأْتُونَهَا: إِتْيَانُ الذُّكُورِ؛ كمَا قَالَ لهم لُوطٌ عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿أَتَأْتُونَ الذُّكْرَانَ مِنَ الْعَالَمِينَ * وَتَذَرُونَ مَا خَلَقَ لَكُمْ رَبُّكُمْ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ عَادُونَ﴾.[1]

لَمْ يَسْبِقْ قَومَ لُوطٍ أَحَدٌ مِنْ بَنِي آدَمَ وَلَا غَيْرِهِمْ، بهذه الفعلةِ الشنيعةِ والْفَاحِشَةِ القبيحةِ وَهِي إِتْيَانُ الذُّكُورِ، وَلَمْ يَخْطُرْ بِبَالِ أَحَدٍ قبلهم.

قَالَ عَمْرُو بْنُ دِينَارٍ: مَا نَزَا ذَكَرٌ عَلَى ذَكَرٍ، حَتَّى كَانَ قَوْمُ لُوطٍ.[2]

---

١ - سورة الشُّعَرَاءِ: الآية/ ١٦٥، ١٦٦

٢ - تفسير الطبري- ط. دار التربية والتراث (٢٠/ ٢٨)، وشعب الإيمان- حديث رقم: ٥٤٠٠

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

وَقَالَ الْوَلِيدُ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ الْخَلِيفَةُ الْأُمَوِيُّ، بَانِي جَامِعِ دِمَشْقَ: لَوْلَا أَنَّ اللَّهَ، عَزَّ وَجَلَّ، قَصَّ عَلَيْنَا خَبَرَ لُوطٍ، مَا ظَنَنْتُ أَنَّ ذَكَرًا يَعْلُو ذَكَرًا.

﴿إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ شَهْوَةً مِنْ دُونِ النِّسَاءِ﴾.

ثم قَالَ لهم لُوطٌ عَلَيْهِ السَّلَامُ: مشنعًا عليهم فعلتهم وموبخًا لهم: ﴿إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ شَهْوَةً مِنْ دُونِ النِّسَاءِ﴾، قال الْمُفَسِّرُونَ: كَانُوا قَدِ اسْتَغْنَى الرِّجَالُ بالرِّجَالِ، والنِّسَاءُ بالنِّسَاءِ.

﴿بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ مُسْرِفُونَ﴾.

إِضْرَابٌ عَنْ مَحْذُوفٍ تَقْدِيرُهُ: مَا عَدَلْتُمْ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ مُسْرِفُونَ.

وَقِيلَ: (بَلْ) رَدٌّ لِجَوَابِ مقدرٍ حِينَ زَعَمُوا أَنَّهم معْذُورُون، فكأنه قَالَ لهم: لَا عُذْرَ لَكُمْ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ مُسْرِفُونَ.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿وَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا أَخْرِجُوهُمْ مِنْ قَرْيَتِكُمْ إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ (٨٢) فَأَنْجَيْنَاهُ وَأَهْلَهُ إِلَّا امْرَأَتَهُ كَانَتْ مِنَ الْغَابِرِينَ (٨٣) وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ مَطَرًا فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُجْرِمِينَ﴾. سُورَةُ الْأَعْرَافِ: الآية/ ٨٠، ٨٤

أَيْ: وَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِذْ نَصَحَهُم وَوَبَّخَهُم عَلَى فِعْلِهِمُ القَبِيحِ إِلَّا أَنْ قالَ بعضُهم لبعضٍ أَخْرِجُوا لوطًا وأَتباعَهُ مِنْ قَرْيَتِكُمْ؛ أي: هَموا بنَفْيِ لوطٍ عليه السلام وَمَنْ مَعَهُ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ مِنْ بَيْنِ أَظْهُرِهِمْ.

﴿إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ﴾.

أي: يَتَنَزَّهُونَ عَنْ أَدْبَارِ الرِّجَالِ وَأَدْبَارِ النِّسَاءِ، فإِنَّهُم لما انْتَكَسَتْ فِطَرتُهُم عَدَّوا التَّطَهُرَ والتَّنَزهَ عن الفَوَاحِشِ عَيبًا؛ قَالَ قَتَادَةُ، عَابُوهُمْ بِغَيْرِ عَيْبٍ، وَذَمُّوهُمْ بِغَيْرِ ذَمٍّ.

وَقَالَ مُجَاهِدٌ: ﴿إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ﴾، يَتَطَهَّرُونَ مِنْ أَدْبَارِ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ.

﴿فَأَنْجَيْنَاهُ وَأَهْلَهُ إِلَّا امْرَأَتَهُ كَانَتْ مِنَ الْغَابِرِينَ﴾.

أي: فأَنْجَيْنَا لُوطًا وَأَهْلَهُ الْمُؤْمِنِينَ بِهِ إِلَّا امْرَأَتَهُ فَإِنَّهَا كَانَتْ خَائِنَةً لِلُوطٍ وَبِاللهِ كَافِرَةً، ﴿مِنَ الْغَابِرِينَ﴾ أَيْ: مِنَ الْبَاقِينَ حتى حلَّ عليهم العذابُ. وقيلَ: ﴿مِنَ الْغَابِرِينَ﴾، على التَّغْلِيبِ.

﴿وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ مَطَرًا﴾.

ذكر الله تعالى المطرَ هنا مبهمًا وأتى تفسيره في سورة هود بأنه حِجَارَةٌ مِنْ سِجِّيلٍ مَنْضُودٍ، كما قال تعالى: ﴿وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا حِجَارَةً مِنْ سِجِّيلٍ مَنْضُودٍ مُسَوَّمَةً عِنْدَ رَبِّكَ وَمَا هِيَ مِنَ الظَّالِمِينَ بِبَعِيدٍ﴾.[1]

﴿فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُجْرِمِينَ﴾.

أي: فَانْظُرْ يَا مُحَمَّدُ إِلَى هَؤُلَاءِ الْمُجْرِمِينَ الَّذِينَ كَفَرُوا باللهِ، وَكَذَّبُوا رَسُولَهُ وَاسْتَحَلُّوا مَا حَرَّمَ اللَّهُ إِلَى أَيِّ شَيْءٍ آلَ أَمْرُهُم، وَإِلَى أَيِّ شَيْءٍ كان مصِيرُهم سِوى الهلاك؟

---

١ - سورة هُودٍ: الآية/ ٨٢، ٨٣

www.alukah.net
شبكة الألوكة

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿وَإِلَى مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا قَالَ يَاقَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ قَدْ جَاءَتْكُمْ بَيِّنَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ فَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾. سُورَةُ الْأَعْرَافِ: الآية/ ٨٥

أَيْ: وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَى مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا، وَاخْتُلِفَ فِي مَدْيَنَ فَقِيلَ: أَنَّهُ اسْمُ الْبَلَدِ وَقِيلَ: إِنَّهُ اسْمُ الْقَبِيلَةِ نِسبَةً إلى مَدْيَنَ بْنِ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، وتقعُ مَدْيَن بَيْنَ الْحِجَازِ وَخَلِيجِ الْعَقَبَةِ بِقُرْبِ سَاحِلِ الْبَحْرِ الْأَحْمَرِ، وَتَنْتَهِي إِلَى حُدُودِ مَعَانٍ مِنْ بِلَادِ الشَّامِ، وَتُسَمَّى الْأَيْكَةَ، وَالْأَيْكَةُ: هِيَ الْغَيْضَةُ مِنَ الشَّجَرِ، والمرادُ بالْأُخوة هُنَا هِيَ الْأُخوة فِي النّسَب لَا فِي الدّين.

﴿قَالَ يَاقَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ﴾.

هِي دَعْوَةُ الرُّسُلِ جميعًا؛ كما قَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولا أَنِ اُعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾.[1]

﴿قَدْ جَاءَتْكُمْ بَيِّنَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ﴾.

أَيْ: قَدْ جَاءَتْكُمْ حُجَةٌ ظاهرةٌ، ومعجزةٌ واضحةٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَلَى صِدْقِ مَا جِئْتُكُمْ بِهِ، ولم تذكر معجزة شُعَيْبٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ؛ ودليلُ وُقُوعِهَا ما ثَبَتَ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَا مِنَ الأَنْبِيَاءِ نَبِيٌّ إِلَّا أُعْطِيَ مَا مِثْلُهُ آمَنَ عَلَيْهِ البَشَرُ، وَإِنَّمَا كَانَ الَّذِي أُوتِيتُ وَحْيًا أَوْحَاهُ اللَّهُ إِلَيَّ، فَأَرْجُو أَنْ أَكُونَ أَكْثَرَهُمْ تَابِعًا يَوْمَ القِيَامَةِ».[2]

وهو مع ذلك قد أقام الحجة على قومه، بوجوب توحيد الله تعالى والنهي عن الشرك بالله تعالى.

---

١ - سُورَةُ النَّحْلِ: الآية/ ٣٦

٢ - رواه البخاري- كتاب فَضَائِلِ الْقُرْآنِ، باب كَيْفَ نُزُولُ الْوَحْيِ، وَأَوَّلُ مَا نَزَلَ، حديث رقم: ٤٩٨١، ومسلم- كِتَابُ الْإِيمَانِ، بَابُ وُجُوبِ الْإِيمَانِ بِرِسَالَةِ نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى جَمِيعِ النَّاسِ وَنَسْخِ الْمِلَلِ بِمِلَّتِهِ، حديث رقم: ١٥٢

www.alukah.net
شبكة الألوكة

﴿فَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ﴾.

أمرهم بالوفاء في الْكَيْلِ وَالْمِيزَانِ، ونهاهم عن التطفيف والبخسِ لأنهم كَانُوا مَعَ كُفْرِهِمْ يَبْخَسُونَ الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ، الْبَخْسُ: هو التَّقليلُ مِن قِيمَةِ السِّلْعَةِ، والتزهيدُ فيها.

﴿وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾.

نهاهُم عَنْ كُلِّ فَسَادٍ، وأعظم فسادٍ هو الكفر بالله تعالى، ومن الفسادِ الذي اشتهروا به تطفيفُ الْكَيْلِ وَالْمِيزَانِ وبخْسُ النَّاسِ أَشْيَاءَهُمْ.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿وَلَا تَقْعُدُوا بِكُلِّ صِرَاطٍ تُوعِدُونَ وَتَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ مَنْ آمَنَ بِهِ وَتَبْغُونَهَا عِوَجًا وَاذْكُرُوا إِذْ كُنْتُمْ قَلِيلًا فَكَثَّرَكُمْ وَانْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ (٨٦) وَإِنْ كَانَ طَائِفَةٌ مِنْكُمْ آمَنُوا بِالَّذِي أُرْسِلْتُ بِهِ وَطَائِفَةٌ لَمْ يُؤْمِنُوا فَاصْبِرُوا حَتَّى يَحْكُمَ اللَّهُ بَيْنَنَا وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ﴾. سُورَةُ الْأَعْرَافِ: الآية/ ٨٦، ٨٧

أَيْ: وَلَا تَقْعُدُوا بِكُلِّ طَرِيقٍ تَتَوَعَّدُونَ الْمُؤْمِنِينَ بِالْقَتْلِ إِنِ اتَّبَعُوا شُعَيْبًا، وَكَانُوا يَقْعُدُونَ فِي الطُّرُقَاتِ يَرْقُبُون مَنْ قَصَدَ شُعَيْبًا فَيَتَوَعَّدُونَهُ.

قَالَ ابْن عَبَّاسٍ: كَانُوا يَجْلِسُونَ فِي الطَّرِيقِ، فَيُخْبِرُونَ مَنْ أَتَى عَلَيْهِمْ أَنَّ شُعَيْبًا عَلَيْهِ السَّلَامُ كَذَّابٌ، فَلَا يَفْتِنَكُمْ عَنْ دِينِكُمْ.

قَالَ قَتَادَةُ: كَانُوا يُوعِدُونَ مِنْ أَتَى شُعَيْبًا وَغَشِيَهُ فَأَرَادَ الْإِسْلَامَ.

﴿وَتَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ مَنْ آمَنَ بِهِ﴾.

أَيْ: وَتَرُدُّونَ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ عَنْ طَرِيقِ الهدايةِ والإيمانِ، وهذا شأنُ أعداء الرسل في كل زمان؛ كما قال تعالى عن مشركي قريش: ﴿وَلا يَزَالُونَ يُقَاتِلُونَكُمْ حَتَّى يَرُدُّوكُمْ عَنْ دِينِكُمْ إِنِ اسْتَطَاعُوا﴾.[1]

﴿وَتَبْغُونَهَا عِوَجًا﴾.

أَيْ: وَتَرُيدُونَ لِمَنْ آمَنَ أن يسلُكَ سبيلَ الغوايةِ الضَّلالِ باعتناقِ الكُفرِ، وعبادةِ غيرِ اللهِ تعالى.

﴿وَاذْكُرُوا إِذْ كُنْتُمْ قَلِيلًا فَكَثَّرَكُمْ﴾.

ثم ذكرهم بنعم الله عليهم، ومنها أنه بارك في نسلهم، وحفظهم من أسباب الموت، حتى زاد عددهم في مدة لا تعهد الزيادة في مثلها.

---

١ - سورة البقرة: الآية/ ٢١٧

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

﴿وَانْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ﴾.

لما ذكرهم بنعم الله عليهم، أعقب ذلك بالترهيب من أسباب سخط الله، إذا أقاموا على كفرهم بالله وصدهم عن سبيل الله، فدعاهم إلى التفكر في عاقبة من كفر قبلهم من الأمم، والاعتبار بمصارع الغابرين من المفسِدِينَ.

﴿وَإِنْ كَانَ طَائِفَةٌ مِنْكُمْ آمَنُوا بِالَّذِي أُرْسِلْتُ بِهِ وَطَائِفَةٌ لَمْ يُؤْمِنُوا فَاصْبِرُوا حَتَّى يَحْكُمَ اللَّهُ بَيْنَنَا وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ﴾.

ثم دعاهم إلى خطة رشدٍ فيها إنصاف إذ لم يستجيبوا له، يقول لهم: وَإِنْ كَانَتْ جَمَاعَةٌ مِنْكُمْ آمَنُوا بِالَّذِي أُرْسِلْتُ بِهِ مِنْ توحيد اللهِ وإِخْلَاصِ الْعِبَادَةِ له، وَتَرْكِ التطفيف الْمَكَايِيلِ وَالْمَوَازِينِ، وَجَمَاعَةٌ لَمْ يُؤْمِنُوا بِالَّذِي أُرْسِلْتُ بِهِ، وَلَمْ يَتَّبِعُونِي عَلَيْهِ فَاصْبِرُوا حَتَّى يَفْصِلَ اللَّهُ بَيْنَنَا بحكمه، ﴿وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ﴾. فَإِنَّ من سنة الله تعالى في عباده أَنَّ الْعَاقِبَةَ لِلْمُتَّقِينَ، وَالهلاكَ للمكذِّبِينَ الضَّالِينَ.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

الفهرس

م	الموضوع	الصفحة
١	المقدمة.....	٣
٢	﴿وَلَوْ أَنَّنَا نَزَّلْنَا إِلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةَ وَكَلَّمَهُمُ الْمَوْتَى وَحَشَرْنَا عَلَيْهِمْ كُلَّ شَيْءٍ قُبُلًا مَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ يَجْهَلُونَ﴾.	٤
٣	﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَاطِينَ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُورًا وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ﴾.	٦
٤	﴿وَلِتَصْغَى إِلَيْهِ أَفْئِدَةُ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ وَلِيَرْضَوْهُ وَلِيَقْتَرِفُوا مَا هُمْ مُقْتَرِفُونَ﴾.	٨
٥	﴿أَفَغَيْرَ اللَّهِ أَبْتَغِي حَكَمًا وَهُوَ الَّذِي أَنْزَلَ إِلَيْكُمُ الْكِتَابَ مُفَصَّلًا وَالَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْلَمُونَ أَنَّهُ مُنَزَّلٌ مِنْ رَبِّكَ بِالْحَقِّ.....﴾.	١٠
٦	﴿وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾.	١٢
٧	﴿وَإِنْ تُطِعْ أَكْثَرَ مَنْ فِي الْأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ﴾.	١٤
٨	﴿فَكُلُوا مِمَّا ذُكِرَ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ إِنْ كُنْتُمْ بِآيَاتِهِ مُؤْمِنِينَ﴾.	١٦
٩	﴿وَمَا لَكُمْ أَلَّا تَأْكُلُوا مِمَّا ذُكِرَ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَقَدْ فَصَّلَ لَكُمْ مَا حَرَّمَ عَلَيْكُمْ إِلَّا مَا اضْطُرِرْتُمْ إِلَيْهِ وَإِنَّ كَثِيرًا لَيُضِلُّونَ بِأَهْوَائِهِمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ.....﴾.	١٨
١٠	﴿وَذَرُوا ظَاهِرَ الْإِثْمِ وَبَاطِنَهُ إِنَّ الَّذِينَ يَكْسِبُونَ الْإِثْمَ سَيُجْزَوْنَ بِمَا كَانُوا يَقْتَرِفُونَ﴾.	٢٠
١١	﴿وَلَا تَأْكُلُوا مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَإِنَّهُ لَفِسْقٌ وَإِنَّ الشَّيَاطِينَ لَيُوحُونَ إِلَى أَوْلِيَائِهِمْ لِيُجَادِلُوكُمْ وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ﴾.	٢٢
١٢	﴿وَإِنَّ الشَّيَاطِينَ لَيُوحُونَ إِلَى أَوْلِيَائِهِمْ لِيُجَادِلُوكُمْ وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ	٢٤

www.alukah.net
شبكة الألوكة

	لَمُشْرِكُونَ﴾.	
١٣	﴿أَوَمَنْ كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَنْ مَثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِنْهَا كَذَلِكَ زُيِّنَ لِلْكَافِرِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾.	٢٦
١٤	﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ أَكَابِرَ مُجْرِمِيهَا لِيَمْكُرُوا فِيهَا وَمَا يَمْكُرُونَ إِلَّا بِأَنْفُسِهِمْ وَمَا يَشْعُرُونَ﴾.	٢٨
١٥	﴿وَإِذَا جَاءَتْهُمْ آيَةٌ قَالُوا لَنْ نُؤْمِنَ حَتَّى نُؤْتَى مِثْلَ مَا أُوتِيَ رُسُلُ اللَّهِ اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ سَيُصِيبُ الَّذِينَ أَجْرَمُوا صَغَارٌ عِنْدَ اللَّهِ.....﴾.	٣٠
١٦	﴿فَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ وَمَنْ يُرِدْ أَنْ يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي السَّمَاءِ.....﴾.	٣٢
١٧	﴿وَهَذَا صِرَاطُ رَبِّكَ مُسْتَقِيمًا قَدْ فَصَّلْنَا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ (١٢٦) لَهُمْ دَارُ السَّلَامِ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَهُوَ وَلِيُّهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾.	٣٤
١٨	﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا يَامَعْشَرَ الْجِنِّ قَدِ اسْتَكْثَرْتُمْ مِنَ الْإِنْسِ وَقَالَ أَوْلِيَاؤُهُمْ مِنَ الْإِنْسِ رَبَّنَا اسْتَمْتَعَ بَعْضُنَا بِبَعْضٍ وَبَلَغْنَا أَجَلَنَا الَّذِي أَجَّلْتَ لَنَا..﴾.	٣٦
١٩	﴿وَقَالَ أَوْلِيَاؤُهُمْ مِنَ الْإِنْسِ رَبَّنَا اسْتَمْتَعَ بَعْضُنَا بِبَعْضٍ وَبَلَغْنَا أَجَلَنَا الَّذِي أَجَّلْتَ لَنَا قَالَ النَّارُ مَثْوَاكُمْ خَالِدِينَ فِيهَا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ.....﴾.	٣٧
٢٠	﴿وَكَذَلِكَ نُوَلِّي بَعْضَ الظَّالِمِينَ بَعْضًا بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾.	٣٩
٢١	﴿يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالإِنْسِ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِنْكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِي وَيُنْذِرُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا قَالُوا شَهِدْنَا عَلَى أَنْفُسِنَا.....﴾.	٤٠
٢٢	﴿ذَلِكَ أَنْ لَمْ يَكُنْ رَبُّكَ مُهْلِكَ الْقُرَى بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا غَافِلُونَ (١٣١) وَلِكُلٍّ دَرَجَاتٌ مِمَّا عَمِلُوا وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ﴾.	٤٢
٣١٢	﴿وَرَبُّكَ الْغَنِيُّ ذُو الرَّحْمَةِ إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَسْتَخْلِفْ مِنْ بَعْدِكُمْ مَا يَشَاءُ كَمَا أَنْشَأَكُمْ مِنْ ذُرِّيَّةِ قَوْمٍ آخَرِينَ﴾.	٤٤

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

٢٤	﴿إِنَّ مَا تُوعَدُونَ لَآتٍ وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ (١٣٤) قُلْ يَاقَوْمِ اعْمَلُوا عَلَى مَكَانَتِكُمْ إِنِّي عَامِلٌ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَنْ تَكُونُ لَهُ عَاقِبَةُ الدَّارِ.....﴾.	٤٦
٢٥	﴿وَجَعَلُوا لِلَّهِ مِمَّا ذَرَأَ مِنَ الْحَرْثِ وَالْأَنْعَامِ نَصِيبًا فَقَالُوا هَذَا لِلَّهِ بِزَعْمِهِمْ وَهَذَا لِشُرَكَائِنَا فَمَا كَانَ لِشُرَكَائِهِمْ فَلَا يَصِلُ إِلَى اللَّهِ.....﴾.	٤٨
٢٦	﴿وَكَذَلِكَ زَيَّنَ لِكَثِيرٍ مِنَ الْمُشْرِكِينَ قَتْلَ أَوْلَادِهِمْ شُرَكَاؤُهُمْ لِيُرْدُوهُمْ وَلِيَلْبِسُوا عَلَيْهِمْ دِينَهُمْ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا فَعَلُوهُ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ﴾.	٥٠
٢٧	﴿وَقَالُوا هَذِهِ أَنْعَامٌ وَحَرْثٌ حِجْرٌ لَا يَطْعَمُهَا إِلَّا مَنْ نَشَاءُ بِزَعْمِهِمْ وَأَنْعَامٌ حُرِّمَتْ ظُهُورُهَا وَأَنْعَامٌ لَا يَذْكُرُونَ اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهَا افْتِرَاءً عَلَيْهِ.....﴾.	٥٢
٢٨	﴿وَقَالُوا مَا فِي بُطُونِ هَذِهِ الْأَنْعَامِ خَالِصَةٌ لِذُكُورِنَا وَمُحَرَّمٌ عَلَى أَزْوَاجِنَا وَإِنْ يَكُنْ مَيْتَةً فَهُمْ فِيهِ شُرَكَاءُ سَيَجْزِيهِمْ وَصْفَهُمْ إِنَّهُ حَكِيمٌ عَلِيمٌ﴾.	٥٤
٢٩	﴿قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ قَتَلُوا أَوْلَادَهُمْ سَفَهًا بِغَيْرِ عِلْمٍ وَحَرَّمُوا مَا رَزَقَهُمُ اللَّهُ افْتِرَاءً عَلَى اللَّهِ قَدْ ضَلُّوا وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ﴾.	٥٦
٣٠	﴿وَهُوَ الَّذِي أَنْشَأَ جَنَّاتٍ مَعْرُوشَاتٍ وَغَيْرَ مَعْرُوشَاتٍ وَالنَّخْلَ وَالزَّرْعَ مُخْتَلِفًا أُكُلُهُ وَالزَّيْتُونَ وَالرُّمَّانَ مُتَشَابِهًا وَغَيْرَ مُتَشَابِهٍ.....﴾.	٥٧
٣١	﴿وَمِنَ الْأَنْعَامِ حَمُولَةً وَفَرْشًا كُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ﴾.	٦٠
٣٢	﴿ثَمَانِيَةَ أَزْوَاجٍ مِنَ الضَّأْنِ اثْنَيْنِ وَمِنَ الْمَعْزِ اثْنَيْنِ قُلْ آلذَّكَرَيْنِ حَرَّمَ أَمِ الْأُنْثَيَيْنِ أَمَّا اشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ أَرْحَامُ الْأُنْثَيَيْنِ نَبِّئُونِي بِعِلْمٍ.....﴾.	٦١
٣٣	﴿وَمِنَ الْإِبِلِ اثْنَيْنِ وَمِنَ الْبَقَرِ اثْنَيْنِ قُلْ آلذَّكَرَيْنِ حَرَّمَ أَمِ الْأُنْثَيَيْنِ أَمَّا اشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ أَرْحَامُ الْأُنْثَيَيْنِ أَمْ كُنْتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ وَصَّاكُمُ اللَّهُ بِهَذَا....﴾.	٦٣
٣٤	﴿قُلْ لَا أَجِدُ فِي مَا أُوحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّمًا عَلَى طَاعِمٍ يَطْعَمُهُ إِلَّا أَنْ يَكُونَ مَيْتَةً أَوْ دَمًا مَسْفُوحًا أَوْ لَحْمَ خِنْزِيرٍ فَإِنَّهُ رِجْسٌ أَوْ فِسْقًا.....﴾.	٦٤

www.alukah.net
شبكة الألوكة

٣٥	﴿وَعَلَى الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا كُلَّ ذِي ظُفُرٍ وَمِنَ الْبَقَرِ وَالْغَنَمِ حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ شُحُومَهُمَا إِلَّا مَا حَمَلَتْ ظُهُورُهُمَا أَوِ الْحَوَايَا أَوْ مَا اخْتَلَطَ بِعَظْمٍ.....﴾.	٦٦
٣٦	﴿فَإِنْ كَذَّبُوكَ فَقُلْ رَبُّكُمْ ذُو رَحْمَةٍ وَاسِعَةٍ وَلَا يُرَدُّ بَأْسُهُ عَنِ الْقَوْمِ الْمُجْرِمِينَ﴾.	٦٨
٣٧	﴿سَيَقُولُ الَّذِينَ أَشْرَكُوا لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكْنَا وَلَا آبَاؤُنَا وَلَا حَرَّمْنَا مِنْ شَيْءٍ كَذَلِكَ كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ حَتَّى ذَاقُوا بَأْسَنَا.....﴾.	٦٩
٣٨	﴿قُلْ هَلُمَّ شُهَدَاءَكُمُ الَّذِينَ يَشْهَدُونَ أَنَّ اللَّهَ حَرَّمَ هَذَا فَإِنْ شَهِدُوا فَلَا تَشْهَدْ مَعَهُمْ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا.....﴾.	٧١
٣٩	﴿قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ مِنْ إِمْلَاقٍ نَحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ.....﴾.	٧٢
٤٠	﴿وَلَا تَقْرَبُوا الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾.	٧٥
٤١	﴿وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّى يَبْلُغَ أَشُدَّهُ وَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا.....﴾.	٧٧
٤٢	﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾.	٧٩
٤٣	﴿ثُمَّ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ تَمَامًا عَلَى الَّذِي أَحْسَنَ وَتَفْصِيلًا لِكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لَعَلَّهُمْ بِلِقَاءِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ﴾.	٨١
٤٤	﴿وَهَذَا كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ فَاتَّبِعُوهُ وَاتَّقُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾.	٨٣
٤٥	﴿أَنْ تَقُولُوا إِنَّمَا أُنْزِلَ الْكِتَابُ عَلَى طَائِفَتَيْنِ مِنْ قَبْلِنَا وَإِنْ كُنَّا عَنْ دِرَاسَتِهِمْ لَغَافِلِينَ (١٥٦) أَوْ تَقُولُوا لَوْ أَنَّا أُنْزِلَ عَلَيْنَا الْكِتَابُ.....﴾.	٨٤

www.alukah.net
شبكة الألوكة

٤٦	﴿هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ تَأْتِيَهُمُ الْمَلَائِكَةُ أَوْ يَأْتِيَ رَبُّكَ أَوْ يَأْتِيَ بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ.....﴾.	٨٦
٤٧	﴿إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا لَسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ إِنَّمَا أَمْرُهُمْ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ يُنَبِّئُهُمْ بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾.	٩٠
٤٨	﴿مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَى إِلَّا مِثْلَهَا وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾.	٩٢
٤٩	﴿قُلْ إِنَّنِي هَدَانِي رَبِّي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ دِينًا قِيَمًا مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾.	٩٤
٥٠	﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ (١٦٢) لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ﴾.	٩٦
٥١	﴿قُلْ أَغَيْرَ اللَّهِ أَبْغِي رَبًّا وَهُوَ رَبُّ كُلِّ شَيْءٍ وَلَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ إِلَّا عَلَيْهَا وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى.....﴾.	٩٨
٥٢	﴿وَهُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلَائِفَ الْأَرْضِ وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ الْعِقَابِ وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ﴾.	١٠٠
٥٣	تَفْسِيرُ سُورَةِ الْأَعْرَافِ.	١٠٢
٥٤	﴿المص (١) كِتَابٌ أُنزِلَ إِلَيْكَ فَلا يَكُنْ فِي صَدْرِكَ حَرَجٌ مِنْهُ لِتُنْذِرَ بِهِ وَذِكْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ (٢) اتَّبِعُوا مَا أُنزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ.....﴾.	١٠٢
٥٥	﴿وَكَمْ مِنْ قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا فَجَاءَهَا بَأْسُنَا بَيَاتًا أَوْ هُمْ قَائِلُونَ (٤) فَمَا كَانَ دَعْوَاهُمْ إِذْ جَاءَهُمْ بَأْسُنَا إِلَّا أَنْ قَالُوا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ﴾.	١٠٦
٥٦	﴿وَالْوَزْنُ يَوْمَئِذٍ الْحَقُّ فَمَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾.	١٠٨
٥٧	﴿وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ بِمَا كَانُوا بِآيَاتِنَا	١١١

www.alukah.net
شبكة الألوكة

	يَظْلِمُونَ﴾.	
٥٨	﴿وَلَقَدْ مَكَّنَّاكُمْ فِي الْأَرْضِ وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَايِشَ قَلِيلًا مَا تَشْكُرُونَ﴾.	١١٢
٥٩	﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ لَمْ يَكُنْ مِنَ السَّاجِدِينَ﴾.	١١٣
٦٠	﴿قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ﴾.	١١٥
٦١	﴿قَالَ فَاهْبِطْ مِنْهَا فَمَا يَكُونُ لَكَ أَنْ تَتَكَبَّرَ فِيهَا فَاخْرُجْ إِنَّكَ مِنَ الصَّاغِرِينَ (١٣) قَالَ أَنْظِرْنِي إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾.	١١٧
٦٢	﴿ثُمَّ لَآتِيَنَّهُمْ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَنْ شَمَائِلِهِمْ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ﴾.	١١٩
٦٣	﴿قَالَ اخْرُجْ مِنْهَا مَذْءُومًا مَدْحُورًا لَمَنْ تَبِعَكَ مِنْهُمْ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنْكُمْ أَجْمَعِينَ﴾.	١٢١
٦٤	﴿وَيَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ فَكُلا مِنْ حَيْثُ شِئْتُمَا وَلا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ﴾.	١٢٣
٦٥	﴿وَقَاسَمَهُمَا إِنِّي لَكُمَا لَمِنَ النَّاصِحِينَ (٢١) فَدَلَّاهُمَا بِغُرُورٍ فَلَمَّا ذَاقَا الشَّجَرَةَ بَدَتْ لَهُمَا سَوْآتُهُمَا.....﴾.	١٢٥
٦٦	﴿يَا بَنِي آدَمَ قَدْ أَنزلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا يُوَارِي سَوْآتِكُمْ وَرِيشًا وَلِبَاسُ التَّقْوَى ذَلِكَ خَيْرٌ ذَلِكَ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ﴾.	١٢٩
٦٧	﴿يَا بَنِي آدَمَ لَا يَفْتِنَنَّكُمُ الشَّيْطَانُ كَمَا أَخْرَجَ أَبَوَيْكُمْ مِنَ الْجَنَّةِ يَنزِعُ عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوْآتِهِمَا إِنَّهُ يَرَاكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُ مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ...﴾.	١٣٢
٦٨	﴿قُلْ أَمَرَ رَبِّي بِالْقِسْطِ وَأَقِيمُوا وُجُوهَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ	١٣٦

www.alukah.net
شبكة الألوكة

	لَهُ الدِّينَ كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ﴾.	
٦٩	﴿فَرِيقًا هَدَى وَفَرِيقًا حَقَّ عَلَيْهِمُ الضَّلَالَةُ إِنَّهُمُ اتَّخَذُوا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ مُهْتَدُونَ﴾.	١٣٨
٧٠	﴿يَا بَنِي آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ﴾.	١٤٠
٧١	﴿قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ.....﴾.	١٤٣
٧٢	﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ﴾.	١٤٥
٧٣	﴿يَا بَنِي آدَمَ إِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ رُسُلٌ مِنْكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِي فَمَنِ اتَّقَى وَأَصْلَحَ فَلا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾.	١٤٦
٧٤	﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ أُولَئِكَ يَنَالُهُمْ نَصِيبُهُمْ مِنَ الْكِتَابِ.....﴾.	١٤٨
٧٥	﴿قَالَ ادْخُلُوا فِي أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِكُمْ مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ فِي النَّارِ كُلَّمَا دَخَلَتْ أُمَّةٌ لَعَنَتْ أُخْتَهَا.....﴾.	١٥٠
٧٦	﴿وَقَالَتْ أُولَاهُمْ لِأُخْرَاهُمْ فَمَا كَانَ لَكُمْ عَلَيْنَا مِنْ فَضْلٍ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْسِبُونَ﴾.	١٥٢
٧٧	﴿إِنَّ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَاسْتَكْبَرُوا عَنْهَا لَا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَابُ السَّمَاءِ وَلَا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّى يَلِجَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ.....﴾.	١٥٣
٧٨	﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾.	١٥٦
٧٩	﴿وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِنْ غِلٍّ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ	١٥٧

www.alukah.net
شبكة الألوكة

	الَّذِي هَدَانَا لِهَذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلَا أَنْ هَدَانَا اللَّهُ.....﴾.	
٨٠	﴿وَنَادَى أَصْحَابُ الْجَنَّةِ أَصْحَابَ النَّارِ أَنْ قَدْ وَجَدْنَا مَا وَعَدَنَا رَبُّنَا حَقًّا فَهَلْ وَجَدْتُمْ مَا وَعَدَ رَبُّكُمْ حَقًّا قَالُوا نَعَمْ.....﴾.	١٥٩
٨١	﴿وَبَيْنَهُمَا حِجَابٌ وَعَلَى الْأَعْرَافِ رِجَالٌ يَعْرِفُونَ كُلًّا بِسِيمَاهُمْ وَنَادَوْا أَصْحَابَ الْجَنَّةِ أَنْ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ لَمْ يَدْخُلُوهَا وَهُمْ يَطْمَعُونَ.....﴾.	١٦١
٨٢	﴿وَنَادَى أَصْحَابُ الْأَعْرَافِ رِجَالًا يَعْرِفُونَهُمْ بِسِيمَاهُمْ قَالُوا مَا أَغْنَى عَنْكُمْ جَمْعُكُمْ وَمَا كُنْتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ﴾.	١٦٤
٨٣	﴿وَنَادَى أَصْحَابُ النَّارِ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ أَنْ أَفِيضُوا عَلَيْنَا مِنَ الْمَاءِ أَوْ مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ حَرَّمَهُمَا عَلَى الْكَافِرِينَ﴾.	١٦٦
٨٤	﴿وَلَقَدْ جِئْنَاهُمْ بِكِتَابٍ فَصَّلْنَاهُ عَلَى عِلْمٍ هُدًى وَرَحْمَةً لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾.	١٦٨
٨٥	﴿هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا تَأْوِيلَهُ يَوْمَ يَأْتِي تَأْوِيلُهُ يَقُولُ الَّذِينَ نَسُوهُ مِنْ قَبْلُ قَدْ جَاءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِالْحَقِّ فَهَلْ لَنَا مِنْ شُفَعَاءَ فَيَشْفَعُوا لَنَا.....﴾.	١٦٩
٨٦	﴿إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَثِيثًا.....﴾.	١٧١
٨٧	﴿ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ﴾.	١٧٤
٨٨	﴿وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا وَادْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِنَ الْمُحْسِنِينَ﴾.	١٧٦
٨٩	﴿وَهُوَ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَاحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ حَتَّى إِذَا أَقَلَّتْ سَحَابًا ثِقَالًا سُقْنَاهُ لِبَلَدٍ مَيِّتٍ فَأَنْزَلْنَا بِهِ الْمَاءَ فَأَخْرَجْنَا بِهِ مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ..﴾.	١٧٨
٩٠	﴿وَالْبَلَدُ الطَّيِّبُ يَخْرُجُ نَبَاتُهُ بِإِذْنِ رَبِّهِ وَالَّذِي خَبُثَ لَا يَخْرُجُ إِلَّا نَكِدًا كَذَلِكَ نُصَرِّفُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَشْكُرُونَ﴾.	١٨١

www.alukah.net
شبكة الألوكة

٩١	﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ فَقَالَ يَاقَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾.	١٨٣
٩٢	﴿قَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِهِ إِنَّا لَنَرَاكَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ (٦٠) قَالَ يَاقَوْمِ لَيْسَ بِي ضَلَالَةٌ وَلَكِنِّي رَسُولٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ.....﴾	١٨٥
٩٣	﴿أَوَعَجِبْتُمْ أَنْ جَاءَكُمْ ذِكْرٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَلَى رَجُلٍ مِنْكُمْ لِيُنْذِرَكُمْ وَلِتَتَّقُوا وَلَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ (٦٣) فَكَذَّبُوهُ فَأَنْجَيْنَاهُ وَالَّذِينَ مَعَهُ فِي الْفُلْكِ.....﴾.	١٨٧
٩٤	﴿وَإِلَى عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا قَالَ يَاقَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ أَفَلَا تَتَّقُونَ (٦٥) قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ إِنَّا لَنَرَاكَ فِي سَفَاهَةٍ...﴾.	١٨٩
٩٥	﴿أَوَعَجِبْتُمْ أَنْ جَاءَكُمْ ذِكْرٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَلَى رَجُلٍ مِنْكُمْ لِيُنْذِرَكُمْ وَاذْكُرُوا إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاءَ مِنْ بَعْدِ قَوْمِ نُوحٍ وَزَادَكُمْ فِي الْخَلْقِ بَسْطَةً.....﴾.	١٩١
٩٦	﴿قَالَ قَدْ وَقَعَ عَلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ رِجْسٌ وَغَضَبٌ أَتُجَادِلُونَنِي فِي أَسْمَاءٍ سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ مَا نَزَّلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ.....﴾.	١٩٢
٩٧	﴿وَإِلَى ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ قَدْ جَاءَتْكُمْ بَيِّنَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ هَذِهِ نَاقَةُ اللَّهِ لَكُمْ آيَةً.....﴾.	١٩٣
٩٨	﴿وَاذْكُرُوا إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاءَ مِنْ بَعْدِ عَادٍ وَبَوَّأَكُمْ فِي الْأَرْضِ تَتَّخِذُونَ مِنْ سُهُولِهَا قُصُورًا وَتَنْحِتُونَ الْجِبَالَ بُيُوتًا فَاذْكُرُوا آلَاءَ اللَّهِ.....﴾.	١٩٤
٩٩	﴿قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا مِنْ قَوْمِهِ لِلَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا لِمَنْ آمَنَ مِنْهُمْ أَتَعْلَمُونَ أَنَّ صَالِحًا مُرْسَلٌ مِنْ رَبِّهِ قَالُوا إِنَّا بِمَا أُرْسِلَ بِهِ مُؤْمِنُونَ.....﴾.	١٩٦
١٠٠	﴿فَأَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ جَاثِمِينَ (٧٨) فَتَوَلَّى عَنْهُمْ وَقَالَ يَاقَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَالَةَ رَبِّي وَنَصَحْتُ لَكُمْ.....﴾.	١٩٨
١٠١	﴿وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ مَا سَبَقَكُمْ بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِنَ	٢٠٠

www.alukah.net
شبكة الألوكة

	الْعَالَمِينَ (٨٠) إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ شَهْوَةً مِنْ دُونِ النِّسَاءِ.....﴾.	
١٠٢	﴿وَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا أَخْرِجُوهُمْ مِنْ قَرْيَتِكُمْ إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ (٨٢) فَأَنْجَيْنَاهُ وَأَهْلَهُ إِلَّا امْرَأَتَهُ كَانَتْ مِنَ الْغَابِرِينَ﴾.	٢٠٢
١٠٣	﴿وَإِلَى مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا قَالَ يَاقَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ قَدْ جَاءَتْكُمْ بَيِّنَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ فَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ.....﴾.	٢٠٣
١٠٤	﴿وَلَا تَقْعُدُوا بِكُلِّ صِرَاطٍ تُوعِدُونَ وَتَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ مَنْ آمَنَ بِهِ وَتَبْغُونَهَا عِوَجًا وَاذْكُرُوا إِذْ كُنْتُمْ قَلِيلًا فَكَثَّرَكُمْ.....﴾.	٢٠٥
١٠٥	الفهرس.....	٢٠٧